أزهار الرياض فى أخبار عياض

وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض

تأليف

الشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمسانى

(٩٨٦ - ١٠٤١ هـ)

طبعة مزيدة ومنقحة

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الرابع

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

obeikandl.com

الطبعة الاولى
1431هـ-2010
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المقرى،احمد بن محمد احمد بن يحيى ، 1584-1631
ازهار الرياض فى اخبار عياض
تاليف : شهاب الدين احمد بن محمد المقترى التلمسانى ، تحقيق: على عمر
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2010
4 مج ، سم
تدمك : 978-977-341-498-6
1- المحدثون المغاربة
2-القاضى عياض ، عياض بن موسى بن عياض
ا- عمر،على (محقق)
ب- العنوان

ديوى:922.13

رقم الايداع: 16754

obeikandl.com

obeikandl.com

أقول: هذه الترجمة نذكر فيها نثره الفائق، ونظمه الرائق، قال الفتح فى قلائده[١] - بعد أن حلاه بما قدمناه آنفا: وقد أثبت من كلامه البديع الألفاظ والأغراض، ما هو أسحر من العيون النجل والجفون المراض، فمن ذلك رقعة حملنيها تحية للرئيس أبى عبد الرحمن بن طاهر - رحمه الله وهى: عمادى أبا نصر، مَثْنى الوزارة ووحيد العصر، هل لك فى مِنَّةٍ تفوت الحَصْر؟ تَخفّ مَحْمَلاً، وتَبْلُغ أملا، وتُشْكَر قولا وعملا، شكرا تترنم به الحُدَاة ثقيلاً وَرَمَلا، إذا بلغت الحضرة العلية مستلما[٢]، ولقيت الطاهر ابن طاهر فخر الوزارة مسلما، وحللت من فنائه الأرحب حرما، ولمست بمصافحته ركن المجد يندى كرما فقف شوقى بعرفات تلك المعارف، وانسك شكرى بمشاعر تلك العوارف، وأطف إكبارى بكعبة ذاك[٣] الجلال سبعا، وَبَوِّئ لودادى فى مقر ذاك الكمال ربعا، وأبلغ عنى بتلك الفضائل سلاما، يلتئم بصريح الحب التئاما، ويحسن عنى بظهر الغيب مقاما، ويسير بأرجح الحمد إنجادا وإتهاما[٤].

قال الفتح[٥]: وله فصل من رسالة فى جانبى: فى علمك، سدد الله على[٦] حكمك، ما جمعه فلان من جلائل، تشذ عن الحصر، وفضائل،

---

(١) انظر فى ذلك: قلائد العقيان ص ٦٨٤.

(٢) فى القلائد: «مُسَلَّمًا».

(٣) فى الأصول: «ذلك» والمثبت رواية القلائد التى ينقل عنها المصنف.

(٤) ص ٦٨٤ - ٦٨٥ من القلائد.

(٥) قلائد العقيان، ص ٦٨٥.

(٦) الأصل: «علا» والمثبت من القلائد الذى ينقل عنه المصنف.

يعترف له بها نبهاء العصر، يقول، فيختلس العقول، ويعن، فيذهل الألباب ويَحِنّ[١]، إن نظم فعبيد أو لبيد[٢] أو نثر فعبد الحميد أو ابن العميد[٣] أو صال، فأبو نعامة[٤]، أو أنال بن مامة[٥]، وأن فاخر، فشجرة سيادة، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وإن ذاكر، فبحر معارف لا تكدره الدلاء إلى همة تصفع هامة الثريا، وعزة تمتهن الفضل بن يحيى[٦]، ولهجة تخرس العجاج، وبهجة ازرى بنصر بن حجاج[٧]، ولو كنت ابن أبى هالة[٨]، لما بلغت المنتهى له، على أنى لم أنبه لشأنه ذا جهالة، لكنه الكلام يطرد، والبداية حسبما ترد، واللسان ينطق ملء فيه، والجنان يرشح بما فيه.

قال الفتح[٩]: وله فصل من رسالة راجع بها: وصلت لمعظمى قرب الجلال، وزهيت به رتب الكمال، وحامت على مشرع مجده العذب طيور الآمال، وغصت أفنية جنابه الرحب بوفود الإقبال. لا غرو - أعزك الله - أن من لاحظ من آثار فضلك الرائقة لحظة، أو حظى من سماع محاسنك الرائعة ولو بلفظة، أن تسير به همته فى لقائك واحدا، وتعتسف الطرق إلى ورد

---

(١) فى الأصل: «ويجن» بالجيم والمثبت رواية القلائد.

(٢) يعنى بهما: عبيد بن الأبرص، ولبيد بن ربيعة.

(٣) يقال: بدئت الكتابة بابن العميد، وختمت بابن العميد.

(٤) كناية قطرى بن الفجاء فى الحرب.

(٥) هو كعب بن مامة الإيادى، يضرب به المثل فى الجود، وفى المثل: «جارٌ كجار أبى داود» يعنون كعب بن مامة.

(٦) هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى.

(٧) هو نصر بن حجاج وكان أحسن الناس وجهًا.

(٨) ربيب النبى ﷺ.

(٩) قلائد العقيان، ص ٦٨٨.

جلالك وافدا، حتى يشاهد الكمال لم يحوج إلى نقص، وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى شخص.

قال الفتح[1]: وله فصل من رسالة: لابد - أعزك الله - لكل حين، من بنين، يُحَلّون عاطله، ويُجلون فضائله، ولكل مجال، من رجال، يقومون بأعبائه، ويهيمون فى كل واد بأنبائه، ولئن كانت جمرة الأدب خامدة، وجذوته هامدة، ولسانه حصيرًا، وإنسانه حسيرا، فلن يخيله الله من هلال يطلع، فيشرق بسمائه بدرا، وزلال ينبع، فيغدق بفضائه بحرا وشبل يشدو، فيزأر من غَابِهِ ليثا، وطل يبدو، فيمطر من ربابه غيثا.

قال الفتح[2] - سامحه الله: وخرجنا لنزهة، فلما انصرفنا أصاب غفارتى[3] شوك شقها، فلما وصلت موضعى، أمر أن أبعثها إليه، مع أحد عبيده المتصرفين بين يديه، فلما كان من الغد، تأخر صرفها، وحضرت الجمعة، فكتبت إليه معاتبا فى توقفها قد بقيت - أعزك الله - كالأسير، ولقيت التوحش بجناح كسير، إن أردت النهوض لم ينتهض، وليت من لا يريش لم يهض، وقد غدوت من المقام، فى مثل السقام، فلتأمر بردها، لعلى أحضر الصلاة وأشهدها، لا زلت سريا تطلق من يد الوحشة بريا - إن شاء الله.

فراجعنى: أدام الله - يا وليى - جلالك، وأبقى حليا فى جيد الدهر خلالك، الغفارة عند من ينظر فيها، وقد بلغت غير مضيع تلافيها، ويرجى تمامها قبل الصلاة وإدراكها، وتصل مع رسولى وكأنما قد شراكها، وإن عاق

---

(١) قلائد العقيان، ص ٦٨٩.

(٢) قلائد العقيان، ص ٦٩٠.

(٣) الغفارة: رداء واسع يلبسه العلماء والأعيان.

عـائق، فليس مع صحـة الود مـضائق، والعـوض رائق لائق، وهو واصل، وأنت بقبوله مواصل، والسلام - ما ذر شارق، وومض بارق.

انتهى ما أورده الفتح من نثر القـاضى عياض - رحمه الله تعالى، وهو نقطة من بحر. ولنذكر بعض ما وقفنا عليه مما لم يذكره، فيقول:

قال ابنه من جملة ترسيله - رضـوان الله عليه - أنه تذاكر مرة مع جلة زعماء، وقـادة علماء، وسادة أدباء، تعاطوا بينهم كـأس الأدب، حتى ذهبت بهم فى التغلغل فيه كل مذهب، فتسابقوا فى ميدانه، وجرى كل ملء عنانه، إلى أن قصـدوا التعـجيز، وسـدوا باب المسامـحة والتـجويز، وقالـوا الغاية القصوى، المعـربة عن كل مدع فى الأدب دعوى، - أن نكتب رسـالة معربة المعانى رائقـة، ذات أصول ثابتة وفـروع باسقة، فيلحق بـين كل سطرين منها زيادة توافق معـانيها، ولا تخل بشئ من مـبانيهـا، فتطاول لها - رحـمه الله تعـالى عليه - وأزهار آدابه تنم، وقـال: أنا لها وكل مـهم، وعينت الرسـالة فكتب، وقد قدم بين يديها هذه القطعة:

قل للأمـاجـد والحديث شـجـون مـا ضر أن شـاب الوقـار مجـون

الأبيات. وسـنذكرها فى نظمـه من هذا الباب - إن شـاء الله. قال فى آخرها:

وبعـشت الآن بهـا ليـعـلم أننى عـيـن الزمـان وسـره المـكنون

ووصله - رحمه الله بما نصه:

فارتقب الـسادة الجلة، أدام الله عزهم، بثـبات قـدم عميـدهم، وأبقى عليهم ظله، عنـد مجاراتنا إلحاق الـكتاب، فكأنها كـانت منى دعوى توجب

الارتياب، وكان الفقيه أبو فلان صديقنا، أعرف بالقصد إلى الزيادة فى رسالة الوزير أبى القاسم بن الجد على إيجاز ألفاظها، واندماج أغراضها، وجلالة قائلها، واعتدال أواخرها وأوائلها، فلم أقدم تلك العيشة شيئا على تسويدها، وتذييل برودها، وإن كان المتحكك بذلك الطود العظيم، كمرقع الوشى بالأديم، ولكن بحكم الاضطرار، وقصد الاختيار للاختبار، وطرقنى لصاحبها من الحادجث الكارث، ما شغل عن صقل وجودها، وأذهل عن توجيهها، وحين وجدت الآن فجوة، وأنست العيشة وإن لم تكن سلوة، وجهت بها شريطة رفع الدعوى، وامتحان البلوى، وصرف عين الانتقاد، وتحسين الظن والاعتقاد، وقد أعلمت على الزيادة بالحمرة، لتكون فصلا بين الكلامين وعبرة، ولم تمكنى مفارقة المنزل، مراعاة لحق من يقصد وينزل، وحذرا أن ينتقد، من لا يجد، فليكن الكل عندكم بالأمانة حتى نجتمع، والسلام عليكم يطول إعظاما لجلالكم ويتسع، ورحمة الله وبركاته.

قال جامع هذا التصنيف وفقه الله: وقد كتبت الزيادة بالقلم الغليظ من الحمرة، لتعذرها فى الوقت، وبالله التوفيق.

قرن الله - يا سيدى - مطالبك بالنجاح، ومآربك بالإسماح، وأجرى أحوالك على حكم الاختيار، وأورى زندك فى مساعى الأبرار، ولا زلت سعيد الأيراد والأصدار، معلى القداح، مؤتى الأمانى والاقتراح، وردنى - يسر الله أملك، وسدد قولك وعملك - كتب خطير، بل روض من الترف مطير، وخطاب أثير، بل مسك من الثناء نثير فوقه زهر الحسن، لا زهر الحزن، وهب عليه نسيم السرو، لا نسيم الجو، جاده صيب العقل، لا منبت البقل، فرتعت فى حديقة جده وهزله، وتمتعت برقيق لفظه وجزله، ونزهت

ناظرى فى رائق ألفاظه، ووجـهت خاطرى لقبلة مـعانيه وأغـراضه، ونزهت قولى وعملى عن رده واعـتراضه، لا جرم أنه انفك لى منه معجـون، حشوه مجون، وطبيخ ضمنه توبيخ، إلا أن حقى من تركـيبه، وذوقى لمعسول طيبه، اعترضت دونه علل، ولم يبح لى منه ورد ولا علل، وأجدر أن يكون لى وله نبأ عجـيب، لو ساعده من طبيعـتى مجيب، لكنه مجـه مزاجى، ولم تحمله أمشاجى، ولا غـرو أن يزل طبيب ولا يساعد حبـيب، إن كلف هذا ما ليس فى وسعه، وطولب بما يعلم عنه ضيق ذرعه، وتعاطى ذلك الآخر لرقيه لما لا يجيب، أو إذا لم يصف له العلة لبيب، وإن عذرك بالجهل بصفة حالى لبين، كما أن شكرك فى مـواصلتى ومداخلتى متعين، فلئن لم تجـدنى فى حاجتك رفيقا، فقـد اتخذتنى أخا شقيقا، وإن لم أكن لك بحكم الحال مـسعدا، فقد قمت بألحان شكرك مغردا، ولئن كان ظنك سهما أشوى، ونجما أخوى، لقد أصاب موضع الشكوى، ومكان البلوى، وبودى، لو كان أربك عندى، حتى أبادر به إليك، وأسـقط به سـقـوط الندى عليك، وأسلم أعنة رغـبـاتك فى يديك. أجل، ولو كنت ممن ينبـسط فى مـقر ذلك الجـلال، بحكم الإدلال، لاستعملت فى الموعد، طاقة المجد المجتهد، ولم أصل العود، والعود أحمد، ومـا كنت أريم إلا بلبانتـك عند ذاك الحريم، وتخلقـت فى مطلبك الكريم، أخلاق الـغريم، ولكنى من التـبسط بمعـزل، وفى أبعد منزل، وعلى حـالى لسـائلى فى ذلك، ينتـهى إلى حـضرة جـلالك، مـبادرة إلى واجب حـقك وكمـالك، ومسـاعدة لمنزعك فى جـهتك ومرمـى آمالك، حتى أبلـغ نفسى هنالك عـذرا، وأقضى نذرًا، وأرى لك صـرف وجه المعـول، على الشفـيع الأول، فتـخاطبـه فى الغرض مـوجزا، وتلاطفه مـقصـدا ومرتجـزا، وللعدة الجـميلة مـستنـجزا، والله يسنى أوطارك، ويحـمى أقطارك، والسـلام عليك عميما جزيلا، يصحبك رسيلا ونزيلا. انتهى ما ذكره ولده من هذه الرسالة.

وقد كتبته من أصل فيه بعض تصحيف وتحريف، وأثبته هنا حتى يفتح الله فى مقابلته بأصل جيد، يصحح منه خلله، وتشفى علله، سهل الله وجوده، بجاه سيدنا محمد ﷺ.

ومن نثره - رحمه الله - رسالة بديعة، كتب بها إلى روضة سيد المرسلين وعمدة الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله وأصحابه المهتدين، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين. نصها:

إلى سيد ولد آدم، وشفيع العالم، البشير النذير، السراج المنير الرسول الكريم، الرءوف الرحيم ذى الخلق العظيم، والفضل الباهر الجسيم ودعوة أبيه إبراهيم وبشرى المسيح، وابن الذبيح، المنبأ - وآدم بين الجسد والروح، الصادق الأمين، الحق المبين المطاع عند ذى العرش المكين، نبى الرحمة، وهادى الأمة والعروة الوثقى والعصمة، وقدم الصدق، ودار العلم والحكمة، وسيلة الوسائل، وثمال اليتامى والأرامل، حبيب الله وخليله، ومصطفاه ورسوله، المجتبى المنتخب من خيار الأخيار، وصميم الحسب النضار، الطاهر المطهر المختار، أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، منتهى الشرف ومنقطع الفخار - من الشائق إلى زيارته، الراجى فى دعوته، المدخرة فى شفاعته، المؤمن بنبوءته ورسالته، المعترف بتقصيره فى طاعة الله وطاعته، عياض بن موسى.

بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلوات وأزكى التسليم، على المصطفى محمد نبيه الكريم، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وشفيع المذنبين، وقائد الغر المحجلين، وأكرم الآخرين والأولين، ورسول رب العالمين، ووسيلتهم إليه أجمعين، النور الساطع، والشفيع المشفع الشافع، صاحب

الحوض المورود، والمقام المحمود، والوسيلة والفضيلة والكوثر، ورافع لواء الحمد يوم المحشر، المرسل لى الأسود والأحمر، الآتى بالآيات والنذر، المتحدى بالمعجزات جميع البشر، المبعوث بجوامع الكلم، الشاهد على جميع الأمم، منير الأفئدة بأنوار الحكم، الذى شرح صدره، فملئ إيمانا وحكمة، من لم يجعل الله به علينا فى الدين من حرج، وأسرى به من الفرش إلى العرش وعرج واستسقى الغمام بوجهه فهمع، وانشق القمر لتصديقه ثم اجتمع، وعاد نور الشمس بدعائه لشروقه بعد الأفول ورجع، وانفجر الماء من بين أصابعه ونبع، وسجد البعير لهيبته وخضع، وسكن ثبير لركضته حين تزعزع، وحن الجذع حنين العشار لفرقته وخشع، المؤيد بروح القدس جبريل، المبشر به فى التوراة والإنجيل، المنزل عليه محكم الكتاب والتنزيل، الصادع بالحق كما أمر، المصدق فى جميع ما أخبر، المظلل بالغمام، الممدود بالملائكة الكرام، المنصور بالرعب، المطلع على الغيب، ومن أقسم الله بعمره ورفع ذكره مع ذكره، عليك من صلواتك الله وسلامه، وزلف بركاته وتحف إكرامه، كفء محلك الشريف لديه وقدره، وعداد نجوم الأفق وقطره، وجزاء ما كابدت وقاسيت فى إظهار دين الله ونصره، وثواب ما دعوت إلى صراط الله وامتثال أمره.

وبعد: فإنى كتبت إليك، صلى الله عليك، يا خاتم الرسل، وهادى أوضح السبل، ورحمة العالمين، ونعمة الله على المؤمنين، وشارح القلوب والصدور، ومخرجها من الظلمات إلى النور، فإنى عبد من أهل ملتك، المتحملين لأمانتك، منهاجك وشرعتك، والملتزمين للحنيفية ملة أبيك إبراهيم، المؤملين النجاة بالدعوة دعوتك التى خبأتها شفاعة لأمتك، ممن

أشرق فؤاده بشعاع أنوارك، واهتدى قلبه بعلم منارك، وتاه عقله بحسرة فوات رؤيتك وإبصارك، وهام قلبه فى حبك وتوفير عظيم مقدارك، وعدته العوادى عن التشفى بقصد قبرك ومزارك، وقطعت به القواطع عن التشرف بمشاهدة مشاهدك الشريفة وآثارك، مصافح بالإيمان بك وتصديقك، شاهد الجوارح بالتقصير عن أداء حقوق الله وحقوقك، فهو طليح ذنوب ومآثم، وأسير تباعات وخل آثم، أثقلت ظهره مع العاصين خطاياه وآثامه، وانقطعت فى التمنى مع العادين لياليه وأيامه، وقصرت به عن جد المخلصين أوزاره وأجرامه، فلا رجاء له إلا فى عفو الله واستشفاعك، ولا خلاص له إلا بالتعلق بحقوقك يوم يكون آدم ومن ولد تحت لوائك ومن أتباعك، فيما محمداه، طال شوقى إلى لقائك، ويا أحمداه، ما كان أسعدنى لو متع المسلمون ببقائك، ويا نبياه، عليك منى أفضل الصلوات والبركات والتسليم.

ويا حبيباه، اذكرنى عند ربك، فى مقامك المحمود الكريم، ويا شفيعاه، اشفع لى ولوالدى فى ذلك الموقف العظيم، اللهم إنى أسألك بحقه عليك الذى آتيته، وبقسمك بعمره الذى شرفته به وفضلته، وبمكانه منك الذى اخصصته واصطفيته، - أن تجازيه عنا بأفضل ما جازيت به نبيًا عن أمته، وتؤتيه منا الفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة فوق أمنيته، وتعظم عن يمين العرش نوره، بما يوريه من قلوب عبيدك، وتضاعف فى حضرة القدس حبوره، بما قاسى من الشدائد فى الدعاء إلى توحيدك، وأن تجدد عليه من شرائف صلواتك، ولطائف بركاتك، وعوارف تسليمك وكراماتك، - ما تزيده به فى عرصات القيامة إكراما، وتعليه به فى عليين مستقرا ومقاما، اللهم وأطلق لسانى بأبلغ الصلاة عليه وأسبغ التسليم، واملأ جنانى من حبه وتوفية حقه العظيم، واستعمل أركانى بأوامره ونواهيه فى النهار الواضح

والليل البهيم، وارزقنى من ذلك ما يبوئنى جنة النعيم، ويشعرنى رحماك وفضلك العميم، ويقربنى إليك زلفى فى ظل عرشك الكريم، ويحلنى دار المقامة من فضلك، ويزحزحنى عن نار الجحيم، ويقضى لى بشفاعته يوم العرض، ويوردنى مع زمرته على الحوض، ويؤمننى يوم الفزع الأكبر، يوم تبدل الأرض غير الأرض، وارفعنى معه فى الرفيق الأعلى، واجمعنى معه فى الفردوس وجنة المأوى، واقسم لى أوفر حظ من كماله الأوفى، وعيشه المهنى الأصفى، واجعلنى ممن شفى غليله بزيارة قبره وتشفى، وأناخ ركابه بعرصات حرمك وحرمه قبل أن يتوفى، ثم السلام الأحفل الأكمل مرددا، عدد القطر والحصى كثرة وعددا، عليك يا نبى الهدى، المنقذ من الردى، وعلى ضريحك المقدس سرمدا، ويصعد إلى عليين مع روحك صعدا، ويمده رضوان الله ورحماه مددا، ما تطارد الجديدان وتطاول المدى، ورحمة الله وبركاته أبدا، تحية أدخرها عهدا عندك وموعدا، وأجدها - إن شاء الله تعالى - لعقبات الصراط معتمدا، وفى عرصات الفردوس معهدا، وأخص بأثرها الخليفتين ضجيعيك فى تربك، وأخص الناس فى محياك ومماتك بقربك، وكافة المهاجرين والأنصار وعامة صحبك، الذين عزروك ونصروك، وآووك ووقروك، وكان بعضهم لبعض ظهيرا، والطيبين ذريتك، والطاهرات أمهات المؤمنين وأهل بيتك، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أقول: هذا مقام طالما طمحت إليه همم الرجال، وتسابقت جياد أفكارهم فى مضماره بالروية والارتجال، وسارت أرواحهم مع الرفاق، - وإن أقامت الأشباح، وطارت قلوبهم بالأشواق، ولم لا وهو سوق تعظم فيه الأرباح!

فممن حاز فى ذلك قصب السباق، وانتشى من حمياه، وأفنى عمره فى اصطباح واغتباق، - ذو الوزارتين ابن أبى الخصال، عليه من الله رحمة دائمة الاتصال، فإنه كتب إلى المقام النبوى، والحجرة الشريفة، - لا حرمنا الله من تفيؤ ظلالها الوريفة، بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله، إلى الرءوف الرحيم، الرسول الكريم، ذى الخلق العظيم، والحسب الصميم، والصفح الجميل، والمن المربى على التأميل، صريح الصريح، ورقوء دم الذبيح، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، خطيب الأنبياء وإمامهم فى اليوم المشهود، المكين الأمين، الذى ليس على الغيب بضنين، النازل عن خير الظهور إلى خير البطون، والمتردد من الأب الأقصى إلى الأب الأدنى بين كل مصونة ومصون، الذى تسلمه الآتى عن الماضى أمانة حملها من كل سلف خياره، ونورا عرضت فى جباه السؤدد سيماه وآثاره، إلى أن أذن الله سبحانه، فظهرت أسراره الكامنة إليه - صلوات الله عليه - الطاهرة آمنة، الذى جعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت له الغنائم وكانت حجرا محجورا، ونصر بالرعب شهورا، وأوتى جوامع الكلم فانتظمت لفظته سطورا، وبعث إلى الأحمر والأسود فضلا كان له مذخورا، ونسخت بملته الملل إما مؤمنا وإما كفورا، وأنزل عليه القرآن هدى ونورا فأحيا نفوسًا وشفى صدورا، الذى وجبت نبوءته وستر الغيب عليه منسدل، وآدم - صلوات الله عليه - فى طينته منجدل، لبنة التمام، التى انعقد بها التأسيس، ويتيمة النظام، التى لها ادخر الوضع النفيس، أمام وفد الرحمن، وفرط وراد الإيمان الذى نكلت عن بسالته الضراء، وسلمت له فى الخفر العذراء، واعترفت

لواقح الرياح ليمينه، واغترفت لوائح الصباح من نور جبينه، الآخذ بالحجرات، الوارد بالمعجزات، الذى سلم عليه الحجر، والتم إليه الشجر، وانشق لبرهانه القمر، وحن إلى حضرته الجذع المنقعر، وأنبأه بسورته السم المستعر، ونبع من بين أنامله الماء، وأجابت بدعوته ثم انجابت السماء أبو القاسم خيرة الخير، وسيد البشر، المصطفى من أكرم العتر، جاشم المجاشم، وذؤابة بنى هاشم، هامة العرب، ومنتهى فخر الأبعد والأقرب، الحاشر العاقب، ذو المجد الثاقب، وزهر المآثر والمناقب، الذى فاز المحسنون بطاعته، واستنقذ المذنبون بشفاعته. ﷺ حساب ما لديه، وكفاء ما يدنى منه ويقرب إليه، من عتيقه، المعلن بتصديقه، الداعى فى قربه، المستشفى بريح تربه، المستشفع به إلى ربه، المؤمن بما آمن به من رسله وكتبه. فلان. كتبته يا واضع الإصر والأغلال، ورافع رايات الهدى على الضلال، ومبدلنا بالظل من الحرور، ومخرجنا من الظلمات إلى النور، ومروينا من الرحيق المختوم، والحوض الذى آنيته بعدد النجوم، ومحظينا بالنظر إلى الحى القيوم عن دمع يسفح، ونفس يلفح، وصدر بأشواقه ملآن يطفح، وعرف عليك من الصلاة والسلام ينفح. وأسف إليك يتلهب، وزفرة بأحناء الضلوع تجىء وتذهب، وحشاشة بعوائق البعد عنك تنهب، وكيف لا أقضى حزنا، ولا أرسل دموع الوجد والتلهب مزنا، أم كيف ألذ حياة، وأؤمل نجاة، ولم أعبر إلى زيارتك لجة ولا موماة، ولا أخطرك فى قصدك نفسا أنت منقذها ومنجيها، ولا مثلت بمعاهدك المشهرة، ومشاهدك المطهرة أحييها، ولا نزلت عن الكور كرامة للبقعة المقدسة التى ثوبت فيها. فوا أسفا، ألا أخب إلى ثراك مقبلا، ولا أكب على مثواك مستقبلا، وألا أصافح من تلك العرصات، مدارس الآيات، ومهبط الوحى والمناجات، حيث قضى فرض الصوم والصلوات، وحيث

انتشر التزيل، وسفر بالوحى جبريل، وبرزت خبيئة الدهر، وأورثت بليلة خير من ألف شهر. أسفا لا يمحو رسمه، ولا يعفو ندبه ورسمه، إلا الوقوف بحرم الله وحرمك، والتوسل هناك إلى كرمه بكرمك. اللهم كما جعلتنى من أمته، واستعملتنى بسنته وشوقتنى إلى آثاره، وشغلت قلبى بتذكره وتذكاره وأريتنى تلك المعالم المنيفة خيالا، وخططت منها فى الضمير مثالا، وأريتنيها ملء السمع والفؤاد جمالا، فاشف بمرآها بصرا ضريرا، وبسناها يرتد بصيرا. واجعل لى فيها معرسا ومقيلا، وضع عنى من شوقها إصرا ثقيلا. اللهم أعدنى بالقرب على بعده، واجعلنى من المقتفين لهداه من بعده، واغمرنى بين قبره ومنبره، ومبدأه ومحضره، ومصلاه ومنحره. وأنخ هذه الشيبة، بباب بنى شيبة. واغسلها هناك من ذنوبها وخطاياها، وعج إلى خاتم أنبيائك صدور مطاياها، وهب لى عزمة من أطاع، وبسطة من استطاع. وادفع عنى الضرر والضرورة، ولا تمتنى حلس البيت صرورة، لو أوتيت يا رسول الله سولى، لسبقت إليك كتابى ورسولى لكن قل الوفر، واستقل السفر، وغادرونى حرضا، ولسهام الوجد والأسى غرضا. أتبعتهم نفسا لا يؤوب، وقلبا يستخفه القلق والوثوب، فأتشبث بهم تشبث الأسير بالطليق، وألحظهم لحظ السقيم للمفيق. فلم أملك يا رسول الله، إلا رقعة تشكو بث التبريح، وتحية خفيفة المحمل طيبة الريح، تتأرجح - يا رسول الله - بأرجائك، وتتضرج، إلى قبولك ورجائك، فأتوسل بك - يا رسول الله - إلى مصطفيك بالرسالة والوسيلة، ومختصك بالدرجة الرفيعة والفضيلة، ومؤتمنك على إقامة حقه، ومبتعثك بالنور والهدى إلى جميع خلقه، ليسعدنى بجوارك، ويكرمنى بحلول دار هجرتك وأنصارك. وأفرغ بعد حقوقه لحق من حقوقك، وألم بصديقك وفاروقك، وأعرج على الصهرين، أبى عمرو ذى

النورين، وأبى السبطين: الحسن والحسين، وأندب المقتول، وأعزى البتول، وأوقف بحواريك المودود، وبأسد الأسود، وبابن عبيد الله ذى الجود، وبالأمين حق الأمين، وبقريع دهره فى التقى والدين، وبسعيد ذى الفضل المبين، وأقضى حق الأمهات. والأزواج الطاهرات، وسائر أهل الكرامات، وأتقرى منازل السعداء، ومشهد سيد الشهداء وأدعو ربك، فى جبل أحبته وأحبك، وأحط بوارث الرأى والراية، وصاحب السقيا والسقاية، وحائز العقبى والغاية، وأعتمد عصمة الهلاك، وأبا أبى الأملاك، حبر العلم والتأويل، وفاتح أغلاق التنزيل، وبحر الندى الجزيل، طالعتك يا رسول الله - بنيتى، وأنزلت بك أمنيتى، وغير عزيز على من شفعك يوم القيامة، وأقطعك دار المقامة، وأعطاك لواء الحمد والكرامة، أن يجمع لى بك بين الشفاعتين، ويؤتينى فى الدنيا بلقياك، وفى الآخرة بسقياك، - الحسنيين، اللهم بلغ عنى الأمين، والرسول القوى المكين، ما أظهره من محبته وأبطنه، وأسره وأعلنه، اللهم أشهد بصلاتى عليه وسلامى، ومحبتى فيه وإلمامى. وصل اللهم عليه وعلى أصحابه أعلام الإسلام، ومصابيح الظلام، وعلى أهل قرباه، ومن نصره وآواه. وعلى أزواجه الصالحات، العابدات السائحات، صلاة تبارى وتفاوح ثناءهم، وتغادى وتراوح فناءهم، يتضوع شذاها بقبورهم، ويسطع نشرها إلى يوم نشورهم، مشفوعا عبقها بالدوام والتمام، إلى دار السلام. ثم سلام الله عدد خلقه، ورضى نفسه، على نبى رحمته، المغفور له ما تقدم وتأخر من ذنبه، ورحمة الله وبركاته، وأنهاره وجناته، وروحه وريحانه، ومغفرته وضوانه، وسلم تسليما كثيرا.

انتهى ما كتبه ذو الوزارتين ابن أبى الخصال عن نفسه للمحل الشريف النبوى.

ولنذكر رسالة كتبها – رحمه الله – عن رجل من أهل قرطبة، يقال له عبد الله بن عبد الحق الصيرفى، وكان عليل الجسم، ولما وصلت رسالته القبر الشريف، برئ من زمانته ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد.

إلى البشير النذير، والسراج المنير، المخصوص بالتعزير والتوقير، والبيت المقدس بالتطهير. خاتم النبئين، وسيد المرسلين، والشفيع إلى رب العالمين، من عتيق هداه، وزائره بمحبته وهواه، المستكشف ببركته لبلواه، المستشفع بشفاعته فى دنياه وأخراه، – فلان.

كتاب وقيذ من زمانته مشفى

بقبر رسول الله أحمد مستشفى

له قدم قد قيد الدهر خطوها

فلم يستطع إلا الإشارة بالكف

ولما رأى الزوار يبتدرونه

وقد عاقه عن قصده عائق الضعف

بكى أسفا واستودع الركب إذ غدوا

تحية صدق تفعم الركب بالعرف

فيا خاتم الرسل الشفيع لربه

دعاء مهيض خاشع القلب والطرف

عـتيـقك عـبـد الله ناداك ضارعـا

وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف

رجاك لضـر أعجـز الناس كشـفه

ليـصدر داعيـه بما شاء من كـشف

لرجل رمى فيـها الزمان فقـصرت

خطاها عن الصف المقـدم والزحف

وإنى لأرجـــو أن تعـــود ســـوية

برحمة من يحيى العظام ومن يشفى

وأنت الذى نرجـوه حـيـا وميـتـا

لصرف خطوب لا تـريع إلى صرف

عليـك سـلام الله عـــدة خلقـــه

وما يرتضـيه من مـزيد ومن ضعف

وممن سلك هذا الوادى، وأرسل - إذ غلبه الشوق - دمـوعه الغوادى، ذو البيان الذى قل له الموازى، الشيخ أبو زيد الفـازازى، فإنه كتب إلى الحرة الطيبة، على ساكنها أفضل السلام والصلوات الواكفة الصيبة، بما نصه:

يا ســـيـــد الـرسل المكين مـكانه ومـقـدمـا وهو الأخـــيـر زمـانه

والمصطفى المخـتـار من هذا الورى فـــمـحله عـــالى المحل وشـــأنه

ومن النبـوءة والـطهـارة والهـدى شـــرف حـــواه فـــؤاده ولســـانه

obeikandl.com

عنوان طرس الأنبياء وختمهم والطرس يكمل حسنه عنوانه
فالدهر خلق أحمد إصباحه والخلق جفن أحمد إنسانه
ناداك عبد أخرته ذنوبه والشوق تلفح قلبه نيرانه
وفدت عليك ركاب أرباب التقى والمذنب الخطاء كف عنانه
لما تخلف للتخلف مذنبا فى المذنبين وغره إمكانه
كتب الكتاب لعله إذا لم يزر باللحظ قبرك أن تزور بنانه
ووراء أضلاعى فؤاد قيده ألف الذنوب وسجنه أشجانه
لكن حبك شافع ومشفع يغشى محبك يمنه وأمانه
وعليك يا خير الأنام تحية كالروض صافح روحه ريحانه
ممن يزورك خطه وكلامه إن لم يزرك لذنبه جثمانه

وممن بلغ فى هذا غاية الآماد الكاتب ابن الغماد، فإنه قال يتشوق إلى ذلك الجناب المنيع، ويترجى التيسير وحسن الصنيع:

شوقى إلى خير الخلق متصل يا ليت شعرى هل أدنو وهل أصل
وهل أزور ثراه وهو خير ثرى استنشق المسك منه ثم اكتحل
وهل أرى روضة حل الكمال بها من كل أرض إليها تجهد الإبل

ومنها:

فى كل عام أرجى زورة معكم فتنهضون وشانى دونكم ثقل

لو خف ظهرى لكان الجسم مرتحلا

لكن قـلبى أمـــام الركب مـــرتحل

يحـدو به وجـده والشوق سـائقـه

وكـــيف يدنو كـــلال منـه أو ملل

واحسرتاه فاز غـيرى بالوصال إلى

أرض الحبيب ودونى سـدت السبل

مـتى ينادى بى الحـادى يبـشـرنى

بشراك -يا مغربى- انزل فقد نزلوا

انزل بطيبة طاب العـيش قد ظفرت

به يداك فـــلا خـــوف ولا وجل

عـــبـد لـه أنا إن نادى وبشـــرنى

وأنت حـــر إذا بلغـت يا جـــمل

قلبى بحب رسـول الله مـشـتـغل

يا ويح قلب لـه عن حـبـه شـغل

انتهى كلام ابن الغماد رحمه الله تعالى.

وممن أتى فى هذا البـاب بما أربى عـرفه عـلى كل طيب، ذو الوزارتين لسـان الدين أبو عـبـد الله ابن الخطيب، صَبّ الله عليـه شـآبيب الرضـوان والمغـفرة، فقـد كتب لـلروضة النبـوية رسالتـين عن السلطانين أبى الحـجاج يوسف، وابنه الغنى بـالله أبى عبـد الله مـحمـد بن السلطان ابن نصـر، كل واحدة منهما متبلجة الصباح مسفرة نص الأولى:

obeikandl.com

إذا فـاتنى ظل الحـــمى ونعـيـمـه
فحسب فؤادى أن يهـب نسيمه[1]

ويقـنعـنى أنـى به مـــــتكـنف
فزمـزمه دمـعى وجسـمى حطيـمه

يعود فؤادى ذكـر من سكن الغضا
فـيقـعـده فوق الفـضـا ويقـيمـه

ولم أر شـيئـا كـالنسيم إذا سـرى
شفى سـقم القلب المشوق سقيـمه

نعلل بالتـذكـار نفـسـا مـشـوقـة
ندير علـيـهـا كـأســه ونديمــه

ومـا شـــفنى بالغـور قـد مـرنح
ولا شاقنى من وحش وجـرة ريمه

ولا سـهـرت عـينى لـبـرق ثنيـة
من الثـغر يبـدو مـوهنا فأشـميـه

برانى شـــوق للنـبى مـحـمـــد
يسـوم فـؤادى برحـه ما يسـومـه

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٥٤.

obeikandl.com

ألا يا رسـول الله[1] ناداك ضـارع
على النأى محظوظ الوداد سليـمه

مـشـوق إذا مـا الليل مـد رواقـه
تهم بـه تحت الظلام هـمـومـه

إذا حديث عـنك جاءت به الصـبا
شجـاه من الشوق الحـثيث قـديمه

أيهـجر بالنجـوى وأنت سمـيعـها
ويشـرح ما يـخفى وأنت علـيمـه

وتعـوزه السـقـيـا وأنت غـيـاثه
وتتلفـه الشـكوى وأنت رحـيـمـه

بنورك نور الله قـد أشـرق الهـدى
فـأقـمـاره وضـاحـة ونجـومـه

لك أنهل فضل الله فى الأرض ساكبا
فـأنواؤه ملتـفـة وغـيـومـه

ومن فوق أطباق السماء بك أقتدى
خليل الذى أوطـاكـهـا وكليـمـه

لك الخلق الأرضى الذى جل ذكره
ومـجد فى الذكـر العظيم عظيمـه

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «يا رسول إله» وصوابه من نفح الطيب.

obeikandl.com

يجل مـدى علياك عن مـدح مادح
فـموسـر در القـول فيـك عديمـه

ولى - يا رسول الله - فـيك وراثة
ومـجدك لا ينسى الذمـام كريمـه

وعندى إلى أنصـــار دينك نسـبـة
هى الفخر لا يخشى انتقـالا مقيمه

وكـــان بودى أن أزور مـــبـــوأ
بك افـتـخـرت أطلاله ورسـومـه

وقد يجـهد الإنسان طرف اعتـزامه
ويعـــوزه من بعـد ذاك مـــرومـه

وعـذرى فى تسويف عـزمى ظاهر
إذا ضاق عـذر العزم عـمن يلومه

عدتنى بأقصى الغرب عن تربك العدا
جـلالقـة الثغـر الغـريب وروميـه

أجـاهد مـنهم فى سـبـيـلك أمـة
هى البحـر يعيى أمـرها من يرومه

فلولا اعـتناء منك يا ملجـأ الورى
لريع حـمـاه واسـتبـيح حـريمـه

obeikandl.com

فلا تقطع الحبل الذى قد وصلته

فمجدك موفور النوال عميمه

وأنت لنا الغيث الذى نستدره

وأنت لنا الظل الذى نستديمه

ولما نأت دارى وأعوز مطمعى

وأقلقنى شوق يشب جحيمه

بعثت بها جهد المقل معولا

على مجدك الأعلى الذى جل خيمه

وكلت بها همى وصدق قريحتى

فساعدنى هاء الروى وميمه

فلا تنسنى يا خير من وطئ الثرى

فمثلك لا ينسى لديه خديمه

عليك سلام الله ما ذر شارق

وما راق من وجه الصباح نسيمه

وإلى[1] رسول الحق، إلى كافة الخلق وغمام الرحمة الصادق البرق، الحائز فى ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق، خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السماء، ومن وجبت له النبوة وآدم بين الطين والماء. شفيع أرباب الذنوب،

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٥٦.

obeikandl.com

وطبيب أدواء القلوب، ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب: نبى الهدى الذى طهر قلبه، وغفر ذنبه، وختم به الرسالة ربه، وجرى فى النفوس مجرى الأنفاس حبه، الشفيع المشفع يوم العرض، المحمود فى ملأ السماء والأرض، صاحب اللواء المنشور، يوم النشور، والمؤتمن على سر الكتاب المسطور، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور، المؤيد بكفاية الله وعصمته[1]، الموفور حظه من عنايته ونعمته، الظل الخفاق على أمته. من لو حازت الشمس بعض كماله ما عدمت إشراقا، أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم إشفاقا. فائدة الكون ومعناه، وسر الوجود الذى بهر الوجود سناه، وصفى حضرة القدس الذى لا ينام قلبه إذا نامت عيناه. البشير الذى سبقت له البشرى، ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل فيه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ ... ۝١﴾ [الإسراء]، من الأنوار من عنصر نوره مستمدة، والآثار تخلق وآثاره مستجدة، من طوى بساط الوحى لفقده، وسد باب الرسالة والنبوة من بعده، وأوتى جوامع الكلم فوقفت البلغاء - حسرى - دون حده الذى انتقل فى الغرر الكريمة نوره، وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره، وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره، وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته. وأخذ عهد الإيمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته. المفزع الأمنع يوم الفزع الأكبر، والسند المعتمد عليه فى أهوال المحشر، ذو المعجزات التى أثبتتها المشاهدة والحس، وأَقَرَّ بِهَا الجن والإنس: من جماد يتكلم، وجذع لفراقه يتألم، وقمر له ينشق، وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق، وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس، وماء من بين أصابعه يتبجس، وغمام باستسقائه يصوب، وطوى بصق فى أجاجها فأصبح ما ؤها وهو العذب الشروب. المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب المسمى بالحاشر العاقب، ذو المجد البعيد المرامى

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «وعصته» وصوابه من نفح الطيب.

والمراقب، أكرم من رفعت إليه وسيلة المعترف المغترب، ونجحت لديه قربة البعيد المقترب. سيد الرسل، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذى فاز بطاعته المحسنون. واستنفذ بشفاعته المذنبون، وسعد باتباعه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ﷺ ما لمع برق، وهمع ودق، وطلعت شمس، ونسخ اليوم أمس:

مِنْ عَتِيق[1] شفاعته، وعبد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفى بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذى إن ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله، وإن هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله، وإن سمع الآذان تذكر صوت بلاله، وإن ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين معاهده وخلاله. لإثم تربه، ومؤمل قربه، ورهين طاعته وحبه، المتوسل به إلى رضى الله به، يوسف بن إسماعيل بن نصر.

كتبه إليك يا رسول الله والدمع ماح، وخيل الوجد ذات جماح، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر، وانكسار لا يتاح له إلا بدنو مزارك الجبر، وكيف لا يعيى مشوقك الأمر، وتوطأ على كبده الجمر، وقد مطلت الأيام بالقدوم على تربتك المقدسة اللحد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد، وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ما اكتحلت، والركائب إليك ما رحلت، والعزائم قالت وما فعلت، والنواظر فى تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، وطيور الآمال عن وكور العجز لم تبرح، فيا لها من معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رياها، بلاد نيطت بها عليك التمائم، وأشرقت بنورك منها النجود والتهائم، ونزل فى حجراتها عليك الملك، وانجلى بضياء

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٦١.

فرقانك فيها الحلك، مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة الغرر، حيث قضيت الفروض وحتمت، وافتتحت بسورة الوحى وختمت، وابتدئت الملة الحنفية وتممت، ونسخت الآيات وأحكمت.

أما والذى بعثك بالحق هاديا، وأطلعك للخلق نورا باديا، لا يطفئ غلتى إلا شربك، ولا يسكن لوعتى إلا قربك، فما أسعد من أفاض من حرم الله إلى حرمك، وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك، وعفر الخد فى معاهدك ومعاهد أسرتك، وتردد ما بين دارى بعثتك وهجرتك. وإنى لما عاقتنى عن زيارتك العوائق - وإن كان شغلى عنك بك، وعدتنى الأعداء فيك عن وصل سببى بسببك، وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه، وعدو تتكاثف أفواجه، ويحجب الشمس عند الظهيرة عجاجه، فى طائفة من المؤمنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم، ورفعوا إلى مصارختك رءوسهم، واستعذبوا فى مرضاة الله ومرضاتك بؤسهم، يطيرون من هيعة إلى أخرى، ويلتفتون والمخاوف عن يمنى ويسرى، ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر وكسرى، لا يبلغون من عدو هو الذر عند انتشاره، عشر معشاره، قد باعوا من الله الحياة الدنيا، لأن تكون كلمة الله هى العليا. فيا له من سرب مروع، وصريخ إلا منك ممنوع، ودعاء إلى الله وإليك مرفوع، وصبية حمر الحواصل، تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل، والصليب قد تمطى فمد ذراعيه، ورفعت الأطماع بضَبْعَيه، وقد حجبت بالقتام السماء، وتلاطمت أمواج الحديد، والبأس الشديد، فالتقى الماء، ولم يبق إلا الذماء، وعلى ذلك فما ضعفت البصائر ولا ساءت الظنون، وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده

العيون، إلى أن نلقاك غدا - إن شاء الله - وقد أبلينا العذر، وأرغمنا الكفر، وأعملنا فى سبيل الله وسبيلك البيض والسمر - استنبتُ[1] رقعتى هذه لتطير إليك من شوقى بجناح خافق، وتسعد من نيتى التى تصحبها برفيق موافق، فتؤدى عن عبدك وتبلغ، وتعفر الخد فى تربك وتمرغ، وتطيب بريا معاهدك الطاهرة وبيوتك، وتقف وقوف الخضوع والخشوع تجاه تابوتك، وتقول بلسان التملق، عند التشبث بأسبابك والتعلق، منكسرة الطرف، حذرا بهرجها من عدم الصرف: يا غياث الأمة وغمام الرحمة، ارحم غربتى وانقطاعى، وتغمد بطولك قصر باعى، وقو على هيبتك خور طباعى، فكم جزت من لج مهول، وجبت من حزون وسهول، وقابل بالقبول نيابتى، وعجل بالرضا إجابتى، ومعلوم من كمال تلك الشيم وسجايا تلك الديم، أن لا يخيب قصد من حط بفنائها، ولا يظمأ وارد أكب على إنائها.

اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشورة، وملكت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة، وجعلتنى من أمته المجبولة على حبه المفطورة، وشوقتنى إلى معاهده المبرورة، ومشاهده المزورة، ووكلت لسانى بالصلاة عليه، وقلبى بالحنين إليه، ورغبتنى بالتماس ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابى، ولا تحرمنى فى حبه أجر ثوابى، وتداركنى بشفاعته يوم أخذ كتابى.

هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت[2] داره، وشط مزاره، ولم يجعل بيده اختياره، فإن لم تكن للقبول أهلا فأنت للإغضاء والسماح أهل، وإن كانت ألفاظها وعرة فجنابك للقاصدين سهل، وإن كان الحب يتوارث كما أخبرت، والعروق تدس حسبما إليه أشرت، فلى بانتسابى إلى سعد عميد

(١) استبت جواب «لما» التى وقعت قبل سطور عديدة.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «وسيلة ن بعدت» وصوابه من نفح الطيب.

أنصارك مزية، ووسيلة أثيـرة خفية، فإن لم يكن لى عمل ارتضـيته فلى نية. فلا تنسنى ومن بهذه الجزيرة المفتتحـة بسيف كلمتك، على أيدى خيار أمتك، فإنما نحن بـها وديعة تحت بعض أقـفالك، فنعـوذ بوجه ربك من إغـفالك، ونستنشق من ريح عنايتك نفـحة، ونرتقب من محيا قبـولك لمحة، ندافع بها عدوا طغى وبغى، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى، فمواقف التمحيص قد أعيت من كتب وورخ، والبـحر قد أصـمت من استـصرخ، والطاغيـة فى العدوان مـستـبصـر، والعدو مـحلق والولى مـقصـر، وبجاهك ندفع مـا لا نطيق، وبعنايتك نعالج سقـيم الدين فيفيق. فلا تفـردنا ولا تهملنا، وناد ربك فينا: ربنا ولا تحملنا، وطوائف أمتك حيث كـانوا عناية منك تكفيهم، وربك يقول لك وقوله الحق: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم»، والصلاة والسلام عليك يا خـير من طاف وسـعى، وأجاب داعـيا إذا دعـا. وصلى الله على جمـيع أحـزابك وآلك، صلاة تلـيق بجلالك وتحق لكـمالك، وعلى ضـجـيعـيك وصديقيك وحبيبيك ورفيقيك، خليفتك فى أمتك، وفاروقك المستخلف بعده على جلتك، وصـهرك ذى النوريـن المخصـوص ببرك وتجلتك، وابن عـمك سـيفك المسلول علـى حلتك، بدر سمـائك ووالد أهلتك. والسـلام الكريم عليك وعليـهم كثـيرا أثيـرا، ورحمة الله وبـركاته. وكتـب بحضرة جـزيرة الأندلس غرناطة - صانها الله ووقاها، ودفع عنها ببركتك كيد عداها.

ونص الرسالة الثانية المكتوبة عن الغنى بالله - سامحه الله:

دعـاك بأقـصى المغـــربين غـريب وأنت على بـعـد المزار قـــريبُ[1]

مـدل بأسـبـــاب الرجـاء وطرفـه غضـيض على حكم الحيـاء مريب

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٦١.

يكلف قرص البدر حمل تحية ... إذا ما هوى والشمس حين تغيبُ

لترجع من تلك المعالم غدوة ... وقد ذاع من رد التحية طيب

ويستودع الريح الشمال شمائلا ... من الحب لم يعلم بهن رقيب

ويطلب فى جوب الجنوب جوابها ... إذا ما أطلت والصباح جنيب

وَيَسْتَفهم[1] الكَفَّ الخضيبَ ودمعه ... غراما بحناء النجيع خضيب

ويتبع آثار المطى مشيعا ... وقد زمزم الحادى وحن نجيب

إذا أثر الأخفاف لاحت محاربا ... يخر عليها راكعا وينيب

ويلقى ركاب الحج وهى قوافل ... طلاح وقد لبى النداء لبيب

فلا قول إلا أَنَّةٌ وتوجع ... ولا حول إلا زفرة ونحيب

غليل ولكن من قبولك منهل ... عليل ولكن من رضاك طبيب

ألا ليت شعرى والأمانى ضلة ... وقد تخطئ الآمال ثم تصيب

أينجد نجد بعد شحط مزاره ... ويكثب بعد البعد منه كثيب

وتقضى ديونى بعد ما مطل المدى ... وينقذ بيعى والمبيع معيب

وهل اقتضى دهرى فيسمح طائعا ... وأدعو بخطى مسمعا فيجيب

ويا ليت شعرى هل لحومى مورد ... لديك وهل لى فى رضاك نصيب

ولكنك المولى الجواد وجاره ... على أى حال كان ليس يخيب

وكيف يضيق الذرع يوما بقاصد ... وذاك الجانب المستجار رحيب

وما هاجنى إلا تألق بارق ... يلوح بفود الليل منه مشيب

---

(١) هذا الصواب من نفح الطيب، وفى المطبوع: «وسيتفهم» ولا يستقيم به الوزن، والبيت من الطويل.

obeikandi.com

ذكـرت به ركب الحـجاز وجـيـزة أهاب بهـا نحـو الحـبيب مـهـيب
فـبت وجـــفنى من لآلئ دمـــعـه غنى وصـبـرى للشـجـون سليب
ترنحنى الذكرى ويهـفو بى الجوى كما مـال غصن فى الرياض رطيب
وأحـضـر تعليـلا لـشـوقى بالمنى ويطرق وجـــد غـالب فـأغـــيب
منـائى لو أعطـى الأمـــانى زورة يبـث غـــرام عنـدها ووجـــيب
فـقـول حبـيب إذ يقـول تشـوقـا "عـسى وطن يدنو" إلى حـبـيب
تعجبت من سيفى وقد جاوز الغضى بقلـب فلم يسكـبـه مـنه مـــذيب
وأعـجب أن لا يورق الرمح فى يدى ومن فـوقه غـيث الشئـون سكيب
فيا سـرح ذاك الحى لو أخلف الحيا لأغناك من صوب الدمـوع صبيب
ويا هاجـر الجـو الجـديـب تلبـثـا فعـهدى رطب الجـانبين خـصيب
ويا قـارح الزند الشـحـاح ترفـقـا عليك فـشـوقى الخارجى شـبـيب
أيا خـــاتم الرسل المكين مكـانه حديث الـغريب الدار فيـك غريب
فـؤاد على جـمر الـبعـاد مـقلب يمـــاح عـليـــه للدمـــوع قـليب
فـــوالله مـــا يزداد إلا تـلهـــبـــا أأبصـــرت مـاء ثـار عنه لهـــيب
فليـلتـــه ليل السـليم ويومـــهـــا إذا شد للشـوق العصاب عـصيب
هواى هدى فـيك اهـتـديت بنوره ومنتـسـبى للصـحب منك نسـيب
وحسـبى على أنى لصحـبك منتم وللخـــزرجـيـين الكرام نـسـيب
عدت عن مغانيك المـشوقة للعدى عـــقـارب لا يخـــفى لهـن دبيب

حـراص على إطفـاء نور قـدحتـه فـمـسـتلب من دونه وسـليب
فكم من شهـيد فى رضاك مـجدل يـظلـله نـسـر ويـنـدبه ذيـب
تمر الرياح الغـفـل فـوق كلومـهم فـتـعـبق من أنفـاسـهـا وتطيب
بنصرك عـنك الشغل من غـير منة وهل يتـساوى مشـهـد ومغـيب
فـإن صح منك الحظ طاوعت المنى ويبعـد مرمى السهم وهو مـصيب
ولولاك لم يعجـم من الروم عودها فعـود الصليب الأعجـمى صليب
وقد كـانت الأحوال لولا مـراغب ضـمنـت ووعـد بالظهـور تريب
فـما شـئت من نصر عـزيز وأنعم أثاب بـهن المؤمنـين مـثـيب
منابر عـز أذن الفـتـح فـوقـهـا وأفـصح للعـضب الطـرير خطيب
تقـود إلى هيـجـائهـا كل صـاهل كـما ريع مكحـول اللحـاظ ربيب
ونجتـاب من سرد اليـقين مـدارعا يكفـتـهـا من يجـتـبـى ويثـيب
إذا اضطرب الخطى حـول غـديرها يروقك مـنهـا لجـة وقـضـيب
فعـذرا وإغضاء ولا تنس صـارخا بعـزك يرجـو أن يجيب مـجيب
وجـاهك بعـد الله نرجـو وإنه لحظ مـلىء بالـوفـاء رغـيب
عليك صـلاة الله ما طـيب الفضـا عـليـك مطـيل بـالثـناء مـطيـب
ومـا اهتـز قـد للغـصـون مـرنح ومـا افـتـر ثغـر للـبـروق شنيب

إلى حـجة[1] الله المؤيدة ببراهين أنواره، وفـائدة الكون ونكتة أدواره، وصفـوة فرع البشـر ومنتهى أطواره. إلى المجـتبى وموجـود الوجود لم يغن

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٦٣.

بمطلق الوجود عديمه. والمصطفى من ذرية آدم من قبل أن يكسو العظام أديمه المحتوم فى القدم، وظلمات العدم، عند صدق القدم، تفضيله وتقديمه، إلى وديعة النور المنتقل إلى الجباه الكريمة والغرر، ودرة الأنبياء التى لها الفضل على الدرر، وغمام الرحمة الهامية الدرر، إلى مختار الله المخصوص باجتبائه، وحبيبه الذى له المزية على أحبابه، من ذرية أنبياء الله آبائه، إلى الذى شرح صدره وغسله، ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله، وأتم عليه إنعامه الذى أجزله، وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله. إلى بشرى المسيح والذبيح، ومن له التجر الربيح، المنصور بالرعب والريح، المخصوص بالنسب الصريح. إلى الذى جعله فى المحول غماما، وللأنبياء إماما، وشق صدره لتلقى روح أمره غلاما، وأعلم به فى التوراة والإنجيل إعلاما، وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما. إلى الشفيع الذى لا ترد فى العصاة شفاعته، والوجيه الذى قرنت بطاعة الله طاعته، والرءوف الرحيم الذى خلصت إلى الله فى أهل الجرائم ضراعته، صاحب الآيات التى لا يسع ردها، والمعجزات التى أربى على الألف عدها: من قمر شق، وجذع حن له وحق، وبنان يتفجر بالماء، فيقوم برى الظمأ وطعام يشبع الجمع الكثير يسيره، وغمام يظل به مقامه ومسيره، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض، وأول من تنشق عنه الأرض، وسيلة الله التى لولاها ما أقرض القرض، ولا عرف النفل والفرض، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، المحمود الخلال من ذى الجلال، والشاهدة بصدقه صحف الأنبياء وكتب الأرسال، وآياته التى أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال. ﷺ ما ذر شارق، وأومض بارق، وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق، صلاة تتأرج على شذى

الزهر، وتتبلج عن سنى الكواكب الزهر، وتتردد بين السر والجهر، وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر، وتدوم بدوام الدهر:

من عبد هداه ومستقرى مواقع نداه، ومزاحم أبناء أنصاره فى منتداه، وبعض سهامه المفوقة إلى نحور عداه، مؤمل العتق من النار بشفاعته، ومحرز طاعة الجبار بطاعته، الآمن باتصال رعيه من إهمال الله وإضاعته. متخذ الصلاة عليه وسائل نجاة، وذخائر فى الشدائد مرتجاة، ومتاجر بضائعها غير مزجاة، الذى ملأ بحبه جوانح صدره، وجعل فكره هالة لبدره، وأوجب حقه على قدر العبد لا على قدره، محمد بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى، نسيب سعد بن عبادة من أصحابه، وبوارق سحابه، وسيوف نصرته، وأقطاب دار هجرته، ظلله الله يوم الفزع الأكبر من رضاك عنه بظلال الأمان، كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والإيمان، وجعله من أهل السياحة فى فضاء حبك والهيمان.

كتبه إليك يا رسول الله، واليراع يقتضى مقام الهيبة صفرة لونه، والمداد يكاد أن يحول سواد جونه، وورقة الكتاب يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم وصونه، والدمع يقطر فتنقط به الحروف وتفصل الأسطر، وتوهم المثول بمثواك المقدس لا يمر بالخاطر سواه ولا يخطر، عن قلب بالبعد عنك قريح، وجفن بالبكاء جريح، وتأوه عن تبريح، كلما هب من أرضك نسيم ريح، وانكسار ليس له إلا جبرك، واغتراب لا يؤنس فيه إلا قربك وإن لم يقض فقبرك، وكيف لا يسلم فى مثلها الأسى، ويوحش الصباح والمسا، ويرجف جبل الصبر بعد ما رسا، لولا لعل وعسى، فقد سارت الركاب إليك ولم يقض مسير، وحومت الأسراب عليك والجناح كسير، ووعدت الآمال فاختلفت، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت، ولم تحصل النفس من

تلك المعاهدات ذات الشرف الأثيل، إلا على التمثيل، ولا من المعالم الملتمسة التنوير، إلا على التصوير، مهبط وحى الله ومتنزل أسمائه، ومتردد ملائكة سمائه، ومدافن أوليائه، وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه، رزقنى الله الرضا بقضائه، والصبر على جاحم البعد ورمضائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الإسلام بالأندلس قاصية سيلك، ومسبحة رجلك يا رسول الله وخيلك، وأنأى مطارح دعوتك، ومساحب ذيلك، حيث مصاف الجهاد فى سبيل الله وسبيلك قد ظللها القتام، وشهبان الأسنة أطلعها منه الإعتام، وأشواق بيع النفوس من الله قد تعدد بها[1] الأيامى والأيتام، حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور، والشهداء تحف بها الحور: والأمم القريبة قد قطعتها على المدد البحور، حيث المباسم المفترة، تجلوها المصارع البرة، فتحييها بالعراء ثغور الأزاهر، وتندبها صوادح الأدواح برنات تلك المزاهر، وتحلى السحاب أشلاءها المعطلة من طلها بالجواهر، حيث الإسلام من عدوه المكايد بمنزلة قطرة من عارض غمام، وحصاه من ثبير أو شمام، وقد سدت الطريق، وأسلم للفراق الفريق، وأغص الريق، ويئس من الساحل الغريق، إلا أن الإسلام بهذه الجهة المستمسكة بحبل الله وحبلك، المهتدية بأدلة سبلك سالم، - والحمد لله - من الانصداع، محروس بفضل الله من الابتداع، مقدود من جديد الملة، معدوم فيه وجود الطوائف المضلة، إلا ما يخص الكفر من هذه العلة، والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القلة، ولهذه الأيام - يا رسول الله - أقام الله أوده برا بوجهك الوجيه ورعيا، وإنجازا لوعدك وهو الذى لا يخلف وعدا ولا يخيب سعيا، وفتح لنا فتوحا أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب، وبشرتنا منه تعالى بتغمد التقصير ورفع التثريب، ونصرنا - وله المنة - على عبدة الصليب، وجعل لألفنا الردينى ولأمنا السردى حكم

(١) هذا المثبت من نفح الطيب، وفى المطبوع: «لها».

التغليب وإذا كانت الموالى التى طوقت الأعناق مِنَنُهـا، وقررت العوائد الحسان سيـرها وسننها، تبـادر إليهـا نوابها الصـرحاء وخدامـها النصـحاء بالبـشائر والمسرات التى تشاع فى العشائر، وتجلو لديها نتـائج أيديها، وغايات مباديها، وتتاحفها وتهاديها، بمجانى جناتها وأزهار غواديها، وتطرف محاضرها بطرف بواديها. فبـابك يا رسول الله أولى بذلك وأحق، ولك الحق الحق، والحر منا عبدك المسـترق، حسبـما سجله الرق، وفى رضاك من كل مـا يلتمس رضاه المطمع، ومثـواك المجمع، وملوك الإسلام فى الحقـيقة عبيـد سدتك المؤملة، وخـول مثـابتك المحسـنات بالحسنات المجـملة، وشـهب تعشـو إلى بدورك المكملة، وبعض سـيوفك المقلدة فى سـبيل الله المحـملة، وحـرسة مـهادك، وسلاح جهادك، وبروق عهادك، وإن مكفول احترامك الذى لا يخفر، وربى إنعامك الذى لا يكفر، وملتحف جاهك الذى يمـحى ذنبه بشفاعتك إن شاء الله يغفـر، يطالع روضة الجنة المفتحـة أبوابها بمثواك، ويفاتح صـوان القدس الذى أجنك وحـواك، وينشر بـضائع الصـلاة عليك بين يدى الضـريح الذى طواك، ويعرض جنـى ما غرست وبذرت، وبصـدق ما بشـرت به لما بشرت وأنذرت، وما انتـهى إليه طلق جهادك، ومـصب عهادك، لتقر عـين نصحك التى أنام العـيـون ساهر هجـوعـها، وأشـبع البطون ورواها ظمـؤها فى الله وجوعـها، وإن كانت الأمـور بمرأى من عين عنايتك، وغـيبهـا متـعرف بين إفصاحك وكنايتك، ومجمله - يا رسول الله - ﷺ، وبلغ وسيلتى إليك، - هو أن الله سبـحانه لما عـرفنى لطفـه الخفى فى التـمحـيص، المقتـضى عدم المحيص، ثـم فى التخـصيص، المعنى بعناية عن التنصـيص، وفق ببـركاتك السارية رحماتها فى القلوب، ووسـائل محبتك العائدة بنيل المطلوب، - إلى استفادة عظة واعتبار، واغتنام إقبال بعد إدبار، ومزيد استبصار، واستعانة بالله

وانتصار، فسكن هبوب الكفر بعد إعصار، وحل مخنق الإسلام بعد حصار، وجرت على سنن السنة، بحسب الاستطاعة والمنة، - السيرة، وجبرت بجاهك القلوب الكسيرة، وسهلت المآرب العسيرة، ورفع بيد العزة الضيم، وكشف بنور البصيرة الغيم، وظهر القليل على الكثير، وباء الكفر بخطة التعثير، واستوى الدين الحنيف على المهاد الوثير، فاهتبلنا - يا رسول الله - غرة العدو وانتهزناها، وشمنا صوارم عزة الغدو وهززناها، وأزحنا علل الجيوش وجهزناها.

فكان مما ساعد عليه القدر، والحظ المبتدر، والورد الذى حسن بعد الصدر، أننا عاجلنا مدينة بُرْغَه[1]، وقد جرعت الأختين مالقة ورندة، من مدائن دينك، ومزاين ميادينك، أكواس الفراق، وأذكر مثل من بالعراق، وسدت طرق التزاور عن الطراق، وأسالت المسيل بالنجيع المرافق، فى مراصد المراد والمراق، ومنعت المراسلة مع هدى الحمام، لا بل مع طيف المنام، عند الإلمام، فيسر الله اقتحامها، وألحمت بيض الشفار فى زرق الكفار إلحامها، وأزل بَشْرُ السيوف من بين تلك الحروف اقتحاما، فانطلق المسرى، واستبشرت القواعد الحسرى، وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصرعى ومثاقف الأسرى، والحمد لله على فتحه الأسنى، ومنحه الأسرى، ولا إله إلا هو منفل قيصر وكسرى، وفاتح مغلقاتهما المنيعة قسرا، واستولى الإسلام منها على قرار جنات، وأم بنات، وقاعدة حصون، وشجرة غصون، طهرت مساجدها المغتصبة المكرهة، وفجع بحفظها الفيل الأفيل وأبرهة، وانطلقت بذكر الله الألسنة المدرهة، وفاز بسبق ميدانها جيادك الفرهة.

هذا - وطاغية الروم على توفر جموعه، وهول مرئيه ومسموعه، - قريب جواره، بحيث يتصل خواره، وقد حرك إليها الحنين حواره، ثم نازل

(١) برغه: بين مالقة ورندة.

المسلمون بعدها شجا الإسلام الـذى أعيا النطاسى علاجه، وكرك[1] هذا القطر الذى لا تطاول أعـلامـه ولا تصـاول أعلاجـه، وركـاب الغـارات التى تطوى المراحل إلى مكايدة المسلمين طى البرود، وحـجر الحيات التى لا تخلع - على اخـتـلاف الفـصـول - جلود الزرود، ومنـعص الورود، فى العـذب المورود، ومقض المضاجع، وحلم الهـاجع، ومجهز الخطب الفاجئ الفاجـع، ومستدرك فاتكة الراجع، قبل هبوب الطائر الساجع، حصن آشر[2]، - حماه الله - دعاء لا خبرا، كـما جعله للمتفكرين فى قـدرته معتبرا، فأحـاطوا به أحاطه القلادة بالجيد، وأذلوا عزته بعزة ذى العرش المجيد، وحفت به الرايات يسمها وسَمْكُ، ويلوح فى صفحاتها اسم الله واسمك، فـلا ترى إلا نفوسا تتزاحم على موارد الشهادة أسرابها، وليوثا يصدق فى الله تعـالى ضرابها، وأرسل الله عليها رجسا إسرائيليـا من جراد السهام، تشـذ آياته عن الأفهام، وسدد إلى الحـيل النفوس القابلة للإلهام، من بعد الاستغلاق والاستـبهام، وقد عبثت جوارح صخوره[3] فى قنائص إلهام، وأعيا صَعْبُه[4] الجيش اللُّهام، فأخذ مَسَائِغَهُ النقض والنقب، ورغا فوق أهله السقب، ونصـبت المعارج والمراقى، وفرغت المناكب والتراقى، واغتنم الصادقون مع الله الحظ الـباقى، وقال الشهيد المسابق: يا فـوز استباقى! ودخل البلد فألحم السيف، واستلب البحث والزيف، ثم اسـتخلصت القصبة، فعلت أعلامك فى أبراجها المشيدة، وظفر ناشد دينك منها بالنشيدة، وشكر الله فى قصدها مساعى النصائح الرشـيدة، وعمل ما يرضيك - يا رسول الله - فى سد ثلمها، وصون مـستلمها، ومداواة ألمها، - حرصا على الاقـتداء فى مثلها بأعمالك، والاهتداء بمشكاة كمالك، ورتب فـيها الحماة تشجى العدو، وتصل فى مرضاة الله تعالى ومرضاتك برواحها الغدو.

---

(١) شبهه بحصن الكرك، وكان ذا شأن ومنعة فى الحروب الصليبية.

(٢) حصن آشر، فى الجنوب الشرقى لحصن روطة، على ضفة رافد من روافد شنيل.

(٣) هذا الصـواب من نفح الطـيب ج٦ ص ٣٦٩ والذى فى المطبـوع: «ضـخـوره» بالضـاد المعجمة.

(٤) هذا المثبت من نفح الطيب، والذى فى المطبوع: «صعبة».

ثم[1] كان العزو إلى مدينة إطريرة[2]، بنت حاضر الكفر إشبيلية، التى أظلتها بالجناح الساتر، وأقامتها فى ضمان الإمام للحسام الباتر، وقد وتر الإسلام من هذه المومسة البائسة بالوتر الباتر، وأُحفظ منها بأذى الوقاح المهاتر، لما جرته على أسراره من عمل الخاتل الخاتر، حسب المنقول المقبول لا بل المتواتر، فطوى إليها المسلمون المدى النازح، ولم تشك المطى الروانح، وصدق الجِّد جَدها المازح، وخفقت فوق أوكارها أجنحة الأعلام، وغشيتها أفواج الملائكة المسومة، وظلال الغمام، وصابت من السهام، ودق الرهام، وكاد يكفئ السماء على الأرض ارتجاج أجوائها بكلمة الإسلام، وقد صَمَّ خاطبُ عروس الشهادة عن الملام، وسمح بالعزيز المصون مبايع الملك العلام، وتكلم لسان الحديد الصامت وصمت إلا بذكر الله لسان الكلام، ورفعت الأوتار بالأوتار، ووصل بالخطى ذرع الأبيض البتار، وسلطت النار على أربابها، وأذن الله فى تبار تلك الأمة وتبابها، فنزلوا على حكم السيف آلافا، بعد أن أتلفوا بالسلاح إِتلافا، واستوعب المقاتلة كتافا، وقرنوا فى الجدل أكتافا أكتافا، وحملت العقائل والخرائد، والولدان والولائد، أركابا من فوق الظهور وأردافا، وأفلت منها أفلاك الحمول بدورا تضىء من ليالى المحاق أسدافا، وامتلأت الأيدى من المواهب والغنائم، بما لا يصوره حلم النائم، وتركت العوافى تتداعى إلى تلك الولائم، وتفتن من مطاعمها فى الملائم.

وشنت الغارات على حمص، فجللت خارجها مغارا وكست كبار الروم

---

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٦٩.

(٢) إطريرة Utrera مدينة تقع فى الجنوب الشرقى لإشبيلية، وقد ضبطت بكسر الهمزة وسكون الطاء.

بها صاغرا، وأجحرت أبطالها إجحارا، واستاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحارًا.

ولم يكن[1] إلا أن عدل القسم، واستقل بالقفول العزيز الرسم، ووضح من التوفيق الوسم، وكانت الحركة إلى قاعدة جيان، قيعة الظل الأبرد، ونسيجة المنوال المفرد، وكنائس الغيد الخرد، وكرسى الإمارة، وبحر العمارة، ومهوى هوى الغيث الهتون، وحزب التين والزيتون، حيث خندق الجنة تدنو لأهل النار مجانيه، وتشرق بشواطئ الأنهار أشراق الأزهار زهر مبانيه، والقلعة التى تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم، وهمت من دون سحابها البيض سحائب الغيث السجوم، والعقيلة التى أبدى الإسلام يوم طلاقها، وهجوم فراقها، سمة الوجوم، لذلك الهجوم، فرمتها البلاد المسلمة فأفلاذ أكبادها الوادعة، وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادعة، وحيتها بالفادحة الفادعة، فغصت الربا والوهاد بالتكبير والتهليل، وتجاوبت الخيل بالصهيل، وانهالت الجموع المجاهدة فى الله انهيال الكثيب المهيل، وفهمت نفوس العباد، المجاهدة فى الله حق الجهاد، معانى التيسير من ربها والتسهيل، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل، وأربت المحلات المسلمة على التأميل، ولما صبحتها[2] النواصى المقبلة الغرر، والأعلام المكتنفة الطرر، برز حاميتها مصحرين، وللحوزة المستباحة منتصرين، فكاثرهم من سرعان الأبطال رجل الدبا، ونبت الوهاد والربى، فأقحموهم من وراء السور، وأشرعت أقلام الرماح فى بسط عددهم المكسور، وتركت صرعاهم ولائم للنسور، ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم ففرعوه، وجَدَّلُوا مَن دافع عن أسواره[3]

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٠.

(٢) هذا المثبت من النفح، وفى المطبوع: «صحبتها».

(٣) هذا الصواب من النفح، والذى فى المطبوع: «وجدلوا من دوافع أسراره».

وصـرعوه، وأكـواس الحتـوف جرعـوه، ولم يتصل أولى الناس بأخـراهم، ويحمد بمخيم النصر العزيز سراهم، حتى خذل الكافر الصبر، وأسلم الجلد، وأنزل المسلمون على النصر، فدخل البلد، وطاح فى السيل الجارف الوالد منه والولد، وأتهم المطرف والمتلد، فكان هولا بعيد الشناعة، وبعثا كقيام الساعة، أعجل المجانيق عن الركوع والسجود، والسلالم عن مطاولة النجود، والأيدى عن ردم الخنادق والأغـوار والأكـبش عن مـناطحـة الأسـوار، والنفـوط عن إصعـاق الفجار، وعـمد الحديد، ومـعاول البأس الشـديد، عن نقب الأبراج ونقض الأحجار، فهيلت الكثبان، وأبيـد الشيب والشبان، وكسرت الصلبان، وفـجع بهدم الكنائـس الرهبان، وأهبطت الـنواقيس من مـراقيـهـا العاليـة، وصروحـها المتـعاليـة وخلعت ألسنتهـا الكاذبة، ونقل مـا استطاعـته الأيدى المجاذبة، وعجـزت عن الأسلاب ذوات الظهور، وجلل الإسلام شـعار العز والظهور، بما خلت عن مـثله سوالف الدهور والأعوام والشهـور، وأعرست الشهداء ومن النفـوس المبيعة من الله نحل الصدقـات والمهور، ومن بعد ذلك هدم السور، ومحـيت من محيطه المحكم - السطور، وكاد يسـير ذلك الجبل الذى اقـتعـدته المدينة ويدك ذلك الطور، ومن بعدمـا خرب الـوجار عـقرت الأشجـار، وعفر المنار، وسلطت على بنات التـراب والماء النار، وارتحل عنها المسلمون وقـد عمـتها المصـائب، وأصمى لبـتها السـهم الصائب، وظللتـها القشـاعم العصائب، فـالذئاب فى الليل البهـيم تعسل، والضبـاع من الحدب البعيـد تنسل، وقد ضاقت الجُدُلُ عن المخانق، وبيع العـرض الثمين بالدانق، وسبكت أسـورة الأسوار، وسويت الهضـاب بالأغوار، واكتسـحت الأحواز القاصـيـة سرايا الغوار، وحجـبت بالدخان مطالع الأنوار، وتخلفت قاعـتها عبـرة للمعـتبرين، وعظة للناظرين، وآية للمستبصرين، ونادى لسان الحمية:

يا لثارات الإسكندرية! فأسمع آذان المقيمين والمسافرين وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين.

ثم كانت[1] الحركة إلى أختها الكبرى، ولدتها الحزينة عليها العبرى، مدينة أُبَّدة ذات العمران المستبحر، والربض الخرق المصحر، والمبانى الشم الأنوف وعقائل المصانع الجمة الحلى والشنوف، والغاب الأنوف، بلدة التجر، والعسكر المجر، وأُفق الضلال الفاجر، الكذب على الله تعالى الكاذب الفجر، فخذل الله حاميتها التى يعيى الحسبان عدها، وسجر بحورها التى لا يرام مدها، وحقت عليها كلمة الله التى لا يستطاع ردها، فدخلت لأول وهلة، واستوعب جمها - والمنة لله - فى نهلة، ولم يك للسيف من عطف عليها ولا مهلة، فلما تناولها العفاء والخريب، واستباحها الفتح القريب، وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب، وأقعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب، وأضرعت مسايفها لهول المصاب، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذى عظم صيته، والعز الذى سما طرفه واشرأب ليته، والعزم الذى حمد مسراه ومبيته، والحمد لله ناظم الأمر، وقد رأب شتيته، وجابر الكسر، وقد أفات الجبر مفيته.

ثم كان الغزو إلى أم البلاد[2]، ومثوى الطارف والتلاد، قرطبة وما قرطبة! المدينة التى على عمل أهلها فى القديم، بهذا الإقليم، كان العمل، والكرسى الذى بعصاه رعى الهمل، والمصر الذى له فى خطة المعمور الناقة والجمل، والأفق الذى هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل، فخيم الإسلام

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٢.

(٢) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٣.

بعقوتها المستباحة، وأجاز نهرها المعين على السباحة، وعم دوحها الأشب بوارا، وأدار الكماة بسورها سوارا، وأخذ بمخنقها حصارا، وأعمل النصر بشجر نصلها اجتناء ما شاء واهتصارا، وجدل من أبطالها من لم يرض انجحارا، فأعمل إلى المسلمين إصحارا، حتى فرع بعض جهاتها غلابا جهارا، ورفعت الأعلام أعلاما بعز الإسلام وإظهارا، فلولا استهلال الغوادى، وأن أتى الوادى، لأفضت إلى فتح الفتوح تلك المبادى، ولقضى تفثه العاكف والبادى، - فاقتضى الرأى - ولذنب الزمان فى اغتصاب الكفر إياها متاب، تعمل ببشراه - بفضل الله - أقتاد وأقتاب «ولكل أجل كتاب»، - أن يراض صعبها حتى يعود ذلولا، وتعفى معاهدها الآهلة فتترك طلولا، فإذا فجع الله بمارج النار طوائفها المارجة، وأباد بخارجها الطائرة والدراجة، خطب السيف منها أم خارجة[1]، فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار - ومفارق الهضاب بالهشيم قد شابت، والغلات المستغلاة قد دعا بها القصل فما ارتابت، وكأن صحيفة نهرها لما أضرمت النار حقا فى ظهرها ذابت، وحيته فرت أمام الحريق فانسابت، وتخلقت لغمائم الدخان عمائم تلويها برءوس الجبال أيدى الرياح وتنشرها بعد الركود أيدى الاجتياح، وأغربت بأقطارها الشاسعة، وجهاتها الواسعة، - جنود الجوع، وتوعدت بالرجوع، فسلب أهلها لتوقع الهجوم منزور الهجوع، فأعلامها خاشعة خاضعة، وولدانها لثدى البؤس راضعة، والله يوفد بخبر فتحها القريب، ركائب البشرى، وينشر رحمته قبلنا نشرا.

ثم تنوعت[2] يا رسول الله - لهذا العهد - أحوال العدو تنوعا يوهم إفاقته من الغمرة، وكادت فتنته تؤذن بخمود الجمرة، وتوقع الواقع، وحذر

(١) يعنى استباحها السيف بسرعة، وفى المثل: «أسرع من نكاح أم خارجة».

(٢) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٤.

ذلك السم الناقع، وخيف الخرق الذى يحار فيه الراقع! فتعرفنا عوائد الله - سبحانه - ببركة هدايتك، وموصول عنايتك، فأنزل النصر والسكينة، ومكن العقائد المكينة، فثابت العزائم وهبت، واطردت عوائد الأقدام واستتبت، وما راع العدو إلا خيل الله تجوس خلاله، وشمس الحق توجب ظلاله، وهداك الذى هديت يدحض ضلاله، ونازلنا حصنى قنبيل والحائر - وهما معقلان متجاوران يتناجى مهما الساكن سرارا، وقد اتخذا بين النجوم قرارا، وفصل بينهما حسام النهر يروق غرارا، والتف معصمه فى حلة العصب وقد جعل الجسر سوارا، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه، وارتفعت أعلام الإسلام بأعلاه، وتبرجت عروس الفتح المبين بمجلاه، والحمد لله على ما أولاه.

ثم تحركنا[1] على تفئة[2]، تعدى[3] ثغر الموسطة على عدوه المساور فى المضاجع، ومصبحه بالفاجئ الفاجع، فنازلنا حصن روطة الآخذ بالكظم، المعترض بالشجا اعتراض العظم، وقد شحنه العدو مددا بئيسا، ولم يأل اختياره رأيا ولا تلبيسا، فأعيا داؤه، واستقلت بالمدافعة أعداؤه، ولما أتلع إليه جيد المنجنيق، وقد برك عليه بروك الفنيق، وشد عصام العزم الوثيق، لجأ أهله إلى التماس العهد والمواثيق، وقد غصوا بالريق، وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق، فسكناه من حامية المجاهدين بمن يحمى ذماره ويقرر اعتماره، واستولى أهل الثغور - إلى هذا الحد - على معاقل كانت مستغلقة فتحوها، وشرعوا أرشية الرماح إلى قلب قلوبها فمتحوها.

ولم[4] تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن الأعراف متراكم الغبار، وترخى عن آباط خيلها شد حزم المغار، حتى عاودت النفوس شوقها،

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٤.

(٢) هذا الصواب من النفح، والذى فى المطبوع «نفيئة» وتفئة: أى على أثر.

(٣) هذا الصواب من النفح، والذى فى المطبوع: «تغرى».

(٤) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٥.

واستتبعت ذوقها، وخطبت التى لا فوقها، وذهبت بها الآمال إلى الغاية القاصية، والمدارك المتصاعبة على الأفكار المتعاصية، فقصدنا الجزيرة الخضراء، باب هذا الوطن الذى منه طرق وداعه، ومطلع الحق الذى صدع الباطل صادعه، وثنية الفتح التى برق منها لامعه، ومشرب الهجوم الذى لم تكن لتعثر على غيره مطامعه، وفرضه المجاز التى لا تنكر، ومجمع البحرين فى بعض ما يذكر، حيث يتقارب الشطان، ويتوازى الخطان، وكاد أن تلتقى حلقتا البطان، وقد كان الكفر قَدَّرَ قدْرَ هذه الفرضة التى طرق حماه، ورماه الفتح الأول بما رماه، وعلم أن لا تتصل أيدى المسلمين بإخوانهم إلا من تلقائها، وأنه لا يعدم المكروه مع بقائها، فاجلب عليها برجله وخيله، وسد أفق البحر بأساطيله، ومراكب أباطيله، بقطع ليله، وتداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من لهواته، أو إمساكها من دون مهراته، فعجز الحول، ووقع بملكه إياها القول، واحتازها قهرا، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهرا، وأطرق الإسلام بعدها أطرق الواجم، واسْوَدَّت الوجوه لخبرها الهاجم، وبكتها حتى دموع الغيث الساجم، وانقطع المدد إلا من رحمة من ينفس الكروب، ويغرى بالإدالة الشروق والغروب، ولما شكنا بشبا الله نحرها، وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الأرض، تكاثر نجوم السماء، برها وبحرها ونازلناها نذيقها شديد النزال، ونحجها بصدق الوعيد فى سبيل الاعتزال، رأينا بَأْوًا لا يظاهر إلا بالله ولا يطال، وممنعة يتحاماها الأبطال، وجنابا رَوَّضَهُ الغيث الهطال، أما أسواقها، فهى التى أخذت النجد والغور، واستعدت بجدال الجلاد عن البلاد فارتكبت الدور، تحوز بحرا من العمارة ثانيا، وتشكك أن يكون الإنسان لها بانيا، وأما أبراجها فصفوف وصنوف، تزين صفحات المسايف منها أنوف، وآذان لها من دوامغ الصخر شنوف، وأما خندقها فصخر مجلوب، وسور مقلوب، فصدقها المسلمون القتال بحسب

محلها من نفوسهم، واقتران اغتصابها ببؤسهم، وأفول شموسهم، فرشقوها من النبال بظلالةٍ تحجب الشمس فلا يشرق سناها، وعرجوا فى المراقى البعيدة يفرعون مبناها، ونفوسها أنقابا، وحصونها عقابا، ودخلوا مدينة إلبنة[1]: بنتها غلابا، وأحسبوا السيوف استدلالا والأيدى اكتسابا، واستوعب القتل مقاتلها السابغة الجنن، البالغة المنن، فأخذهم الهول المتفاقم، وجدلوا كأنهم الأراقم، لم تفلت منهم عين تطرف، ولا لسان يلبى من يستطلع الخبر ويستشرف.

ثم[2] سمت الهمم الإيمانية إلى المدينة الكبرى، فداروا سواراً على سورها، وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها، وأدنوا إليها بالضروب، من حيل الحروب، - بروجا مشيدة، ومجانيق توثق حبالها منها نشيدة، وخفقت بنصر الله عذبات الأعلام، وأهدت الملائكة مدد السلام، فخذل الله كفارها، وأَكْهم[3] شفارها، وقلم بيد قدرته أظفارها، فالتمسوا الأمان للخروج، ونزلوا على مراقى العروج، إلى الأباطح والمروج، عن سمائها ذات البروج، فكان بروزهم من العراء إلى الأرض، تذكرة بيوم العرض، وقد جلل المقاتلة الصغار، وتعلق بالأمان النساء والصغار، وبودرت المدينة بالتطهير، ونطقت المآذن العالية بالأذان الشهير، والذكر الجهير، وطرحت كفارها التماثيل عن المسجد الكبير، وأزرى بألسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير، وأنزلت عن الصروح أجرامها، يعيى الهندام مرامها، وألفى منبر الإسلام بها مجفوا فأنست غربته، وأعيد إليه قربه وقربته، وتلا واعظ الجمع المشهود، قول منجز الوعود، ومورق العود: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا**

(١) مدينة إلبنة: من توابع الجزيرة الخضراء.

(٢) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٦.

(٣) أكهم: أكلّ عن الضرب.

أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) ﴾ [هود]. فكاد الدمع يغرق الآماق، والوجد يستأصل الأرماق، وارتفعت الرغبات، وعلت السيئات، وجىء بأسرى المسلمين يرسفون فى القيود الثقال، وينسلون من أجداث الاعتقال، ففكت عن أسوقهم أساود الحديد، وعن أعناقهم فلكات البأس الشديد، وظللوا بجناح اللطف العريض المديد، وترتبت فى المقاعد الحامية، وأزهرت بذكر الله المآذن السامية، فعادت المدينة لأحسن أحوالها، وسكنت من بعد أهوالها، وعادت الجالية إلى أموالها، ورجع إلى القطر شبابه، ورد على دار الإسلام بابه، واتصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه، فهى اليوم فى بلاد الإسلام قلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أبقى الله عليها وعلى ما وراءها من بيوت أمتك، ودائع الله فى ذمتك، بكلمة دينك الصالحة الباقية, وسدل عليه أستار عصمته الواقية، وعدنا - والصلاة عليك شعار البروز والقفول، وهجيرى الشروق والأفول، والجهاد - يا رسول الله - الشأن المعتمد، ما امتد بالأجل الأمد، والمستعان الفرد الصمد.

ولهذا العهد يا رسول الله - صلى الله عليك، وبلغ وسيلتى إليك - بلغ من هذا القطر المرتدى بجاهك الذى لا يذل من أدرعه، ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذى شرعه، إلى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، ورفع التماثيل ببيوت الله ونصبها، فانجاب[1] عنها بنورك - الحلك، ودار بإدالتها إلى دعوتك الفلك، وعاد إلى مكاتبها القرآن الذى نزل به على قلبك الملك فوجبت مطالعة مقرك النبوى بأحوال هذه الأمة

(١) هذا الصواب من نفح الطيب، والذى فى المطبوع: «فانجلب».

المكفولة فى حجرك، المفضلة بإدارة تجرك، المهتدية بأنوار فجرك، وهل هو إلا ثمرات سعيك، ونتائج رعيك، وبركة حبك، ورضاك الكفيل برضا ربك، وغمام رعدك، وإنجاز وعدك، وشعاع من نور سعدك، وبذر يجنى ريعه من بعدك، ونصر رايتك، وبرهان آيتك، وأثر حمايتك ورعايتك.

واستنبْتُ[1] هذه الرسالة مائحةَ بحرِ الندى الممنوح، ومفاتحه باب الهدى بفتح الفتوح، وفارعة المظاهر والصروح، ملقية الرحل بمتنزل الملائكة والروح، لتمد إلى قبولك يد استمناح، وتطير إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف موقف الانكسار، وإن كان تجرها آمنا من الخسار، وتقدم بأنس القربة، وتحجم بوحشة الغربة، وتتأخر بالهيبة، وتجهش لطول الغيبة، وتقول: ارحم بعد دارى، وضعف اقتدارى، وانتزاح أوطانى، وخلو أعطانى، وقلة زادى، وفراغ مزادى، وتقبل وسيلة اعترافى، وتغمد هفوة اقترافى، وعجل بالرضا انصراف متحملى لانصرافى، فكم جبت من بحر زاخر، وقفر بالركاب ساخر، وحاشا لله أن يخيب قاصدك، أو تتخطانى مقاعدك، أو تطردنى موائدك، أو تضيق عنى عوائدك، ثم تمد مقتضية مزيد رحمتك، مستدعية دعاء من حضر من أمتك، وأصحبتها - يا رسول الله - عرضا من النواقيس التى كانت بهذه البلاد المفتتحة تعيق الإقامة والأذان، وتسمع الأسماع الضالة والآذان، مما قبل الحركة، وسالم المعركة، ومكن من نقله الأيدى المشتركة، واستحق بالقدوم عليك، والإسلام بين يديك، السابقة فى الأزل البركة وما سواها، فكانت جبالا عجز عن نقلها الهندام[2]، فنسخ

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٨.

(٢) الهندام: الآلة.

وجـودها الإعـدام، وهى - يا رسـول الله - جنى مـن جنانك، ورطب من أفنانك، وأثر ظهر عليها من مسحة حنانك.

هذه[1] هى الحال والانتـحال، والعائق أن تشد إليك الرحـال، ويعمل الترحال، إلى أن نلقاك فى عرصات القيـامة شفيعا، ونحل بجاهك - إن شاء الله - محـلا رفيـعا، ونقدم فى زمـرة الشهـداء الدامية كلومـهم من أجلك، الناهلة غللهم فى سـجلك، ونبتـهل إلى الله الذى أطلعك فى سمـاء الهداية سراجا، وأعلى لك فى السبع الطباق معراجا، وأم الأنبياء منك بالنبى الخاتم، وقفى على آثار نجومـها المشرقة بقمـرك العاتم، - أن لا يقطع عن هذه الأمة الغربية أسبابك، ولا يسد فى وجوهها أبوابك، ويوفقها لاتباع هداك، ويثبت أقدامـها على جهاد عـداك، وكيف تعدم ترفـيها، أو تخشى بخـسا - وأنت موفيهـا، أو يعذبها الله - وأنت فيها، وصـلاة الله وسلامه تحط فنائك رحال طيبها، وتهـدر فى ناديك شقاشق خطيبها، - مـا أذكر الصباح الطلق هداك، والغمـام السكب نداك، وما حن مشـتاق إلى لثم ضريحك، وبللت نسـمات الأسحار مما استرقت من ريحك، وكتب فى كذا.

ولنرجع إلى نثر القاضى عياض - رحـمه الله - فنقول: حدث الأستاذ الفقيه النبـيه، الخطيب الأريب، أبو عبد الله محمد ابن الشـيخ الفقيه الخطيب المدرس أبى العبـاس أحمد بن أبى جـمعة الوهرانى، أن والده المذكـور، كان يخطب بخطبة القاضى عـياض أبى الفضل، قال: ومن لفظه حفظتـها، وكان حفظها الوالد المذكور، من خطيب كان عندهم بوهران يسمى محمد بن أحمد ابن خرزوزة القـيسى - رحم الله الجـميع - وهى[2]: الحمد لله الذى افـتتح

(١) نفح الطيب ج٦ ص ٣٧٩.

(٢) نفح الطيب ج٦ ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

بالحمد كلامه، وبين فى سورة «البقرة» أحكامه، ومد فى آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه، وجعل فى الأعراف - أنفال - توبة - يونس، وألر كتاب أحكمت آياته، بمجاورة يوسف الصديق فى دار الكرامة، وسبح الرعد بحمده، وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ليوقن أهل الحجر أنه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه، ولا يظلمون قلامة، وجعل فى حروف كهيعص سرا مكتوما قدم بسببه طه ﷺ - على سائر الأنبياء، ليظهر إجلاله إعظامه، وأوضح الأمر حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلا وصغارا لعظمته، وظهر قصص العنكبوت فآمن به الروم، وأيقنوا أنه كلام الحى القيوم، نزل به الروح الأمين على زين من وافى القيامة، وأفصح لقمان الحكمة بالأمر بالسجود لرب الأحزاب فسبا فاطر السموات أهل الطاغوت، وأكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامة، وأمد ياسين - ﷺ - بتأييد الصافات، فصاد الزمر يوم بدر وأوقع بهم لما أوقع صناديدهم فى القليب بين مكدوس ومكبوب، شالت بهم النعامة، وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدريين - رضى الله عنهم - ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله، فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامة، ذلك بأن أمرهم شورى بينهم، وشغلهم زخرف، الآخرة عن دخان الدنيا فجثوا أمام الأحقاف لقتال أعداء محمد - ﷺ - يمينه وشماله وخلفه وأمامه، فأعطوا الفتح وبوئوا حجرات الجنان، حين تلوا ق والقرآن المجيد، وتدبروا جواب قسم الذاريات والطور، لاَحَ لَهُم نجم الحقيقة، وانشق لهم قمر اليقين، فنافروا السآمة، ذاك بأنهم أمنهم الرحمن إذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لأول الحشر، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامة، أحمده حمد من امتحنته صفوف

الجموع فى نفق التـغابن فطلق الحرمات حـين اعتبر الملك وعامـه، وقد سمع صريف القلم وكأنه بالحاقة والمعارج يمـينه وشماله وخلفه وأمامه، وناح نوح الجن، فـتزمل وتدثر، فـرقـا من يوم القيـامة، وأنـس بمرسلات النبـأ، فنزع العبوس من تحت كور العمامـة، وظهر له بالانفطار التطفيف، فانشقت بروج الطارق بتسبيح الملك الأعلى وغشيته الشهامة، فورب الفجر والبلد، والشمس والليل والضحى: قد انشرحت صدور المتـقين، حين تلوا سورة التين، وعلق الإيمان بقلوبهم، فكل على قدر مقامه يبين، ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليله ونهـاره وصيـامه وقـيامـه، إذا ذكروا الزلزلة، ركـبوا العـاديات ليطفئـوا نار القارعة، ولم يلههم التكاثر حين تلوا سورة العصر والهمزة، وتمثلوا بأصحاب الفيل فلـيعبـدوا رب هذا البيت الذى أطعـمهم من جوع وآمـنهم من خوف، أرأيتهم كيف جـعلوا على رءوسهم من الكون عمامة، فـالكوثر مكتوب لهم والكافـرون خـذلوا وهم نصـروا، وعـدل بهـم عن لهب الطامـة، وبسـورة الإخلاص قروا وسعدوا، وبرب الفلق والناس استـعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامـة، وأشهـد أن لا إله الله وحده لا شـيريك له، وأشـهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة ننال بها منازل الكرامة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما غردت فى الأيك حمامة، وسلم تسليما.

انتهت الخطبة المنسوبة للقاضى - رحمـه الله - حسبما ألفيت ذلك كله فى بعض المقيـدات بفاس المحروسـة، فنقلتهـا كما وجدتـها - وفى قلبى من نسبتها إلى القاضى عياض رحمه الله تعالى - شىء - والله أعلم.

وقد وقـفت على نظيرتها منـسوبة لغيـره بتلمسان، بخط مـولانا الإمام المفتى الخطيب العـلامة شيخ الشيـوخ عمنا سيدى سـعيد بن أحمـد المقرى - صب الله عليه شآبيب رضوانه.

ونصها[1]: الحمد لله الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة، ليصطفى من آل عمران نساء ورجالا وفضلهم تفضيلا، ومد مائدة أنعامه، ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه، وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس فى بطن الحوت سبيلا[2]، ونجى هودا من كربه وحزنه، كما خلص يوسف من جبه وسجنه، وسبح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خليلا، الذى جعل فى حجر الحجر من النحل شرابا نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفى لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلا، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلا، وصدق محمدا - ﷺ - الذى عجزت الشعراء عن صدق نفثه، وشهدت النمل بصدق بعثه، وبين قصص الأنبياء فى مدة مكثه، ونسج العنكبوت عليه فى الغار سترا مسدولا، وملئت قلوب الروم رعبا من هيبته، وتعلم لقمان الحكمة من حكمته، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزم الأحزاب وسباهم، وأخذهم أخذا وبيلا، فلقبه فاطر السموات والأرض بياسين، كما نفذ حكمه فى الصافات، وبين صاد صدقه بإظهار المعجزات، وفرق زمر المشركين، وصبر على أقوالهم وهَجَرَهم هجرا جميلا، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين إذا لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفى دخان الشرك، وخرت المشركون جاثية، كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلا، وأذل الذين كفروا بشدة القتال، وجاء

(١) نفح الطيب ج٧ ص ٣٣٥.

(٢) هذا الصواب فى نفح الطيب، والذى فى المطبوع: «»وجعل ليونس، فى بطن الحوت سبيلا، ونجى التوبة، وجعل ليونس، فى بطن الحوت سبيلا.

الفتح للمـؤمنين والنصر العزيز، وحجـر الحجرات الحريز وبقـاف القدرة قتل الخراصون تقـتيلا، كلم موسى على جبل الطور فارتقى نجـم محمد - ﷺ - فاقـتربت بطاعـته مبـادئ السرور، وأوقع الرحمن واقـعة الصـبح على بساط النور، فتعجـب الحديد من قوته، وكثرت المجادلة فى أمـته، إلى أن أعيد فى الحشر بأحسن مـقيلا، امتحنه فى صف الأنبيـاء وصلى بهم إماما، وفى تلك الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغـابن خسرا وإرغاما، فطلق وحرم، تبارك الذى أعطاه الملك وعلم بالقلم، ورتل القـرآن ترتيلا، وعن علم الحـاقة. كم سأل سائل؟ فـسأل الإيمان، ودعا به نوح فنجـاه الله من الطوفان، وأتت إليه طائفة الجن يستـمعون القرآن، فأنزل عليه: يـأ أيها المزمل قم الليل إلا قليلا، فكم من مدثر يوم القيـامة شفقة على الإنسان إذا أرسل مـرسلات الدمع فعم يتساءلون أهل الكتاب، وما تقبل من نازعـات المشركين إذا عبس عليهم مالك وتولاهم بالعذاب، وكورت الشمس وانفطرت السـماء عن اسم رب السماء، وكانت الجبال كثيبا مهيلا فويل للمطففين إذا انشقت السماء بالغمام، وطويت ذات البروج وطرق طارق الصور بالنفخ للقيام، وعز اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر، فيومئـذ لا بلد ولا شمس ولا ليلا طويلا، فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم إذا عاينوا التين والزيتون وأشـجار الجنة، فسجدوا باقرأ باسم ربك الذى خلق هذا الـنعيم الأكـبـر لأهل هذه الدار، ما أحـيـوا ليلة القدر، وتبتلوا تبتيـلا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من الزلزلة من صديق ولا حميم، وتسوقهم بالعبـادات إلى سواء الجحيم، ونزلت بهم قارعة العقـاب وقيل لهم ألهاكم الـتكاثر هذا عصر العـذاب الأليم، وحشر الهـمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلا، وقالت قريش. ما أمنتم من هول المحشر أرأيت الذى يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر، وسيق الكافرون إلى

النار، وجاء نص الله والفتح، فتبت يدا أبى لهب، إذا لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا، فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق، ونعوذ برب الناس، مالك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس الذى فسق. ونتوب إليه، ونتوكل عليه، وكفى بالله وكيلا.

انتهت الخطبة المنسوجة على سور القرآن، من إنشاء الفقيه الجليل، الشريف الكامل، أبى المجد عبد المنعم ابن الشيخ الفقيه العدل، أبى جعفر بن أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمى الطنجالى - رحمه الله ونفعنا به وبسلفه الطاهر الكريم. انتهى ما نقلت من خط مولانا الشيخ رحمه الله تعالى.

ولنرجع إلى ما كنا فيه فنقول ومن نثر القاضى عياض رحمه الله هذه الصلاة على رسول الله ﷺ حسبما وجدته ببعض المجاميع بمحروسة فاس - حاطها الله تعالى -، وقد تضمنت جملة من أوصافه - ﷺ - الطاهرة، ومعجزاته الباهرة، وكمالاته التى بها انفرد، وسار بها المثل واطرد، - ﷺ. ولست على يقين من نسبتها للقاضى عياض، والعهدة على من نسبها له - إن لم تصح النسبة. وهى: صلوا بكرة وأصيلا، على من فضله الله تفضيلا، واتخذه حبيبا وخليلا، ونزل عليه القرآن تنزيلا، وكان له وليا ونصيرا ومعينا وكفيلا، وختم به رسله، ونهج على يديه الكريمتين سبله، وزكى قوله وعمله، وبلغه أمله، وبالشفاعة فضله، ومشى على بساط عزه بنعليه، وفضل - ﷺ - على كل من يأتى بعده، وعلى كل من تقدم قبله، وانتخبه وعلمه، وأدبه وطيبه، وعظمه وحباه، واختاره لحبه وقربه، وخط اسمه سطرا على العرش وكتبه، وخصه بالفضائل، وشرفه بالفعائل، وختم برسالته جميع

الرسائل، وصدقه فيما هو قائل، ونهاه عن قهر اليتيم وانتهار السائل، وجعل الصلاة عليه من أعظم الوسائل، صلى عليه الملك العلام، هو وملائكته الكرام، وأمر جميع الأنام بالصلاة عليه والسلام، - إلى يوم البعث والقيام، فقال من لم يزل غفورا رحيما، إجلالا لنبيه وتعظيما، وولاية له وتنويها وتشريفا له وتكريما، وإرشادا لنا وتعليما ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب].

صلوا وتوسلوا بالنبى الأمى، الهاشمى القرشى، الأبطحى المكى، المدنى الحرمى، الزمزمى الحجازى التهامى العربى، الذى جاء بالكتاب المضى، والدين الحنفى، والقول الشرع، والحكم الجلى، والمقام العلى، ومكنه الله بلطفه الخفى، وحقق له إنجاز وعده الوفى، فأشرقت فى الآفاق أنواره، وتكررت فى المسامع أخباره، وظهرت للأبصار معجزاته، وبلغت به حجة الله وتمت كلماته، وختم الله به كل رسله وأنبيائه، وأمر القمر بطاعته فأجابه بالتلبية عند ندائه، وانشق على نصفين عند دعائه، لما أمره بالانشقاق انشق، وتفرق وسطا وأشرق، وتكلم ونطق، وشهد له بالرسالة والحق، وركب البراق، وغاب عن الأبصار والأحداق، واخترق الفضاء والسبع الطباق، إلى مناجاة الملك الخلاق، فبلغ غاية أمده، ودنا من ربه حتى تناول ثمار القرب بيده، ﴿...دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩)﴾ [النجم]، وبلغ كل وصل ومنى، وأعطى جميع ما تمنى، ففاز بالأمان وكلمة الرحمن، من غير واسطة ولا ترجمان، فنزل من أدراجه، والليل باق فى دواجه، وبشر أصحابه وأزواجه بما عاين فى معراجه، صفاته جميلة، وذاته جليلة، وأفعاله نبيلة، فى شعره سبج وفى جبينه بهج، وفى حاجبه زجج، وفى عينه دعج، وثغره

فلج، إذا مشى كان أعـدل الناس، وإذا تكلم أفصح الناس، وإذا جلس أعلى الناس، وإذا وعظ أبكـى الناس، صـاحب الوجـــه المليح، والفم الســـبـيح الصحيح، والنسب الصريح، الرحـيم الودود، صاحب اللواء المعقود، والمقام المحمود، والحوض المورود، والوفاء بالعهود والكرم والجود، والشفاعة فى يوم الخلود، صـاحب القدر الجليل، والفـعل الجمـيل، والطرف الكحيـل، والخد الأسيل،والسيـف الصقيل، وعين السلسـبيل، وكأس الزنجبيـل، من أخبر به التنزيل، وبشر بـه التوراة والإنجيل، الموقـر، المعزر، صاحب الخطبـة والمنبر، والعمامة والمغـفر، والقضيب والمحشر، والحـوض والكوثر، والجبين الأزهر، الوجه الأقمـر، والحسب الأطهر، والنسب الأشهر، والحظ الأكـبر، من بشر وأنذر، وحج واعتمـر، وحلق ونحر، وهلل وكبر، وجاهد وانتـصر، وقاتل من كفـر، وبدين الله أمر، الطاهر المطهـر، المنتخب من خيـار أخيار مـضر، المؤيد المنصـور الممجـد المشكور، الشـهيـر المذكـور، صاحب اللواء المنشـور والجيش الجمهور، والبدن الصبور، والقلب الشكور، واللسان الذكور، والبهاء والنور، والولدان والحور، والغـرف والقصور النبى المختـار، الذى بشر به فى الجو الأطيـار، والحيتـان فى لجج البحـار، وكلمتـه الأحجار، وسـجدت له الأشجار، وخـمدت من نوره النار، ونسج عليه العنكبوت فى الغـار، معدن الحياة والوقار، وكنز الافـتخار، القائم بحجة الملك الجبـار، ومعلم المهاجرين والنصـار، فى آناء الليل وأطراف النهـار، النبى الأواب القائم فى المحـراب، الناطق بالصواب، الفصيح فى الخطاب من خضعت له الرقاب، وتواضعت له الصـعاب، ودعـا إلى الله وأناب، المنصـور يوم الأحـزاب، المنعـوت فى كل كتاب، النبى المهذب، الحسيب المقرب، خيـر العجم والعرب، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، النبى المكرم، المصطفى المحترم، عهدنا الذى لا ينفصم،

وحبلنا الذى لا ينصرم، من ضمن لأمته الشفاعة - وهم فى عدم العدم، خاتم الأنبياء، وقدوة الأصفياء، وإمام الأتقياء، وشفيع الأشقياء، نبى الثقلين وإمام الحرمين، وسيد الكونين والفريقين، وجد السطبطين الحسنين، وابن الذبيحين، من نصره الله فى بدر وحنين، وستره فى الغار فلم تره عين، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وسيد الآخرين، ومولى الأولين، وحبيب رب العالمين، أنزل الله فيه طه ويس، و"إنا فتحنا لك فتحا مبينا" والفتح المبين، وسماه بالمطاع والمكين، وأوصاه باليتيم والمسكين، ونصره على أعدائه المشركين، رسول الله وخليله، وصفيه ونجيه، وخيرته من جميع خلقه، الذى جعل له الأرض مسجدا وطهورا، وأحل له الغنائم - وكانت حجرا محجورا، ونصره بالرعب سنين وشهورا، وأنزل عليه القرآن هدى ونورا، فانتظم لفظه مسطورا، فأحيا نفوسًا وشفى صدورا، وبعث إلى الأحمر والأسود ونهج سعيا كان مشكورا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ولهج فى المقالة، وسد مسلك الضلالة، وقاتل أهل الشرك والجهالة، المختار من تهامة، المخصوص بالتاج والعمامة، واللواء والحوض والكرامة، الشفيع فى أهوال يوم القيامة، المنقذ من الحسرة والندامة، الداعى إلى الله بالنجاة والسلامة، نبى ظللته الغمامة، وكلمته الغزالة، وبشرت به زرقاء اليمامة، ودلت عليه الشامة والعلامة، وكلمه الذراع المسموم، وشكا إليه البعير المظلوم، ومن معجزاته أنه من الخلق معصوم، صدع بأمر الله صدعا، وقمع الباطل قمعا، وأعطى من الآيات البينات آلاف آلاف، إن كان موسى أوتى تسعا، فما مجىء الشجرة تجر عروقها كرجوع العصا حية تسعى، وما فجر الحجر بأعجب من أنامله إذ نبعت بالزلازل نبعا، وكم من معجزة له تظهر، وآية هى من أختها أكبر، رجعت له الشمس وانشق له القمر، وسلم عليه الذئب، وكلمه الحجر، وبعثه الله رحمة للعالمين، ونعمة للمسلمين، وعصمة للنادمين، ونقمة للظالمين،

واستخرجه من شجرة طيبة أصلها فى الأرض نابت، وفرعها فى السماء ثابت، بسق من الخليل عودها، وانشق بإسماعيل عمودها، وتم بمحمد - ﷺ - صعودها، الحق زهرتها، والصدق ثمرتها، والهدى قنوانها، والتقوى أفنانها، من تعلق بها سلم، ومن لجأ إليها عصم، ومن استظل بها غنم، ومن عاندها حطم، ومن خاصمها قصم، اشهد يا من حضر - والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدا، - أَن ما خلق الله أتقى، ولا أنقى، ولا أرقى، ولا أزكى، ولا أذكى، ولا أبهى، ولا أنهى، ولا أوفى، ولا أصفى، ولا أكفى، ولا أشفى، ولا أفضل، ولا أكمل، ولا أجمل، ولا أجل، ولا أعدل، ولا أعقل، ولا أملح، ولا أصفح، ولا أنصح، ولا أصلح، ولا أسمح، ولا أحكم، ولا أفهم، ولا أعظم، ولا أعبد، ولا أزهد، ولا أمجد، ولا أنجد، ولا أجود، ولا أوحد، ولا أصعد، ولا أقعد، ولا أسعد، ولا أسجد، ولا أركع، ولا أرفع، ولا أشجع، ولا أنفع، ولا أقمع، ولا أمنع، ولا أخشع، ولا أشفع، ولا وطئ الثرى، ولا السرى، ولا ولدت ثيب ولا عذراء، ولا يلدن أبدا، - مثل سيدنا ونبينا ومولانا محمد - ﷺ - تسليما، عميا مستديما، ما نطق ناطق، وما راقب عاشق، وما ذر شارق، وشرف وكرم، ومجد وعظم، وجاد وأنعم، وتحنن وترحم، وعلى آله الطيبين، الراضين المرضيين، ورضى الله عن أنصاره وأصهاره وخلفائه الراشدين، وعن الأئمة المهتدين، وعن عامة أصحابه أجمعين، ومن عمل بسنته إلى يوم الدين، أدعوك - اللهم - وأتضرع إليك، بكل من دعاك وناداك، يا **أللّه**، يا **أللّه**، يا رحمن، يا رحيم، يا حنان، يا منان، يا ديان، يا حليم، يا كريم، وبتعميم كريم كرمك، وبإقرار قرار عرشك، وبطول حول قوتك، وبتأكيد تأييد وكيد أرك، وبإيجاد إنفاذ كلماتك، وبتمجيد تحميد توحيد وحدانيتك، وبتبجيل

تجليل تهليل مشتك، وبجلال جمال كمال ربوبيتك، وبتبجيل تجليل نور وجهك، وبرضوان أمان غفران رحمتك، وبعظيم تكريم تحكيم مملكتك، وببديع منيع رفيع ألوهيتك، وبديموم قيوم سلطانك، وبتحقيق الحق من حقك، وبمكنون السر من سرك، وبوحدانيتك، وبصمدانيتك، وبربوبيتك، وبطهارتك، وبجبروت ملكك، وبعزتك الباهرة، وبقدرتك القاهرة، وبرحمتك الواسعة، يا من ليس فوقه شيء فيظله، ولا له خلف فيسده، ولا أمام فيحده، ولا جانب فيبعده، يا من تنزه عن الفكر والضمير، يا من تعالى عن الشبيه والنظير، يا من جل عن المشرف والوزير، يا من "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

«يا لطيف، يا لطيف، يا خبير، أسألك اللهم وأتوسل إليك، بشفاعة نبينا محمد، بشجاعة نبينا محمد، ببراعة نبينا محمد، بطاعة نبينا محمد، بقناعة نبينا محمد، بسعادة نبينا محمد، بعبادة نبينا محمد، بزهادة نبينا محمد، بسيادة نبينا محمد، بديانة نبينا محمد، بصيانة نبينا محمد، بسياسة نبينا محمد، برسالة نبينا محمد، برئاسة نبينا محمد، بسلامة نبينا محمد، بكرامة نبينا محمد، بعمامة نبينا محمد، بغمامة نبينا محمد، بملاحة نبينا محمد، بفصاحة نبينا محمد، بصباحة نبينا محمد، بإنابة نبينا محمد، بإجابة نبينا محمد، بإهابة نبينا محمد، بحظ نبينا محمد، بحوض نبينا محمد، بأمر نبينا محمد، بدعاء نبينا محمد، بنداء نبينا محمد، برداء نبينا محمد، بحنان نبينا محمد، بثناء نبينا محمد، بسناء نبينا محمد، بسخاء نبينا محمد، بوفاء نبينا محمد، بصفاء نبينا محمد، بارتقاء نبينا محمد، باهتداء نبينا محمد، باقتداء نبينا محمد، بعلم نبينا محمد، بفهم نبينا محمد، بحلم نبينا محمد، بفضل نبينا محمد، بعدل نبينا محمد، بسنة نبينا محمد، بملة نبينا محمد،

بجلال نبينا محمد، بجمال نبينا محمد، بكمال نبينا محمد، بأفعال نبينا محمد، بأقوال نبينا محمد، بنوال نبينا محمد، بخصال نبينا محمد، بخشوع نبينا محمد، بخضوع نبينا محمد، بركوع نبينا محمد، بسجود نبينا محمد، بدموع نبينا محمد، بتواضع نبينا محمد، بتضرع نبينا محمد، بوعود نبينا محمد، بعهود نبينا محمد، بورود نبينا محمد، بوجود نبينا محمد، بجود نبينا محمد، بجدود نبينا محمد، ببيان نبينا محمد، ببرهان نبينا محمد، بإيمان نبينا محمد، بأمان نبينا محمد، بمنهاج نبينا محمد، بسراج نبينا محمد، بمعراج نبينا محمد، بإدراج نبينا محمد، بقيام نبينا محمد، بصيام نبينا محمد، بإحرام نبينا محمد، بإكرام نبينا محمد، بسلامة نبينا محمد، بكلام نبينا محمد، بإقدام نبينا محمد، بزمام نبينا محمد، بنصر نبينا محمد، بصبر نبينا محمد، بفخر نبينا محمد، بذكر نبينا محمد، بشكر نبينا محمد، بصدر نبينا محمد، بقلب نبينا محمد، بحب نبينا محمد، بطب نبينا محمد، بقرب نبينا محمد، بحسب نبينا محمد، بصدق نبينا محمد، بسبق نبينا محمد، بحق نبينا محمد، بأذكار نبينا محمد، بأسرار نبينا محمد، بأنوار نبينا محمد، بمقدار نبينا محمد، بسيرة نبينا محمد، بسريرة نبينا محمد، بعشيرة نبينا محمد، وبكل فضل ينسب إلى سيدنا ومولانا محمد، وأن تقبل فينا شفاعة سيدنا ومولانا محمد، بجميع مطالبى منك، كما لا غنى لى عنك، يا أرحم الراحمين، اللهم - وكما حببته وقربته، وكما حفظته وحجبته، وكما أخبرته ونبأته، وكما اخترته وطيبته، وكما أسميته ورفعته، وكما أعطيته وشفعته، - اقبل فينا شفاعته، وارزقنا بركته، وقناعته، ومحبته طاعته، وصل صلاتك - يا ربنا - عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين، الراضين المرضيين، - عدد ما فى علم الله، صلاة دائمة بدوام

ملك الله، وعدد مـا خلقت وأنت خالق - إلى يوم الدين، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهت، قلت ولا خـفاء أن هذا الكلام مـياسم الوصول عليـه لائحة، ونواسم القبـول لديه فائحة، وكيـف لا وقد اشتمل على جـملة من أوصاف الماحى العاقب، ونبـذة مما له من المفاخر والمنـاقب، فحق لمن توسل الله به أن يجاب، ولمن توصل بسببـه أن يزال عن قلبه الحجاب، وينزاح عنه ظلام الران وينجاب، ويتيه عند سماعه ويلحـقه الإعجاب، ولعمرى أن مثل هذه الوسيلة نظيرها قليل، وهى على صديقية صـاحبها أعظم دليل، نسأل الله - بجاه هذا النبى المتوسل به فيها - أن يجعلنا من خيار أمته، وأن يديم لنا عوارف نعمته، ويختم لنا بالحسنى، ويلحقنا بالمـقام الأسنى، ويقينا فى الدارين من المهالك، ويسلك بنا أحسن المسالك، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

وقد سلك هذا المسلك الحسن جمـاعة يطول تعدادهم، فمنهم المطول، ومنهم المختصـر، ولنذكر بعض ذلك على سبيل التبـرك بهذا النبى المصطفى، عليـه أفضل الصـلاة وأزكى السلام، ومن ذلك مـا وجد بخط بلدينا الشـيخ الإمام الصالح سيدى محمد بن عمر الملالى - رحمه الله - وهى:

اللهم صل على سيـدنا محمـد بحر أسرارك، ومعـدن أنوارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وطراز ملكك وخـازن رحمتك، وطريق شريعتك المتلذذ بمشهادتك، عين أعيان خلقك، المتقدم من نور ضيائك، صلاة ترضيك وترضيـه ترضى بهـا عنا يا رب العالمين. اللهم يا سـامع الدعاء، لا تخـيب الرجاء، لك الملجـأ، وإليك الملتجـأ، وبك النجاء، عليك توكلت، وبسـيدنا محمد ﷺ توسلت - نبى الهدى. انتهت.

ومن ذلك ما وجدته فى بعض المجاميع، أن يقال - بعد ركعتى الفجر بـ ألم نشرك وألم تر - ما نصه:

اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، السيد الكامل، الفاتح الخاتم، الحبيب الشفيع، الرءوف الرحيم، الصادق الأمين، السابق للخلق نوره، الرحمة للعالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقك ومن بقى، ومن سعد منهم ومن شقى، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، صلاة لا غاية لها ولا منتهى، ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاتك التى صليت عليه صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا منتهى لها دون علمك، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره، وسلم مثل ذلك، والحمد لله على ذلك، وأجر يا مولانا خفى لطفك، فى أمورنا وأمور المسلمين كذلك. انتهت.

قيل هذه الصلاة تعدل عشرة آلاف صلاة، وفضل الله واسع.

ومن ذلك صلاة الولى الصالح، القطب عبد السلام بن مشيش، أفاض الله علينا من بركاته:

اللهم صلى على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجزت الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت يفيض أنواره متدفقة، وأرجاء الملك بسناء كماله مصبحة مشرقة - ثبت هذا فى بعض النسخ، وسقط فى الأكثر - ولا شىء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط، صلاة تليق بك منك إليه - كما هو أهله، اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك

الأعظم القائم بك بين يديك، اللهم ألحقنى بنسبه، وحققنى بحسبه، وعرفنى إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من موارد الفضل، وأحملنى على سبيله إلى حضـرتك، حملا محفوفا بنصـرتك، واقذف بى على الباطل فأدمغه، وزج بى فى بحار الأحدية، وانشلـنى من أوحال التوحيد، وأغرقنى فى عين بحـر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجـد ولا أحس إلا بها، واجعل الحجاب الأعظم حيـاة روحى، وروحه سر حقيقتى، وحقـيقته جامع عـوالمى، بتحـقيق الحق الأول، يا أول، يـا آخر، يا ظاهر، يا باطن، اسـمع ندائى بما سمعت به نداء عبـدك زكريا، وانصرنى بك لك، وأيدنى بك لك، واجـمع بينى وبينـك، وحل بينى وبين غـيـرك، الله، الله، الله، "إن الذى فرض عليك القـرآن لرادك إلى معاد»، ﴿**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴿١٠﴾﴾ [الكهف]. انتـهت. وصى الله على سيـدنا محمـد وآله وصحـبه وسلم.

وهذه صلاة مباركة نقلتها من خط سـيدنا العارف الربانى سيدى حسين الزرويلى - حفظه الله.

وهى: اللهم صل على سيـدنا محمد السابق للخـلق نوره، الرحمة فى العالمين ظهـوره، عدد من مضى من خلقك ومن بقى، ومن سـعد منهم ومن شقى، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، لا غاية لها ولا انتهاء ولا انقضاء، تنيلنا بهـا منك الرضى، صلاتـك التى صليت عليه، دائمـة بدوامك، باقـية ببقائك، لا منتهى لها دون علمك، - إنك على كل شىء قدير. انتهت.

وبخطه أيضا:

اللهم صل على سيـدنا محمد وعلى آله، عدد نعم الله وإفـضاله، قال إنها صلاة مباركة.

ومن خطه أيضا:

اللهم صل على سيدنا ومـولانا محمد بحر أنوارك، ومـعدن أسرارك، وإمام حضرتك، وعروس مملكتك، ولسان حجتك، وقائد الغر المحجلين إلى جنتك، صلاة دائمة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين. انتهت.

ومنه: اللهم صل على سيدنا محـمد وعلى آله واعطه الوسيلة، واجعل فى المصطفين صحـبته، وفى العالمين درجتـه، وفى المقربين داره، اللهم تقبل شفـاعة سيدنا مـحمد الكبرى، وارفـع درجته العليا، وآته سـؤله فى الآخرة والأولى، - كما آتيت إبراهيم وموسى - يارب العالمين. انتهت.

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضى لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنـا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات.

انتهى ما وجدته بخط هذا الشيخ، وبعضه مرفوع، وقد ذكر غير واحد، وقصدى بذكر ذلك التبرك.

وأفادنى الشيخ العارف الشريف سيدى محمد بن على بن ريسون.

اللهم صل على سيـدنا محمد وعـلى آله، كما لا نهاية لكمـالك وعد كمـاله، قال: والصلاة بألف أو عـشرة آلاف - الشك منى لطول العـهد ولم أجد فى الحالة البطاقة التى نقلت عنه فيها ذلك.

وهذه صلاة أخـرى، لها بركة، وهى لسيـدى أبى المواهب - نفعنا الله به-.

اللهم صل على حضرة الأسرار، ومنبع الأنوار، مطهر النفوس من الرذائل، وأطهر مولود فى سائر القبائل، عروس المملكة الربانية، وبهجة الاختراعات الأكوانية، وإمام الحضرة القدسية، معلم الخير، وأعلم الخلق، وناصح الأمة، وحبيب الحق، أكرم الأنبياء والمرسلين، ورسول رب العالمين، سيدنا ومولانا محمد - ﷺ، سيد السادات، وقطب دوائر السعادات، وسلم عليه على قدر مقامه، وإجلاله وإعظامه وإكرامه، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، صلاة وسلاما دائمين بدوامك، باقيين ببقائك، ولا منتهى لهما دون علمك، إنك على كل شىء قدير. انتهت.

وهذه صلاة الإمام العارف الربانى الولى الصالح سيدى أبى إسحاق، إبراهيم بن الحاج السلمى البلفيقى ثم المريى، دفين مراكش - حرسها الله ونفعنا به.

قال ابن خاتمة: حكى هذه الصلاة شيخنا أبو البركات ابن الحاج، عن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبى الإصبغ بن عزرة، قال:

أخذتها عن رابِّك[1] الشيخ الصالح الحاج أبى عبد الله محمد بن على ابن الحاج - مشافهة، وقال لى: إنها صلاة سيدى أبى إسحاق بن الحاج، وهى[2]:

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك، وتبقى ببقائك، وتخلد بخلودك، ولا غاية لها دون مرضاتك، ولا جزاء لقائلها ومصليها غير جنتك، والنظر إلى وجهك الكريم.

---

(١) يعنى مربيك.

(٢) نفح الطيب ج٥ ص ٤٧٧.

قال: وله – رضى الله عنه – دعـاء، وهو من المأثور عن أبى هريرة أن رسول الله – ﷺ – لما وجه جعفرا إلى الحبـشة، شيعه وزوده بكلمات، قال: قل: اللهم الطف لى فى تيسـير كل عسير، فإن تيـسير العسيـر عليك يسير، وأسألك اليسر والمعافاة فى الدنيا والآخرة.

وهذا دعاء آخر له – رضى الله عنه – كان يستـفتح به مجلسه بأَلْمرية، قال ابن خاتمة نقله شيخنا القـاضى أبو البركات من خط الولى أبى العباس بن مكتوم، وهو:

اللهم اجـعلنا فى عيـاذ منك منيع، وحصن حـصين، وولاية جـميلة، حتى تبلغنا آجالنا مستورين محـفوظين، مبشرين برضوانك يوم لقائك. قال: وفى وسط الدعاء وآخره: واكـفنا عدونا إبليس، وأعداءنا من الجن والإنس، بعافيتنا وسلامتنا – انتهى.

ومن بديع كلام أبى إسحق المذكور قوله: الناس إذا كان الفاضل حيا لم يقصدوه، فإذا مات وصار جيفة مثلهم قصدوا قبره.

ومن كلامه – أيضـا: من أحب معرضا عن الله، سـقط من عين الله، ومن أحب لله وأبغض لله، فهو من صفوة الله.

ومن رشيق كلامه: الـذى صححته التجربة – السـودان لا يخدمهم إلا من قلبه لونهم.

ومن أذكاره – رضى الله عنه – هذا الاستغفار: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيـوم، عالم الغيب والشهـادة الرحمن الرحيم، وأسـأله التوبة النصوح، والعفو عنى وعن والدى، وعن إخوانى، عن الذين ظلمونى، وعن

الذين ظلمتهم، وعن كل مذنب من المسلمين، من كان منهم أو يكون، وأسأله طهارة السر من حب الدنيا، ومن حب أهلها، ومن حب المحمدة، ومن خوف المذمة، ومن السعى فى حظ نفسى، ومن الانتصار لها، ومن الحسد والشك والشرك والإعجاب، ومن كل حائل وحجاب، ومن غيبة المسلمين، والكذب والدعوى والانتساب، ومن الركون إلى سبب من الأسباب، يا حى يا قيوم، برحمتك أستغيث فأغثنى، ولا تكلنى إلى نفسى، ولا لغيرك طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، وشأن إخوانى، وثبت قلبى على دينك حتى ألقاك - وأنت راض عنى برحمتك يا أرحم الراحمين. انتهى.

وكان سيدى أبو إسحاق المذكور ذا مقامات كبيرة، وكرامات شهيرة، فمن كراماته ما حكاه الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، عن الشيخ أبى العباس بن فرتون، قال حدثنى صاحبنا الفقيه القاضى أبو محمد عبد الله البخارى بمدينة سبتة، قال دخلت مع بعض أصحابى على الشيخ أبى إسحاق بموضع سكناه بألمرية - زائرا فسأل عنى فأخبره المسئول أنى أسدد فى البوادى بالقضاء، وأنى أتحرى فلا آخذ شيئا إلا من توثيقى، قال فتنمر الشيخ وقال: من أمر القاضى أن يأخذ شيئا؟ هل هو واسطة بين الله وبين الناس؟ قال: فقلت: إن بى حمى، فادع الله أن يصرفها عنى، فقال: لأى شىء تقول هذا - وكل يوم يعدد عليك فى ذلك أجر؟ ثم همس بشفتيه وحركهما - داعيا، ثم قال لى: لا عليك، فما تراها أبدا، قال: فلم تأخذنى حمى من ذلك الوقت إلى الآن.

ومن كراماته - رضى الله عنه - أنه كان من جملة أصحابه رجل ناسك فاضل قارئ، يصلى به التراويح فى شهر رمضان فى إبان العصير، وكان أبو

إسحاق فى جنة له بخارج أَلْمرية، وكان يقدم فى كل ليلة لذلك القارئ ولجماعة من أصحابه - طبقا بعنب وثريدا بعد ذلك، فلما كان فى بعض الأيام جاء ذلك القارئ ليتوضأ فى صهريج تلك الجنة بعد العصر، فرأى العنب فى العريش الذى على الصهريج، فحدثته نفسه بأن لو قرب المغرب ليأكل منه، ثم عاد على نفسه باللوم لتعلقها بالشهوات وهو صائم، وعقد على نفسه فيما بينه وبين الله - تعالى - عقدا أن لا يأكل العنب بقية سنته تلك، فلما جاء المغرب، قدم لهم الشيخ بعد المغرب الثريد، ولم يقدم العنب، فبقى القارئ متعجبا، فقال له الشيخ: ما شأنك؟ فقال له: يا سيدى، كنت قد عودت الأصحاب عادة ولم نرها الليلة؟ فقال له الشيخ: أنت فعلت ذلك، فلم يسعنا إلا موافقتك فيما عقدته مع الله، قال: وبقى الشيخ لم يأكل العنب سنته تلك، لموافقته التلميذ.

قلت: ومن أغرب ما شاهدته من كرامات الشيخ أبى إسحاق - رضى الله عنه: أنى كنت أكتب كراماته هذه فى يوم عظيم المطر - وأنا قريب من موضع نزول المطر لأمر اقتضى ذلك، وماء المطر مجتمع أمام موضع جلوسى، فطارت الورقة من يدى لسبب اقتضى ذلك، ووقعت على موضع الماء، فاغتممت لذلك - خوف أن أعيد الورقة، ولم أبادر أخذ الورقة لبعدها منى، فجاءت صبية عادتها أن تناولتنى ما بعد عنى، فرأت الورقة على موضع الماء، فتناولتها من طرفها فلم تمسكها، بل زادت حركة على موضع الماء، فازددت غما، ثم أخذتها مرة أخرى، فناولتنيى إياها، فبالله الذى لا إله إلا هو، ما أصاب موضع الكتابة من ذلك شىء البتة - ببركة هذا الشيخ. وأصاب آخر الطرة من ذلك شىء نادر مثل رءوس الإبر، فسبحان من خصهم

بمنحه الفـاخرة، نسأله – سبـحانه – أن ينفعنا بهم دنيا وآخـرة، وكان هذا – وأنا أكتب فى مسودة هذا الكتاب يوم الأربعـاء ثانى ربيع النبوى من عام سبع وعشرين وألف.

ولنعد إلى ذكر هذا الشـيخ فنقول: كان رحمه الله أحد الأفـراد العباد، والأولياء الأتقياء، الذين علا قـدرهم وفاق، وطبق ذكرهم الآفاق، وممن طار صيته كل مطار، وأخـذت جلالته بالأسماع والأبصار، وكـان للمرية الشفوف به على سـائر الأقطار، شمس الـولاية وبدرها، وأوحد الأندلس وصـدرها. وكان – رحمـه الله – مشهورا بالولاية، مرفـوعا له فى الدين والصلاح أرفع راية، جاريا فى التبتل والانقطاع إلى الله – تعالى – إلى أبعد غاية، مع كمال العلم والمعرفة، والتحلى من الفضائل بكل حلية حميدة الصفة، ورسوخ القدم فى علوم الحقيقة، والجرى فى سبيل سنة الصوفية على أقوم طريقة، والمشاركة فى فنون الآداب، والأخـذ من كل علم بلبـاب اللبـاب، هكذا وصـفـه ابن خاتمة، وقال: إنه كان عالما عاملا، فقيها أديبا، شاعرا محسنا، سهل العبارة، لطيف الإشارة، صـوفيـا سنيا، طاهرا سـريا، عالى الهمـة، كريم العـشرة، صـادق الفراسـة، عظيم الجاه فى القـلوب، سامى الرئاسـة، شديد الالتـزام لمذهب مـالك – رضى الله عنه –، لا يسمح من مـخالفـته فى شىء، قلـما لازمه أحد إلا وحسنت حاله فى دينه ودنياه ولا دعا له إلا ظهرت بركة دعائه فى عقبه وعقباه، وكان حصن بلفيق وما يليه، هو موضع انتجاعه واستغلاله، إذا كان مملوكـا له كثيـر من أملاك ذلك الصقع وأحقـاله، فصار بذلك نجـعة للفقـراء والمساكين، وكـعبه للأوليـاء والصالحيـن، يقوم على من قصـده ببره وإرفاقه، ويكفيه المؤن حتى ينسيه ذكر آفاقه، فكان إليه حج كل حاج، وزيارة

ذوى الآمال والحـاج، ومع ذلك فكان يقرئ جاهلهم القـرآن العظيم، ويعلمه من أمور دينه مـا هو جدير بالتعليم، ويصـرف بطالهم فيمـا يناسب حاله من الأشغال، ويحضهم على اتخاذ الحرف ومـلازمة الأعمال، ويحمل من صحبه من أمر دينه ودنياه على أحـسن الأحوال، وكان هناك ذا أرض أريضة، وثروة عريضة، فبسعة ما كان يفيض عنه من العطاء، ويعم رفده من قصده من كافة الأنحاء، صار متهما عند بعض السفارة الضعفاء، بصناعة الكيمياء، كما رمى بذلك كثير من الأولياء.

قال ابن خاتمة: حكى لى شيخنا حفيـده القاضى أبو البركات محمد بن محمـد بن إبراهيم بن محمد بن الشيـخ الوالى أبى إسحاق هذا - رضى الله عنه:

قـال: نزل بالشـيخ أبى إسـحـاق بن الحـاج - رضى الله عنه - بعض الفقراء السفارة، وكان كلما قصده أحد، أنزله وقام عليه برفده وضيافته ثلاثا، ثم يسأله عن حاجته، فإن كان ممن حاجـته فى المقام وقام، وإلا قضى حاجته وانصرف، فـسأل هذا الفقيـر عن قصده - على العادة، فـقال له: إنه بلغنى أنك تعرف الكيمياء، وأريد أن أصـحبك وأخدمك - على أن تطلعنى عليها، وتعلمنى إياها، فقـال له: نعم، فلما كان من الغـد استصحبـه حتى وقف به على أرض غامرة، وشعراء ملتفة قد شرع بناسه وعـبيده فى فتحها وتصييرها أحقالا للزراعة، أملاكا للاستغلال، فـقال له الشيخ أبو إسحاق: هذه كيمياء إبراهيم، فإن شئت تعلمها، قتنـاول فأسا من تلك الفئوس، وخذ مكانك من الخدمة.

ومآثر هذا الولى مما يعـيى التعديد، ولا يزال يطرق سمعـك منها جديد

فجديد، قرأ القرآن العظيم لأول طلبه على الأستاذ أبى محمد البسطى، خطيب أَلْمرية ومقرئها، وعلى الأستاذ المقرئ الخطيب أبى الحسن على بن محمد بن مجبر الزهرى.

وأخذ عنه القراءات السبع إفرادا وجمعا، وعلى الأستاذ أبى القاسم محمد بن على بن محمد الهمدانى البراق، وروى الحديث عن أبى الحسن على بن أحمد، وعن المحدث أبى جعفر أحمد بن يحيى الضبى، والقاضى أبى محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن الفرس، وأبى بكر محمد بن أبى زمنين، وأبى عمر بن عات، فى جماعة آخرين. وصحب بألمرية الشيخ العالم الربانى الزاهد صاحب الكرامات، أبا عبد الله محمد بن يوسف الغزال، وقرأ عليه، وأخذ عنه، وسلك على يديه، وصحب الشيخ أبو عبد الله الغزال، الشيخ الولى سيدى أبا العباس بن العريف، وعلى يديه سلك - نفعنا الله بهم أجمعين.

وكان الشيخ أبو إسحاق يواصل الصوم أربعين يوما، حكى ذلك من حاله غير واحد من أصحابه، وأنه بنى ثمانية عشر جبا فى مواضع متفرقة، ونحو عشرين مسجدا، وبنى أكثر سور حصن بلفيق، كل ذلك من ماله(١).

وله - رضى الله عنه - كرامات جمة مشهورة، وكلمات ذكر وحكمة مأثورة، ويروى أنه كان له ثلاث دول فى اليوم يتحلق عليه فيها فى مسجده، ومى كلامه - رضى الله عنه - فى بعض رسائله: الصوفى: عبارة عن رجل عدل تقى صالح زاهد، غير منتسب لسبب من الأسباب، ولا مخل بأدب من الآداب، قد عرف شأنه وزمانه وملكت مكارم الأخلاق عنانه، لا ينتصر

(١) نفح الطيب ج٥ ص ٤٧٧.

لنفسه، ولا يتفكر فى غده وأمسه، العلم خليله، والقرآن دليله، والحق حفيظه ووكيله، نظره إلى الخلق بالرحمة، ونظره إلى نفسه بالحذر والتهمة[1].

ومن كلامه - رضى الله عنه - التصوف عدمك عندك فيه، ووجودك عنده به، وقال أيضا: التصوف بدايته إيثار الحق على ما عداه، ونهايته الغيبة بالحق عما سواه، وقال أيضا: بنور التقريب، يفرق بين البعيد والقريب، وبنور الاختصاص، يمتاز أهل الرياء من أهل الإخلاص. وقال فى بعض رسائله: اعلم يا أخى أن الفهم عن الله، هو العلم الأكبر، والنور الأزهر، والسنى الأنور، ولا سبيل إلى اقتباس أنواره، والتماس أسراره - بالاستبداد، ولا وجه لوجوده بالانفراد، فإن سره مصون، ولا يعقله بفضل الله إلا العالمون، فمن عثر على الدليل، هدى إلى السبيل، ومن اغتر بنفسه، وتبنى أبناء جنسه، حجب عن الحقيقة، وسلب عن الطريقة، وطفق يخبط عشوا، ويألف الهوى، - عافانا الله وإياك من سبيل، بغير دليل، وتوجه بغير وصول، ومعاد السلام عليك ورحمة الله وبركاته. - كتبه إبراهيم الضعيف عفا الله عنه.

وقال - رحمه الله: من لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة، لم يفتح له من هذه الطريقة شمة. وقال: لا ترض مجاهدة، لم يفتح له من هذه الطريقة شمة. وقال: لا ترض بنفسك فائدة، فإن حبك الشىء يعمى ويصم.

وقال: لو تصور صوفى منتصر منتسب، لتصور زاهد مفتر مكتسب. وقال: دواء مرض القلوب، تلاوة القرآن بالتدبر وصحبة الصالحين، واللجاء إلى الله تعالى بالأسحار. وقال: من جاهد برأى عالم مقبول فى الإسلام،

(١) نفح الطيب ج٥ ص ٤٧٧.

صالح للقدوة والائتمام ظهرت عليه الأحوال الصديقية، والمواهب الربانية، والإلهامات الملكية، وهؤلاء فى الإسلام خلفاء الرسل، وأمناء السبل. قال الله - تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]. وقال رحمه الله: المجاهدات الطهارة من الذنوب، والمعاملات للتنظيف من العيوب، والمراقبات لملاحظة الغيوب، والمكاشفات تخرق الحجوب.

قال ابن خاتمة: وفى هذه اللفظة إشباع - والمحاضرات لمعاهدة المحبوب، وكانرحمه الله لا يستعمل السماع، ولم ينقل عنه أنه كان ينكره على من يستعمله، بل قيل أنه كان يعجبه الإنشاد، ويجد به وجدا شديدا.

ولد - رضى الله عنه - ببلفيق سنة سبع وخمسين وخمسمائة - فيما حكاه غير واحد، وقال المكتب أبو محمد عبد الله بن على بن فرحون سنة أربع وخمسين، ونشأ فى كفالة والدته، إذ كان والده قد توفى، فدرس القرآن وجوده على خطيبها المعروف بابن مهارش، وبابن القصير، وقرأ عليه جملة من التفريع، وكان هذا الخطيب يلقب ببغل القرآن، وكان رجلا صالحا مجودا للقرآن، فلما ترعرع وبلغ مبلغ الرجال، انتقل إلى ألمرية، وأقام أزيد من عشر سنين، فقرأ القرآن بها، والعربية على شيوخها، كأبى العباس بن اليتيم، وغيره ممن مر ذكره، ولزم صحبة الشيخ الناسك أبى عبد الله الغزال، وجاهد نفسه على يديه وبإرشاده - مدة مقامه بألمرية، فانتفع بذلك، وكان الشيخ الغزال يحبه ويقدمه، ويثنى عليه، وكان يتردد إلى بلفيق لزيارة والدته فى الأعياد خاصة، فلما توفى الشيخ أبو عبد الله الغزال، عاد إلى بلفيق، وكانت والدته قد توفيت، فتزوج ابنة خاله، وأقام هناك سنتين، ثم انتقل إلى ضيعته بظاهر طبرنش[1]، فأقام بها يسيرا، ثم انتقل إلى ألمرية - باستدعاء واليها

(١) طبرنش: شرقى ألمرية.

يومئـذ، السيد أبـى عبد الله مـحمد بن السـيد أبى زكرياء ابـن الخليفة أمـير المؤمنين ابن أمير المؤمنين فحل بها وأوطنها تحت بره وإكـرامه، واستمر مقامه بها إلى أن قدم على ألمرية - راجيا جبايتها أحد الظلمة الغشمة، وهو المشرف على بن أبى بكر، فـأحدث على الناس أحـداثا منكرة، فـرفعوا أمـرهم إلى الشيخ أبى إسحاق، شاكين إليه بحالهم معه، وراغبين فى صرف ما حل بهم من قبله، وكـان هذا المشرف المسـرف لأول قدومه على ألمرية يـزور الشيخ أبا إسحاق، ويظهر التبرك به، فلما بلغه تغير الشيخ عليه، ونكيره ما أحدث من المفاسد، ورأى أن الحال تتغير عليه بسببه، وأن لا طاقة له بمكابرته، كتب إلى ظهيره الذى يستند إليه نظر السلطان بمراكش الوزير عثمان بن عبد الله بن أبى إسحاق بن جامع، يشتكى إليه بحالـه، وما يتوقع من قبل الشيخ أبى إسحاق فى مآله، وأنه لا يتم له شىء معه من أعـماله، وزور له أنه ذو اتباع وأعوان، لا يؤمن من جانبه الثورة على السلطان، واستظهر على ذلك بعقد كتب بألمرية واستنهـض للشهادة فـيه من لم يتق الله تعـالى فى عظيم هذه الفـرية، كأبى يحيى بن أسود، ومحـمد بن الرميمى من وجوهها، وكـعبد الله بن مكنون، وصهـره أحمد الغليرى من سـوقتها، ممن يـبطن للشيخ بغضة وحـسدا، ولا يوقن أن الله سبحانه سائله عن شهادته عند الوقوف بين يديه غدا.

ولما بلغ الوزير عثمان بن جامع ما وجـه به إليه خديمه المشرف على بن أبى بكر، حملتـه الأنفة له، والحميـة لجانبه - على أن طالع به سلطانه أمـير المؤمنين المستنصـر بالله، أبا يعقوب يوسف بن الناصـر بن المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن بن على، وألقى إليه فى صورة الناصح، أن تغريب الشيخ أبى إسحاق عن ألمرية من أعظم المصالح، فخـرج أمر المستنصر بإزعاجه من ألمرية وتوجيـهه إلى مـراكش، ووصل كتـاب من المستنـصر إلى أبى عـمران وأبى

العباس ابنى أبى حفص يستفهمان فيه عن حقيقة ما شنع به على الشيخ أبى إسحاق، فتفاوضا فى كيفية الجواب، فكان من رأى أبى العباس التغافل عنه إلا بعد أن يعاود الخطاب، واتفق رأيهما على ذلك، فلما كان من الغد، توجه أبو عمران بن أبى حفص إلى باب الخندق من أبواب ألمرية البحرية، ليودع الشيخ أبا إسحاق فأخبره أنه قد طلع فى البحر على أثر صلاة الصبح، وذلك من يوم الاثنين الثانى عشر لصفر سنة ست عشرة وستمائة فى أسطول ألمرية، فقال أبو عمران: سبحان الله، أعان هذا على نفسه - يشير إلى أنه لو أراد أن لا يتوجه لأقام إلى النهار، فلم تكن العمامة لتتركه ولا توافقه على السفر لمراكش، والانفصال عنهم - اغتباطا لجواره، وتهالكا على مقامه بين أظهرهم واستقراره، وكذلك كان يقول على بن أبى بكر: لو بقى ابن الحاج بألمرية، لكنت أول من يقتل، وقد كان غير واحد من أهل ألمرية وغيرهم، يرومون صرف الشيخ أبى إسحاق عن التوجه إلى مراكش، فلم يوافقهم على ذلك، ولا رأى مخالفة للأمر، ولو أراد المقام، لأقام كيف شاء، وكان أبدا يقول: سأموت غريبا.

ومن كلامه - رضى الله عنه - وقد أراد النهوض للقيام فى هذه الوجهة، فأثقلته الكبرة - يقال عن إبراهيم يقوم، وهو لا يقدر أن يقوم، ويؤثر أنه قال الذى يقوم عليهم هو القاعد فى اسطوانى - وكان قاعدا هناك ابن الرميمى ينتظره ليودعه، وهى من كرامات الشيخ أبى إسحاق. ولما وصل إلى مراكش وأدخل على المستنصر هابه المستنصر هيبة شديدة، وقذف الله تعالى فى نفسه إجلاله، وأشرب قلبه تعظيمه وإكباره، وندم على أن وجه عنه، وسأل الدعاء منه - وهو لا يجد فى فيه ريقا، وأقام أياما بمراكش، ثم

مرض وتوفى ليلة الأربعاء غرة جمادى الأخيرة سنة ست عشرة وسمائة - وهو ابن بضع ستين سنة، وقيل ابن نحو ثلاث وستين سنة، وكانت جنازته حافلة، قدم العهد بمثلها، وحضرها الأمراء والأكابر، رجالا مشاة، منتعلين وحفاة، وكسرت العامة نعشه، وتوزعوه كسرا تبركا به، وأشار بعض كبراء الدولة بدفنه مع سيدى أبى العباس بن العريف، شيخ شيخه، فأبى المستنصر إلا أن يدفن بإزاء القصبة، وقال: بحيث تتأتى لنا زيارته، ونقرب منه، فدفن بمقبرة الشيوخ، وقبره هنالك إلى الآن معروف متبرك به.

قلت: كذا قال ابن خاتمة وغير واحد: أن قبره بإزاء القصبة، والمعروف عند أهل مراكش - قاطبة فى زماننا هذا - خلاف ذلك وأنه مدفون بوسط البلد لا يلحقهم فى ذلك شك، غير أن عامتهم يسمونه سيدى إسحاق - على ما جرت به عادة العامة من تغيير الأسماء، وأما الخاصة من العلماء وغيرهم، فيقولون سيدى أبو إسحاق البلفيقى، وقد زرته ودعوت الله عنده بما أرجو من بركته قبوله، وهو مزور لالتماس الخير، وكان أبو الحسن بن بقى وبعض أصحابه يقولون: كان الشيخ أبو إسحاق يقول - أيام إقامته بألمرية - تتمشى حالة هذا الأمير ومن يختص به، وتتصل أيام دولتهم ما لم ينقلونا من موضعنا، فإذا نقلونا من موضعنا، حل البلاء بجميعهم، فكان الأمر كذلك، وسئل الشيخ أبو إسحاق عما رأى من المستنصر وحاشيته؟ فقال أما السلطان فمبارك، وما رأيت إلا خيرا، وإنما ذلك الوزير ويسكت - يعنى ابن جامع. وقال له ابن جامع: لعلك يا فقيه تستوحش فى هذه البلاد، فقال له: إنما تستوحش البهائم. وقد أنصف الله تعالى فى دار الدنيا من كل من سعى إليه، فمات ابن جامع، وعلى بن أبى بكر، على أسوأ حال من الذلة والهوان، وأما ابن بقى صاحبه، فصلبه المأمون بإشبيلية.

وكان الشيخ أبو إسحاق يقول: كل من نال من عرضى ما نال فأنا أحلله من ذلك، وأغفر له ما عدا من رمانى بالقيام على السلطان، فإنى لا أغفر له حتى أخاصمه بين يدى الله تعالى فيما رمانى به من البدعة الشنعاء، والمعصية الكبرى والداهية الدهياء، ولو رمانى بالزنا، ما كان أشد على مما رمانى به، ويذكر من فظاعة هذه الفرية عليه، وشناعتها لديه.

وقد أخذ عنه جمع كثير من أهل العلم وغيرهم، حدث حفيده القاضى أبو البركات بن الحاج عن ابن خميس التلمسانى المتقدم الذكر فى الترجمة الأولى من هذا الكتاب، قال سمعت بعض الأشياخ يقول: كان أبو إسحاق البلفيقى الكبير يقول: اجتمع لنا فى الله أربعون ألف صاحب، وهو - رحمه الله - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار ابن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير بن عياش - وهو ابن عيشون - ابن محمد الداخل إلى الأندلس بن عنبسة بن حارثة، ويقال: ابن الحارث ابن العباس بن مرداس السلمى، صاحب رسول الله ﷺ، هكذا هو الصواب، لا ما قال الملاحى، وابن عبد الملك، فإنهما أسقطا بين خلف وسوار رجلين، إذ جعلا خلفا ابن سوار، وليس كذلك، بل بينها رجلان - كما ذكرته، حسبما قال ذلك حافده أبو البركات، وأهل بيت أعرف بنسبهم.

ومن كراماته - رضى الله عنه - ما حدث به أحد الثقات من أصحابه، أنه كان بألمرية متطبب ممن يسر إنكار الكرامات، فأتته امرأة بصبى يشتكى ألم الحصا، فقال لجليس له ممن يماليه على مذهبه: قم بنا إلى هذا الفقيه - يعنى الشيخ أبا إسحاق - حتى نرى ما يصنع؟ فدخلا عليه موضع إقرائه، ومجتمع جلسائه، فسأل الصبى عن شكايته، فأخبره بما يجد من الألم، وكان الشيخ

كوشف بالحال، فتغير وجهه، وجعل إحدى يديه على ظهر الصبى، والأخرى على قلبه، قال الحاكى: فرأيت الصبى قد تقبض واجتمع، ثم قذف من الحصيات التى قدر الحمص خمسا أو نحوها مخضوبة بالدم، وسكن ما كان به، ورفع عن الموضع، ثم عطف الشيخ حنقا على المتطبب وصاحبه، وقال: إنكاركم أحوج إلى هذا، فتوبا إلى الله أو نحو هذا الكلام، فأخذا يتنصلان ويعتذران، وخرجا من عنده خزيين؟ وحدث الأستاذ أبو جعفر بن الزبير قال: سألت الشيخ المقرئ أبا الوليد إسماعيل بن يحيى، هل لقيت الشيخ أبا إسحاق، فحدثنى قال: كنت أحدث نفسى بلقائه ورؤيته فاحتاج أبى إلى شراء أسباب لجهاز أختى، وأخذ فى توجيه ثقة ممن كان يلوذ به إلى ألمرية لشراء تلك الأسباب، فرغبت من والدى أن يأذن لى فى السفر معه برسم الأسباب، وآتى الشيخ أبا إسحاق، فأذن لى، فلما وصلنا ألمرية، سألت عنه، فدللت على مسجده، فحضرت فيه صلاة المغرب، فلما جاء الشيخ وأقيمت الصلاة فتقدم أمامه فصلى بنا والشيخ وراءه، فلما سلم، تنفل الشيخ بما تنفل، وأنا أترقبه، وقد عرفته بقرائن الأحوال، ثم أخذ فى الخروج فقمت وراءه وتبعته إلى أن أخذ فى دخول داره، فحين قدم رجله للدخول كلمته، فصرف وجهه إلى - ولم يكن رآنى قبل ذلك ولا رأيته، وأقبل على وقال: من أين الطالب، فقلت له: من غرناطة، جئت برسم رؤيتك والتبرك بك، ما لى حاجة سوى ذاك، فتبسم، وقال: إنما جئت فى شأن أختك وجهازها، فتحيرت، ثم دعا لى وأنسنى وانصرفت، وقد رأيت العجب من أمره! قال: فهذا ما اتفق لى فى لقاء من سألت عنه، ولقد رأيت رجلا لم أر مثله.

وحـدث الوزير أبو الربيع سليـمان بن شـعيب، قـال قصـدت أنا وأبو إسحاق بن الجياد إلى زيارة الشيخ صالح بن حمدون التشكرى،أحد الجلة من أرباب الكرامات، وأحد الجلة من أصحـاب أبى إسحاق بن الحاج إلى تشكر، فأقمنا عنده مـدة، قال ابو الربيع: ثم قلت لصاحبى: ينبـغى لنا أن ننصرف، فقال لى صـاحبى: حتى يكون ذلك عن إذن الشيخ فلما حـضرنا عنده، قال لى: يا أبا الربيع أدركت القلق من مقامك مـعنا، لا تنصرف حتى نأذن لك، فخجلت وقلت: لا تعاتبنى بجهلى. قال: فأخبرنا الشيخ صالح قال:

سافرت وقـرأت بسبتة عـلى العزفى وغيره وبغـيرها، ثم أتيت إلى هذا الموضع بعد عامين بسبب والدى، فقلت يوما فى نفسى: لقد قرأت واجتهدت وما قصـرت، ولكنى لم أفهم حقـيقة الأخبار بالمغـيبات، فبـينما أنا فى هذا الخـاطر، وإذا ثلاثة رجال، فـقلت لهم: من أين أقـبلتم؟ فقـالوا: من منزل الشيخ أبى إسحـاق بن الحاج بطبرنش، فأخبـرونى عنه وكانوا ثقاة - إنهم لما أشرفـوا على طبرنش قـاصدين زيارته، قـال أحدهم - وكـان حاجـا - لقد سمعت ذكر رمان هذا الموضع بالإسكندرية، فنسأل عنه الشيخ، فقال الآخر: حاش الله أن نسـأل الشيخ عن الرمـان، إنما نسأله كيف كـان رسول الله ﷺ يأكل اللحم، وقال الآخر: إنما أسـأله أنا فى حكم من له زوجة لا تصلى، ما يفعل معهـا؟ هل يتخلى عنها أم لا؟ فلما وصلنا إليه، قـدم لنا رمانا ولحما، وناول الحـاج الرمان، وقـال لهم: كلوا من هذا الرمان، فـإن ذكره مـشهـور بالإسكندرية، فقال له الحاج: نعم يا سـيدى، أنا سمعت ذكره هنالك بإذنى، ثم أخذ بعد ساعة قطعـة من لحم بيده وقال للآخر: هكذا روى أن رسول الله - ﷺ - كان يأكل اللحم، وأراه الصـورة بفيه، ثم سكت، ثم قـال للآخر:

من له زوجة لا تصلى ينهاها عن ذلك، فإن انتهت، وإلا توعدها بالطلاق، فإن انتهت، وإلا طلقها - وله فى النساء سعة، قال صالح: فلما سمعت ذلك، قلت: والله لأخرجن من ساعتى إلى هذا الشيخ، وقلت فى نفسى: أسأله أنا عن الشيخ أبى أحمد وعن حال أصحابه، هل هم على الحق أم لا، فخرجت وحملت معى جرابا فيه مصحف وكتاب الموطأ، وكتاب فى علم الرياضى، فلما وصلت إليه، قال لى: أخرج ما فى جرابك، فأخرجت المصحف ثم الموطأ، ثم أخرجت الرياضى، فقال لى - وهو لم يفتحه - أحرق ذلك الآن، فأحرقته، ثم قال لى: الشيخ أبو أحمد سيد وقته، وأما أصحابه فينبغى أن يحبوا من أجله، فانطلق إليه، قال: فانطلقت من وقتى إلى الشيخ أبى أحمد، ولا زمته - رضى الله عنهم أجمعين - ونفعنا بهم، وسهل علينا بجاههم كل ما نرومه.

وحدث القاضى أبو البركات حافده قال: دخلت على الشيخ الصالح، العابد المجتهد، الحاج أبى عبد الله محمد بن على البكرى المعروف بابن الحاج - فى منزله بألمرية عائدا - قال:

أظنه فى مرضه الذى مات منه - فقال لى حين سألته عن حاله: ادع لى، فقلت له: يا سيدى بل أنت تدعو لى، فقال لى: شرح الله صدرك، ونور قلبك بنور معرفته، فمن عرف الله لم يذكر لك غيره، فقد حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك، قال: كنت مع سيدى أبى إسحاق بن الحاج بمراكش، فقال لى: هل ترى فى المنام شيئا؟ فقلت: نعم، أرى كأنى فى ألمرية أمشى من الدار إلى المسجد، ومن كذا إلى كذا، فأعرض عنى وقال: لا ترى إلا الله. قال: ثم مر به فى أثناء كلامه ابنه محمد فقال لى: رأيت هذا؟ والله

ما أدرى أن لى ابنا حتى يمـر بى، ولا أذكره إذا غاب عنى، ولا أرى إلا الله انتهى.

وكـرامات هذا الولى أكـثر من أن تحـصر، ومن أراد اسـتيـفاء أحـواله كرامـاته، فعليه بكتاب حـافده أبى البركـات الذى وضعه فى أخبـار سلفه - رضى الله عنهم، وقـد أورد طرفا مـنها الشـيخ الخطيب أبو الحـسن على بن أحمد الغزال فى الجـزء الذى وضعه فى كراماته وكرامات شيـخه أبى عبد الله الغزال جد أبـى الحسن المذكور، وكرامات شـيخه أبى العبـاس بن العريف - رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم.

ومن نظم الشيخ أبى إسحاق - رضى الله عنه - قوله:

ألا كـــرم الله البـــلاد بـنخـــبـــة
هم حسنات الدهر، ولا نابهم خطب

رعـايتـهم فـرض على كل مـسلم
وحـبـهم حق قـــد أوجـبـه الرب

إذا ما سـألت الله شيـئا فـسل بهم
فتـعظيمهم قـرب وغيبتـهم حرب

وقوله:

شكا فـشكى قلبى خـبالا مـبرحـا على غـيـــــر علم منى بـشكواه
ومـا التـقت الأسـرار إلا بجـامع من النعت سلطان الحـقيـقة سـواه
فـيا فـرحة المجـهود أن بات سـره وسـر الـذى يهـواه مـــاواه مـأواه

openkanal.com

ومن أجله قـد كان بالبـعد راضـيا فكيف ترى مـغناه والقـرب مثـواه
بدا فبدت أعـلام ضدين فى الهوى همـا عجب لولا الـدليل وفحـواه
برؤيتـــه فـارقت مـوتى لبـــعـده ومت بهـــا من أجل علمـى ببلواه
فـــهـــأنا حى مـــيت بلقـــائه ولم ينج من لم يسعـد الفهم نجواه
إذا لم تكن أنت الحـبـــيب بعـينه رضى وعتـابا ضل من قـال يهواه
وأكذب ما يلقى الـفتى وهو صادق إذا لم يحـقق بـالأفـاعـيل دعـواه

وقوله:

الحب فى الله نور يـسـتـضـــاء به والهـــجـر فى ذاته نـور على نور
جنب أخا حدث فـى الدين ذا غير إن المغـــيـر فى نكس وتـغـيـــيـر
حـاشى الديانة أن تبنى على خـبل سـبحـان خالقنـا من قول مـثبـور
إن الحـــقـائق لا تبـــدو لمبتـــدع كـذا المعـارف لا تـهـدى لمغـرور
تالله لو أبصـرت عيناه أو ظفـرت يمنـاه مـا ظل فـى ظن وتقـــدير
حقق تـرى عجبـا إن كنت ذا أدب ولا يغـــرنك الجـــهـــال بالزور
إن الطريقـة فى الـتنزيل واضـحـة ومـا تواتر من وحـى ومـشـهـور
فافهم-هديت-هدى الرحمن وأهدبه هدى يفيـدك يوم النفخ فى الصور

وقوله صدر رسالة وجه بها إلى ابنه محمد أيام قراءته بإشبيلية:

إذا شئت أن تحظى بوصلى وقربتى
فجنب قـرين السوء وأصرم حـباله

obeikandl.com

وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها

وحصل علوم الدين واعرف رجاله

وكان – رحمه الله – كثيرا ما يتمثل ببيتى مهيار الدليمى، وهما:

ومن عـــجب أنى أحن إليـــهم

واسـأل شـوقـا عنـهم وهم مـعى

وتبكيـهم عـينى وهم فى سـوادها

ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

انتهى.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول: وهذه صلاة عظيمة البركة، رأيتها فى بعض المجاميع منسـوبة للشيخ سيدى عبد القادر الجـيلانى – أفاض الله علينا من أنواره:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهـم صل على سيدنا محمد وآله وصـحبه وسلم، يا مولاى يا قادر، يا مولاى يا غافر، يا لطيف يا خبير، اللهم اجعل أفضل صلواتك عددا، وأنمى بركـاتك سرمدا، وأزكى تحياتك فـضلا ومددا، على أشرف الحـقائق الإنسانيـة، ومعدن الرقـائق الإيمانية، وطور التـجليات الإحسانيـة، ومهبط الأسرار الرحمانيـة، واسطة عقد النبيئين، ومـقدم جيش المرسلين، وأفـضل الخلق أجمـعين، حامـل لواء العز الأعلى، ومـالك أزمة الشرف الأسنى، شاهد أسرار الأزل، ومشاهد أنوار السوابق الأول، وترجمان لسان القدم، ومنبع العلم والحلم والحكم، مظهر سر الوجود الجزئى والكلى، وإنسان عـين الوجود العلوى والسـفلى، وروح جسـد الكونين، وعين حـياة

obeikandl.com

الدارين، المتخلق بأعلى رتب العبودية، والمتحقق بأسرار المقامات الاصطفائية، سيد الأشراف، جامع الأوصاف، الخليل الأعظم، والحبيب الأكرم، المخصوص بأعلى المراتب والمقامات، والمؤيد بأوضح البراهين والدلالات، والمنصور بالرعب والمعجزات، الجوهر الشريف الأبدى، والنور القديم المحمدى، سيدنا محمد المحمود فى الإيجاد والوجود، الفاتح لكل شاهد ومشهود، حضرة المشاهد والمشهود، نور كل شيء وهداه، وسر كل سر وسناه، الذى منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، السر الباطن، والنور الظاهر، السيد الكامل، الفاتح الخاتم الأول، الآخر الباطن الظاهر، العاقب الحاشر، الناهى الآمر، الناصح الناصر، الصابر الشاكر، القانت الذاكر، الماحى الماجد، العزيز الحامد المؤمن العابد، المتوكل الزاهد، القائم الساجد، الشافع الشهيد، الولى الحميد، البرهان الحجة، المطاع المختار، الخاضع الخاشع، البر المستنصر، الحق المبين، طه يس، المزمل المدثر، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيئين، وحبيب رب العالمين، النبى المصطفى، والرسول المجتبى، الحكم العدل، الحكيم العليم، نورك القديم، وصراطك المستقيم، محمد عبدك ورسولك، وصفيك وخليلك، وحبيبك ووليك، ونبيك وأمينك، ودليلك ونجيك، ونخبتك، وذخيرتك وخيرتك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة النبى الأمى، العربى القرشى، الهاشمى الأبطحى المكى، المدنى التهامى، الشاهد المشهود، الولى المقرب السعيد المسعود، الحبيب الشفيع، الحسيب الرفيع، المليح البديع، الواعظ النذير، العطوف الحليم، الجواد الكريم، الطيب المبارك المكين، الصادق المصدق المبين، الداعى إليك بإذنك السراج المنير، الذى أدرك الحقائق بجملتها، وحاز الخلائق برمتها، وجعلته حبيبا، وأدنيته رقيبا، وختمت به الرسالة والدلالة،

والبشـارة والنذارة والنبوءة، ونصرته بالرعب، وظللتـه بالسحب، ورددت له الشمس، وشـققت له القمر، وأنطقـت له الضب والظبى، والذئب والجذع، والذراع والجمل والخـيل، والمدر والشجـر، وأنبعت من أصـابعه الماء الزلال، وأنزلت من المـزن بدعـوته فـى عـام المحل والجـــدب وابل الغـــيث والمطر، فاعشوشب منه القفر والصخـر والوعر، والسهل والرمل والحجر، وأسريت به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجـد الأقصى، إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتـهى، إلى قـاب قـوسين أو أدنى، وأريتـه الآية الكبـرى، وأنلتـه الغـاية القصوى، وأكرمته بالمخاطية والمراقـبة، والمشافهة والمشاهدة، والمعاينة بالنظر، وخصصته بالوسيلة العذرا، والشفـاعة الكبرى، يوم الفزع الأكبر فى المحشر، وجمعت له جوامع الكلم وجواهر الحكم، وجعلـت أمته خير الأمم، وغفرت له مـا تقدم من ذنبـه ومـا تأخر، الذى بلغ الـرسالة، وأدى الأمـانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجلا الظلمة، وجـاهد فى سبيل الله، وعبد ربه حتى أتاه اليقين.

اللهم ابعثه مقـاما محمودا يغبطه فيـه الأولون والآخرون، اللهم عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بشفاعته فى أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين وبالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود، اللهم تقبل شفاعته الكبرى، وارفع درجته العليا، واعطه سـؤله فى الآخرة والأولى، كمـا آتيت إبراهيم وموسى، اللهم اجعله من أكرم عـبادك عليك، ومن أرفعهم عندك درجـة، وأعظمهم خطرا، وأمكنهم عندك شفاعة، اللهم عظم برهانه، وأبلج حـجته، وأبلغه مأموله فى أهل بيته وذريته، اللهم اتبـعه من أمته وذريته ما تقر به عينـه، واجزه خير ما

جازيت نبيا عن أمته، واجز الأنبياء كلهم خيرا، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عدد ما شاهدته الأبصار، وسمعته الآذان، وصل وسلم عليه عدد من صلى عليه، وصل وسلم عليه، عدد من لم يصل عليه، وصل عليه وسلم، كما تحب أن يصلى عليه، وصل وسلم عليه، كما أمرتنا بالصلاة عليه، وصل وسلم عليه، كما ينبغى أن يصلى عليه، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله، عدد إنعام الله وإفضاله، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأولاده، وأزواجه وذريته، وأهل بيته وعترته، وعشيرته، وأصهاره وأحبابه، وأتباعه وأشياعه، وأنصاره، خزنة أسراره، ومعدن أنواره، كنوز الحقائق، هداة الخلائق، نجوم الاهتداء لمن اقتدى، وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا، وارض عن كل الصحابة رضى سرمدا، عدد خلقك، وزنة عرشك، ورضى نفسك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك ذاكر، وكلما سها عن ذكرك غافل، صلاة تكون لك رضى، ولحقه أداء، ولنا صلاحا، وآته الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، وصل يارب على إخوانه من الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، صلوات الله عليهم أجمعين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره، عدد من مضى من خلقك ومن بقى، ومن سعد منهم ومن شقى، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، صلاة لا غاية لها ولا انتهاء، ولا أمد ولا انقضاء، صلاتك التى صليت عليه، صلاة معروضة عليه، مقبولة لديه، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا منتهى لها دون علمك، صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا، صلاة تملأ الأرض والسماء، صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، ويجرى بها لطفك فى أمرى والمسلمين، وبارك على الدوام وعافنا واهدنا، واجعلنا آمنين، ويسر

أمـورنا، مع الراحة لقـلوبنا وأبداننا، والسـلامة فى ديننا ودنـيانا، وآخـرتنا، وتوفنا على الكتاب والسنة، واجـمعنا فى الجنة، من غير عـذاب يسبق وأنت راض عنا، ولا تمكر بنا، واختم لنا منك بخير فى عافـية بلا محنة أجمعين، وسلام على المرسلين والحمـد لله رب العالمين، صلى الله على سيدنا مـحمد وآله وصحبه أجمعين - انتهت بحمد الله.

وذكر الشيخ الصـالح سيدى زيتون رضى الله عنه - صلاة بأربعـة عشر ألف صلاة، وهى:

اللهم صل وسلم على سـيدنا محـمد، وعلى آل سيـدنا محمـد، بحر أنوارك، ومـعدن أسـرارك، ولسـان حجـتك، وإمـام حـضرتك، وعـروس مملكتك، وطـراز ملكك، وخـزائن رحـمـتك، وطريق شـريـعـتك، المتلذذ بمشـاهدتك، عين أعـيان خلقك، المنقـدح من نور ضيـائك، صلاة تحل بـها عقدى، وتفرج بها كربـى، صلاة ترضيك وترضى بها عنا - يارب العالمين - انتـهت. وقد تقـدمت عن الشـيخ الملالى ببعـض اختـلاف مع هذه، فلذلك ذكرتهما معا، على أنهما اتفقا فى أكثرها - والله أعلم.

وهذه صلاة أخرى مختصرة، ذكر عن بعض الأولياء أنه نقلها من اللوح المحفوظ، وهى:

اللهم صل وسلم على روح سـيدنا محـمد فى الأرواح، وبلغـه أقصى رتبـة فى السعـادة والفـلاح، والصـلاة والسلام على المصـطفى ورحمـة الله وبركاته.

وهذه صلاة عظيمـة للولى العارف سيدى عبـد العزيز المهدوى - رضى الله عنه، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على لوح رحمانيتك، الذى كتبت فيه بقلم رحيمتك، ومداد مدد رحمونيتك ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ... (٣٣)﴾ [الأنفال]، اللهم صل وسلم على عرش استواء وحدانيتك، من حيث إحاطة أحدية ألوهيتك، ورحمتك الشاملة، وبركتك الكاملة، من حيث إحاطة قولك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء]. اللهم صل وسلم يارب العالمين، على رحمة العالمين، اللهم صل وسلم على إنسان عين الكل فى حضرة وحدانيتك، وجمع جمع أحديتك، من حيث إحاطة قولك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (٤٧)﴾ [الأحزاب]. فكان المبشر عين المبشر به، فأنلنا اللهم من بركاته، وافتح اللهم أقفال قلوبنا بمفاتيح حبه، وكحل أبصار بصائرنا بإثمد نوره، وطهر أسرار سرائرنا بمشاهدته وقربه، حتى لا نرى فى الوجود إلا أنت به، ومن نوم غفلاتنا ننتبه، اللهم صل وسلم على كاف كفايتك، وهاء هدايتك، وياء يمنك، وعين عظمتك، وصاد صراطك: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة]، ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣)﴾ [الشورى] اللهم صل وسلم على نورك الأسنى، المتشفع بالأسماء فى حضرة المسمى، فكان عين مظاهرها الوجودية من حيث أحاط علمك، وعين أسرارها الجودية من حيث أحاط كرمك، وعين اختراعاتها الكلية الكونية من حيث إحاطتها إرادتك، وعين مقدوراتها الجبروتية من حيث أحاطت قدرتك وقهرك، وعين إنشاءاتها الإنسانية من حيث أحاطت سعة رحمتك، اللهم صل وسلم على ميم ملكك، وحاء حكمتك وميم ملكوتك، ودال ديمومتك، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، اللهم صل وسلم على

الواحد الثانى، المخصوص بالسبع المثانى، والسر السارى فى نازل الأفق الرحمانى، والقلم الجارى بمداد المرد الربانى، على طور عقل الإنسانى، صلاة تتجدد بتجدد رحمتك عليه، واتصال انتهاء نورك وسرك إليه، يارب العالمين، اللهم صل وسلم على ألف أحديتك، وحاء وحدانيتك، وميم ملكك، ودال ديمومتك، اللهم صل على ميم ملكك وحاء وحدانيتك، ودال دينك، ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... ﴿٣﴾**﴾ [الزمر] فقد أخلصت الخالص، للقائم بالدين الخالص، وأضفته إليك، فصل وسلم يارب على من قام بما أضفت إليك على التحقيق، وقام بدينك، وبلغ رسالتك، وأوضح سبيلك، وأدى أمانتك، وأقام البراهين على وحدانيتك، وأثبت فى القلوب أحديتك، فهو سرك المصون بهيبتك وجلالك، المتوج بنور أسرارك وجمالك، صل رب عليه على قدر مقامه العظيم لديك، وعلى قدر عزته عليك، اللهم صل وسلم على موضع نظرك، ومظهر منظرك، ومغنم خزائن كرمك، عقد عزتك ومفتاح قدرتك، محل رحمتك، ومجد عظمتك، خلاصتك من كفه كونك وصفوتك، من خصصته باصطفائك، النبى الأمى، الرسول العربى، الأبطحى الحرمى القرشى، أحمد الحامدين فى سرادقات جلالك، ومحمد المحمودين فى مباسطة جمالك، ألف إبداعياتك وباء بداية اختراعاتك، وواو ودك فى إنشاءاتك، وألف إبرازك لمخلوقاتك، ولام لطفك فى تدبيراتك، وقاف إحاطة قدرتك على خلق أرضك وسماواتك، وسين سرك بين جميع أضداد مبدعاتك، وميم مملكتك المحيطة بمعلوماتك، اللهم صل وسلم على سر جودك، ومظهر وجودك، وخزانة موجودك، اللهم صل وسلم على إمام حضرة جبروتك، المصلى فى محراب ﴿**...قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾**﴾ [النجم] بأحدية جمعه فانجمع بك فى صلاته فجمعته عليك. وخصصته بالنظر إليك،

وأخلصته بالسجود بين يديك، وجعلت قرة عينه فى الصلاة الخالصة لديك، فهو المفتض إبكار أسرار مشاهدتك، المقبض للمعات لمحات نفحات مشاهدتك، اللهم صل وسلم على كلمتك العليا من حيث الاختراع والإبداع، وعروتك الوثقى من حيث تتابع الاتباع، وحبلك المعتصم به عند الضيق والاتساع، وصراطك المستقيم للهداية والاتباع، ألم، حم، ح، وطسم ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ - إلى آخر السورة - وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ [الفتح]. اللهم صل وسلم على المتخلق بصفاتك. المستغرق فى مشاهدة ذاتك، الحق، المتخلق بالحق حقيقة الحق. ﴿... قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ... (٥٣)﴾ [يونس]، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب] اللهم إنا قد عجزنا، من حيث إحاطة عقولنا، وغاية أفهامنا، وسوابق همنا، أن نصلى عليه من حيث هو وكيف نقدر على ذلك وقد جعلت كلامك خلقه، وأسماءك مظهره، ومنشأ كونك منه، وأنت ملجأه وركنه، وملاك الأعلى عصبته ونصرته، صل اللهم عليه من حيث تعلق قدرتك بمخلوقاتك، وتحقق اسمك بإرادتك، منه أَبْدَأْتَ المعلومات، وإليه جعلت غاية الغايات، وبه أقمت الحجج على المخلوقات، فهو أمينك، وخازن علمك، وحامل لواء حمدك، ومعدن سرك، ومظهر عزك، ونقطة دائرة ملكك ومحيطه ومركبه وبسيطه، اللهم صل وسلم على المنفرد بالمشهد الأعلى، والطود الأعلى، والنور والسر الأجلى، المختص فى حضرة الأسماء بالمقام الأسنى، والنور والسر الأحمى، اللهم صل وسلم على النشأة الحبيبة، اللهم صل وسلم على الشجرة الطيبة العلوية، الثابت أصلها فى معادن هيبتك، السامى فرعها فى سرادقات عظمتك، اللهم صل وسلم على المزمل المدثر، المبشر المكبر المطهر، عطوف رحيم، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ إلى رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾

[التوبة]، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إلى بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور]، اللهم صل وسلم على مشكاة جسمه ومصباح قلبه، وزجاجة عقله، وكوكب سره، اللهم صل وسلم على كوكب سره، «الموقد من شجرة»، أصلها: النور الذى هو المفيض عليه من نور ربه «نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء»، وصل على الضمير البارز المستور فى النور الثانى الأخير المضروب به الأمثال فى عالم المثال، اللهم صل وسلم على من نورت بنوره ملكوت سمواتك وراضك، «مثل نوره كمشكاة كونك» (فيها مصباح) من نوره، «المصباح فى زجاجة» أجسام أنبيائك وملائكتك ورسلك، «كأنها كوكب درى» سره، «يوقد من شجرة» أصلها النور الذى هو المفيض عليه من فيض أسمائك، «يهدى الله» لنور سيدنا محمد «من يشاء» من خلقه، «ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شىء عليم».

اللهم إنك عالم بهذا النور البارز المستور، الباهر المنشور الذى بهرت به كليات الكونين، وطرزت به الثقلين، وزينت به أركان عرشك، وملائكة قدسك، وأدنيته من حضرة جبروتك، وجعلته المشفع إليك فى ملائك، وأنبيائك ورسلك، فهو باب الرضى، والرسول المرتضى، حقيقة حقك، وصفوتك من خلقك بنوره حملت عرشك، وبسره رفعت سمواتك وبسطت أرضك، فهو سماء سمائك، وعناية عيون إحسانك، ومظهر عزك وسلطانك، فأنت العليم به من حيث الحق والحقيقة، فصل وسلم رب عليه من حيث حقيقة علمك بذلك، وتحققه لما هناك، اللهم صل وسلم على سراج دينك، وكوكب يقينك، وقمر توحيدك، وشمس مشاهدة إحسانك، فى إيجاد إنسانك، صلاة تصعد بك منك إليك، وتعرف فى الملأ الأعلى أنها

خالصة لديك صلاة مبلغها العلم المحيط بالكل، حقيقة الكل، تتجدد بكلية ذلك الكل، صل وسلم عليه من حيث المقام المختص، تسليما مبلغه ذلك كذلك، والحمد لله على ذلك، والحمد لله على ما منح من الفتح الذى به إبصار بصائرنا، قد فتح بالصلاة على أشرف موجود، وبه كمل الوجود، وبالله سبحانه وتعالى، التوفيق، وبه نطلب كمال إكمالنا على التحقيق، اللهم بجاه صاحبه الصديق، وبالفاروق الموقن بالتصديق، وبذى النورين، وبخاتم الخلافة ابن عمه على على التحقيق، اللهم اجمعنا بك عليك، وارددنا منك إليك، وأشهدنا إياه فى حضرة جمع الجمع، حيث لا فرقة ولا منع، إنك أنت المانح الفاتح، تمنح من شئت من مواهب ربانيتك، لمن شئت ممن خصصته برهبانيتك، اللهم إنا نسألك أن تحشرنا فى زمرته، وأن تجعلنا من أهل سنته ومحبته، ولا تخالف بنا عن ملته، ولا عن طريقته، واجعلنا من المسلمين والمصلين عليه، إنك سميع الدعاء مجيب لمن دعا، ﴿ ...أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) ﴾ [ق] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين. انتهت.

وللشيخ نور الدين الشونى، هذه الصلوات الثلاث عشرة جمعها - رضى الله عنه - من مظانها، فأثبتها - هنا - تكميلا للفائدة، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد، عدد خلقك، ورضى نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك،

كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل أفضل صلواتك على أفضل مخلوقاتك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم، عدد ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما، وأجر لطفك فى أمورنا والمسلمين أجمعين يارب العالمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، عدد ما كان وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن فى علم الله، اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد فى الأرواح، وصل وسلم على جسده فى الأجساد، وصل وسلم على قبره فى القبور، وصل وسلم على اسمه فى الأسماء، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صاحب العلامة، والغمامة، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، الذى هو أبهى من الشمس والقمر، وصل وسلم على سيدنا محمد، عدد حسنات أبى بكر وعمر، وصل وسلم على سيدنا محمد، عدد نبات الأرض وأوراق الشجر، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبى المليح، صاحب المقام الأعلى واللسان الفصيح، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، عبدك الذى جمعت به شتات النفوس، ونبيك الذى جليت به ظلام القلوب، وحبيبك الذى اخترته على كل حبيب، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، الذى جاء بالحق المبين، وأرسلته رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد كما ينبغى لشرف نبوءته، وعظيم قدره العظيم، وصل وسلم على سيدنا محمد، حق قدره ومقداره العظيم، وصل وسلم على سيدنا محمد، الرسول الكريم، المطاع الأمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الحبيب، وعلى أبيه إبراهيم الخليل، وعلى أخيه موسى الكليم، وعلى روح الله عيسى

الأمين، وعلى عبدك ونبيك سليمان، وعلى أبيه داوود، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين، من أهل السموات وأهل الأرضين، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل وسلم وبارك على عين العناية، وزين القيامة، وكنز الهداية، وطراز الحلة، عروس المملكة، ولسان الحجة، وشفيع الأمة، وإمام الحضرة، ونبى الرحمة، سيدنا محمد، وعلى آدم، ونوح، وإبراهيم الخليل، وعلى أخيه موسى الكليم، وعلى روح الله عيسى الأمين، وعلى داوود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعلى آلهم، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون. انتهى.

هذه صلوات لبعض الأولياء الأكابر، نفعنا الله بهم، وهى خمس الأولى سماها: «بغية القاصد إلى جميع المقاصد»:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، حمدا يوافى نعمه، ويكافى مزيده لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ... ﴿٦٩﴾ ومن يطع الله والرسول - إلى عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء]، اللهم صل وسلم أفضل وأجل وأكمل وأنبل وأظهر وأبهر أفضل صلاتك، وأوفى سلامك، صلاة تمتد وتزيد بوابل سحائب جود كرمك، وتنمو وتزكو بنفائس شرائف لطائف جود مننك، دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا منتهى لها دون علمك، ولا منتهى لعلمك، أزلية بأزليتك لا تزول، أبدية بأبديتك لا تحول، على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد، إمام حضرتك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، العز الشائع، والنور الساطع، والبرهان القاطع، الرحمة الواسعة، والحضرة الجامعة، نور الأنوار، ومعدن الأسرار، وطراز حلة الفخار، در صدفة

الوجود، وذخيرة الملك الودود، ومنبع الفضائل والجود، تاج مملكة التمكين، الرءوف بالمؤمنين، ونعمة الله على الخلائق أجمعين، صلاتك التى صليت عليه بما أنعمت، وبفضائلها له أكرمت، وعلى آله وصحبه، ومخزن علمه، ونجوم هدايته، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين، صلاة تحسن بها أخلاقنا، وتوسع بها أرزاقنا، وتزكى بها أعمالنا، وتغفر بها ذنوبنا، وتشرح بها صدورنا، وتطهر بها قلوبنا، وتروح بها أرواحنا، وتقدس بها أسرارنا، وتنزه بها أفكارنا، وتصفى بها سرائرنا، وتنور بها بصائرنا، بنور الفتح المبين، يا أكرم الأكرمين، يا أرحم الراحمين، صلاة تنجينا بها من هول يوم القيامة ونصبه، وزلاله وتعبه، يا جواد، يا كريم، وتهدينا بها الصراط المستقيم، وتجيرنا بها من عذاب الجحيم، وتنعمنا بها بالنعيم المقيم، يارب يا الله يا رحمن يا رحيم، نسألك حقيقة الاستقامة فى حظائر قدسك، ومقاصر أنسك، على أرائك سبحات مشاهدتك، وتجليات منازلتك، والهين بساطعات أنوار ذاتك، معطرين بأخلاق حقائق رقائق صفاتك، فى مقعد حبيبك وخليلك وصفيك الجمال الزاهر، والجلال القاهر، والكمال الفاخر، واسطة عقد النبوة، ولجة زخار الكرم والفتوة، سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد، سيد المرسلين، المنزل عليه فى الذكر المبين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء]. انتهت.

الثانية سماها «تحفة العارف، لتحصيل المعارف»، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)﴾ [آل عمران]، اللهم صل وسلم، أبر وأكرم، وأعلى وأعظم، وأعز

وأرحم، على العز الشامخ، والمجد الباذخ، والنور الطامح، والحق الواضح، ميم الملك، وحاء الرحمة، وميم الملكوت، ودال الهداية، ولام الألطاف الخفية، وراء الرأفة الحفية، ونون المنن الوفية، وعين العناية، وكاف الكفاية، وياء السيادة، ميم العلم، ودال الدلالة، ألف الجبروت، وحاء الرحموت، وسين السعادة، وقاف القربة، وطاء السلطة، وهاء العروة، وصاد العصمة، وعلى آله، جوهر علمه العزيز، وأصحابه من أصبح الدين بهم حرز حريز، صلاتك المهيمنة بعظمة جلالك المشرفة بجلال جمالك، المكرمة بعظيم نوالك، دائمة بدوام ملكك لا انتهاء لها، سامية بسمو رفعتك، لا انقضاء لها، صلاة تفوق وتفضل وتليق بمجد كرمك، وعظيم فضلك، أنت لها أهل، لا يبلغ كنهها، ولا يقدر قدرها، كما ينبغيى لشرف نبوته وعظيم قدره، وهو لها أهل، صلاة تفرج بها عنا هموم حداث عوارض الاختيار، وتمحو بها ذنوب وجودنا بماء سماء القربة حيث لا أين ولا بين، ولا جهة ولا قرار، وتغنينا بها عنا فى غياهب عيون أنوار أحديتك، فلا نشعر بتعاقب الليل والنهار، وتخولنا بها سماح رباح فتوح حقائق بديع جمال نبيك المختار، وتلحفنا بها أسرار أنوار ربوبيتك فى مشكاة الزجاجة المحمدية فتتضاعف أنوارها بلا أمد ولا حد ولا انحصار، يارب يا الله، يارب يا الله، يارب يا الله، يا حى يا قيوم، يا حى يا قيوم، يا حى يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، نسألك بدقائق معانى علوم القرآن المتلاطمة أمواجها فى بحر خزائن علمك المخزون، وبآياته البينات، الزاهرات، الباهرات، على مظهر إنسان عين سرك المصون، أن تذهب عنا ظلام وحش الفقد، بنور أنس الوجد، وأن تكسونا حلل صفات كمال سيدنا محمد - ﷺ

- نور الجلالة، وأن تسقينا من كوثر معرفته رحيق تنسيم شراب الرسالة، الجود الأكرم، والنور الأقدم، والعز الأعظم، محمد ﷺ، المبعوث بالقيل الأقوم، ومنة الله على كل فصيح وأعجم، سيدنا ونبينا وشفيعنا، قطب رحى النبيين، ونقطة دائرة المرسلين، المخاطب فى الكتاب المكنون، ﴿**مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾**﴾ [القلم]، الموصوف بقولك الكريم، ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾**﴾ [القلم]، والحمد لله رب العالمين. انتهت.

وهذه صلاة ثالثة له، سماها بـ «الفتح المبين، والقبول المكين»، وهى:

بسم الله الرحمن الرحين، ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ إلى قوله ﴿**صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾**﴾ [الفتح]، اللهم صل وسلم وبارك، وكرم، وشرف وعظم، على مولانا وسيدنا محمد النبى الكريم، والرسول العظيم، العليم الحليم، الرءوف الرحيم، العزيز الحكيم، العروة الوثقى، والصراط المستقيم، العفو الغفور، الشكور الصبور، الودود المجيد، الولى الحميد، النور المبين، وحبل الله المتين، وحرزه الأمين، المنبأ وآدم بين الماء والطين، صل اللهم عليه شرائف صلواتك ونوامى بركاتك، ورأفة تحننك، وفضائل آلائك، وأزكى تحياتك، وأوفى سلامك، حسب قدرك، وسرادق هيبتك، وعظيم شأنك، كما يحسن ويليق بذروة شرفك، وعلو منصبه، حسب قدره وجاهه، وعظيم شأنه، وعلى آله الأقطاب، الأفراد، الأنجاب، السابقين إلى بحبوحة ذلك الجناب، وأصحابه هداة التحقيق، أئمة الصدق والتصديق، الراشدين إلى مدرجة سبيل التوفيق، صلاتك المربوبة بعنايتك، فى ضمن محبتك، قبل القبل حين لا قبل، المحفوفة بكرامتك، فى نشر سعادتك، بعد البعد حين لا بعد، كما لها

أحببت وأفضلت، وإليها هديت وأرشدت، وبها أعطيت وأجزيت، وعليها أوجبت وعولت، فلك الحمد بما أنعمت، لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أكرمت، صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، وتزيل بها الهموم، وتبلغ بها العبد ما طلب، صلاة تطفئ بها عنا وهج حر القطيعة، ببرد يقين وصالك، وتلبسنا بها أنوار غرر تبلج رونق مجد جمالك، فى الحضرات العندية، والمشاهد القدسية، منخلعين عن ذوات البشرية، بلطائف العلوم اللدنية وسرائر الأسرار الربانية، وجواهر الحكم الفردانية، وحقائق الصفات الإلهية، وشرائع مكارم الأخلاق المحمدية، يا الله، يا سميع، يا قريب، يا فتاح، يا وهاب، يا كريم، يا رحيم، وأن تلحقنا بالسابقين، فى حلبة توفيق الفائزين، بالأكملية فى كل خلق أنيق فى الرفيق الأعلى، مع الذين أنعمت عليهم بمواهب أنوار بهائك الأجلى، على بساط صدق المحبة مع الأحبة، محمد ﷺ وحزبه، بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ونبى رحمتك ونؤنؤ عين مملكتك، السابق للخلق نوره، الرحمة للعالمين ظهوره، روح الحق، وسنة الله على الخلق، تاج العز والكرامة، وشفيع الأمم يوم القيامة، قلب قلب القرآن، وخليل الرحمن، وحبيب الله الملك الديان، المبعوث بالدليل والبرهان، المنعوت فى التوراة والإنجيل، والزبور والفرقان، بسمته وصفته تعزيزا وتوقيرا، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (٤٧)**﴾ [الأحزاب]، المنوه بذكره فى السموات والأرضين، إجلالا لحقه وتعظيما، وتشريفا له وتكريما، ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)**﴾ [الأحزاب]. انتهت.

وهذه صلاة رابعة له، وتسمى «الفتوحات القدسية، والمواهب الوافية، فى الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية»، وتسمى أيضا «مصباح طريق الهداية، ومفتاح كنز العناية»، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ... ﴿٩﴾﴾ [الصف] إلى قوله: ﴿...فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف]، وهو آخر السورة، اللهم صل وسلم أفلح وأنجح، وأنمى وأصلح، وأزكى وأربح، وأوفى وأرجح، وأفضل الصلوات، وأجزل المنن والتحيات، على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد، فلق صبح الأنوار الوحدانية، وطلعة شمس الأسرار الربانية، وبهجة قمر الحقائق الصمدانية، وعروس حضرة الحضرات الرحمانية، نور كل رسول وسناه، ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس]، سر كل نبى وهداه، ﴿...ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام]، جوهر عقل كل ولى وضياه، ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]، اللهم صل وسلم على نبيك سيدنا محمد فى الأنبياء، صلاة مقدسة بسرائر قدسك، رائقة برقائق أنسك، وعلى اسمه فى الأسماء، موصوفة بصفاتك وأسمائك، وعلى جسده فى الأجساد، منوطة بنعمائك وآلائك، وعلى قلبه فى القلوب، مروقة بالعمل واليقين والعرفان، وعلى روحه فى الأرواح، محبرة بالتوفيق الروح والريحان، وعلى قبره فى القبور، منمقة بالفوز والقبول والرضوان، صلاة تتضاعف أعدادها بالفضل والمن والإحسان، وتترادف أمدادها بالجود والكرم والامتنان، لا غاية لها ولا أمد لها، شريفة عن المكان والزمان، صلاتك المنزهة عن الحدوث والفتور والنقصان، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة يا حنان، يا منان، يا رحمن، وعلى آله مصابيح طرق الهداية لسعادة

الدارين، ومفـاتيح كنوز الحقائق لذخـائر الكونين، وأصحـابه نجوم ظلام ليل الجهالة، آمنة الأمة من الشك والشرك، والضـلالة، صلاة تصفينا بها من كدر الطبيعة الآدمية، بالسحق والمحق، وتطمس بها آثار وجود الغيرية منا فى غيب غيب الهـوية، فيـبقى الكل للحق، فى الحق بالحق، وترقـينا بها فى مـعارج شهود وجود ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ... ﴿٥٣﴾** ﴾ [فصلت]، يارب، يا الله، يا أكـرم الأكرمين يا بديع السـموات والأرض، يا أرحم الراحمين ﴿ **... لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾ [الأنبياء]، نسألك من فضلك العظيم، يا ذا الفـضل العظيم، أن تمنحنا بفضلك العظيم، أنوار علوم الرقائق المحمـدية، بدقيق إشارات ﴿ **... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾** ﴾ [النساء] وتخـصصنا بكرمك من حـضرة الرحـمة الشاملة، والنعـمة الكاملة النبوية، بإثابة الفـتح المبين والفتح القـريب والفتح المطلق، فتوح المواهب الأحمـدية، بلمحات لحظات خطاب ﴿ **...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ... ﴿٣﴾** ﴾ [المائدة]، وتبيحنا من أرفع المخادع أعلى شـرف المجد الأسنى، واجل مراتب القطبيـة الكبرى، وأكـمل الأخلاق العـلية العظـمى، فى مقـام ﴿ **...قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾** ﴾ [النجم]، بواسطة أحمد الثبات ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾** ﴾ [النجم] يا ذا الكرم العظيم والعطاء الجـسيم، والفضل العـميم، بحرمـة هذا النبى الكريم، صل اللهم عليـه وعلى آله وصـحبـه وسلم، صـلاتك وسـلامك فى طى علمك الأزلى، وسابق حكمك الأبدى، صلاة لا يضبطها العد، ولا يحصرها الحد، ولا تكفيفها العبارة، ولا تحـويها الإشارة، صلاة سطع فجرها بحظه الأنفس، ﷺ على أفراد الفحول، فابهت وابهـر، ولمع نورها بفيضه الأقدس - ﷺ - على ذوى العقول، فأدهش وحيـر، سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفـيعنا، محمد -

ﷺ، النور الأزهر، مجلى تجلى الذات الأحدية، فى حقائق الصفات الواحدية، سر سرائر اللاهوت، فى مشارق أنوار الجبروت، المنزل عليه فى القرآن العظيم، والذكر الحكيم، تثبيتا له وتمكينا، وتعليما له وتبيينا، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح] - إلى ﴿...عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾. انتهت.

وهذه صلاة خامسة له، سماها بـ «الدر الأزهر، والياقوت الأبهر»، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ... ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة] - إلى آخر السورة، ﴿... يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ...﴾ - ...الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف]، وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا اللهم صل وسلم، وأتحف وأنعم، وامنح وأكرم، وأجزل وأعظم أفضل صلواتك، وأوفى سلامك، صلاة وسلاما، يتنزلان من أفق كنه باطن الذات، إلى سماء مظاهر الأسماء والصفات، ويرتقيان من سدرة منتهى العارفين، إلى مركز جلال النور المبين، على مولانا وسيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، علم يقين العلماء الربانيين، وعين الخلفاء الصديقين، وحق يقين الأنبياء المكرمين، الذى تاهت فى أنوار جلاله، أولو العزم من المرسلين، وتحيرت فى درك حقائقه عظماء الملائكة المهيمنين، المنزل عليه فى القرآن العظيم، بلسان عربى مبين، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران]، اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأوفى سلامك، وأنمى بركاتك، وأزكى تحياتك ورأفتك ورحمتك، على النور الأكمل الأعلى، والكمال الأنور الأبهى، مهبط تجليات كمالات المملكة الإلهية ومواقع نجوم الأسرار الجمالية والجلالية، اللطيف

بلطائف شمائل فضائل مكارم البر الكريم، الرءوف برأفة رحمة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته، ورأفته وتحننه، ومغفرته ورضوانه، على مولانا وسيدنا، محمد الأول الآخر، الظاهر، الباطن، العزيز بعزة عظمة الله، العظيم، بعظمة عزة الله، القدوس بسبحات سبحان الله، المحمود بمحامد الحمد لله، الوحدانى بتوحيد لا إله إلا الله، الفردانى بمنار الله أكبر، الربانى بتدبير لا حول ولا قوة إلا بالله، صلاة عبيرة الند، ساطعة الأنوار، معطرة الوجود بروائح الجود الإلهى الأحمدى، والستر القدسى المحمدى، فى عوالم شئون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، لا غاية لها دون انتهاء، ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاتك التى صليت عليه بدوامك، وصل يارب على عبدك ونبيك ورسولك، سيدنا محمد المؤمن المهيمن، المطاع الأمين، الحق المبين، رحمة العالمين، وقدم صدق المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، غبطة الحق، وعمدة الحق، الاسم الأعظم والبر الأرحم، صلاة جلت عن الحصر والعد، وتعالت عن الدرك والحد، صلاتك التامة التى لا تتناهى، تدوم بدوام ملكك الذى لا يضاهى، كما يليق بجود كرمك وكرم جودك، يا جواد يا كريم، وسلم تسليما، تسلمنا به من حرج وساوس الصدور، بنفحات بركات بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح]، وتخلصنا بها من ثقل أوزارنا، بجود غفران ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الشرح]، وترفعنا به عندك يا رفيع الدرجات، فى أقصى الدرجات درجات ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح]، وتحلنا به برد الرضى والتسليم بسكينة سكون لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، طيبا يعبق طيبه بقبول رضى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس]،

مباريا تبارك مدده بمدد ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [الملك]، كثيرا تكاثر خيره بكثير ﴿...لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)﴾ [الشورى]، وترادف بره بمزيد ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ [ق]، وعلى آله ثمرة شجرة النبوة، ومعدن سر الولاية، ومنبع عين الفتوة، سحب سماء مكارمه العميمة، المتحققين بحقائق أخلاقه العظيمة، وأصحابه ضوء شمس صباح الهدى، الأئمة المهتدين بنور قمر الاهتداء، صلاة وسلاما يبلغان قائلهما أعلى درجات خلاصة خاصة أهل الله المقربين، وينيلانه زلفى أجل مراتب أولياء الله المخلصين، بمن ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)﴾ [القصص]، فى المكانة العليا، والغاية القصوى، فوق عرش الاستوا، بتراكم أنوار تمكين، ﴿... إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ... (٥٤)﴾ [يوسف]، يارب، يا الله، يا باسط، يا رحيم، يا ودود، نسألك عواطف الكرم وفواتح الجود، أقل عثراتنا من كثائف ذنوب وجودنا، المظلمة بالبعد عنك، واغفر لنا بنور قلبك، ونعمنا بصفاء ودك، وطهرنا من حدث الجهل بالعلم الإلهى، وأتحفنا بالحب الربانى، والوصل المعنوى لمن اصطفيته، حتى أحببته فكنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وأعطنا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ما أعددت لعبادك الصالحين، الأئمة المرضيين، أولى الاستقامة فى المستوى الأزهى والأفق المبين، ﴿...رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ [البقرة]، اللهم إنا نسألك ونتوسل إليك، بحبك لحبيبك، وبحب حبيبك لك، وبدنوه منك وبتدليك له، وبالسر الذى بينك وبينه، صل اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم، صلاة وسلاما خصصته بهما لخصوصيته بما استأثرت له عندك على عالم

الغيب والشهادة بمخاطبتك إياه: ما خلقت خلقا أحب ولا أكرم على منك، وآته الوسيلة والفضيلة، والشرف الأعلى، والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته، يا أرحم الراحمين، يارب، يا الله، يا بر، يا لطيف، يا كافى، يا حفيظ، يا مغيث، يا واسع العطاء، وسابغ النعم، نسألك بنور وجهك العظيم، المبرة الجامعة، من نور كمال سيدنا محمد - ﷺ - مصطفى عنايتك - أن تتحد ذاتنا بذاته المقدسة بجلالتك، وتتحقق صفاتنا بصفاته المشرفة بمحبتك، وتبدل أخلاقنا بأخلاقه المعظمة بكرامتك، فيكون عوضا لنا عنا، فنحيا حياته الطيبة النقية، ونموت موتته السوية الرضية، وفى القبر لنا سراجا منيرا وبهجة، وعند اللقاء عدة وبرهانا، وحجة، ﷺ، وأن تحشرنا معه فى زمرته مع آله وخاصته، مزينين بزينة إيمان ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ - إلى ﴿...**قَدِيرٌ** ﴿٨﴾﴾ [التحريم]، فى موكب الغر العرانين السعدا، أهل السعادة، غدا، ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح] إلى آخر السورة، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. انتهت الخمس صلوات البديعة المنزع، الرفيعة المطلع.

وهذه صلاة شريفة لبعض العارفين أيضا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، بواب حضرتك، وعين عنايتك لخلقك، ورسولك إلى جنك وإنسك، وحدانى الذات، المنزل عليه الآيات الواضحات، ومقيل العثرات، وسيد السادات، ماحى الشرك والضلالات، بالسيوف الصادقات، الآمر بالمعروف والناهى عن المنكرات: الثمل من شراب المشاهدات، سيدنا

محمد خير البريات، ﷺ ما دامت الأرض والسموات، اللهم صل وسلم على من له الأخلاق الرضية، والأوصاف المرضية، والأقوال الشرعية، والأحوال الحقيقية، والعنايات الأزلية، والسعادات الأبدية، والفتوحات المكية، والظهورات المدنية، والكماليات الإلهية، والمعالم الربانية، وواو الهوية، وسر البرية، شفيعنا يوم بعثنا، والمستغفر لنا إلى ربنا، الداعى إليك، والمقتدى به لمن أراد الوصول إليك، الأنيس بك، والمستوحش من غيرك، حتى تمتع من نور ذاتك، فرجع بك لا بغيرك، فشهد وحدتك فى كثرتك، فقلت له بلسان حالك لقوته بكمالك: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر]، الذاكر لك فى ليلك، والصائم لك فى نهارك، المعروف مع ملائكتك، أنه خير خلقك، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صاحب الهمم العاليات، والأسرار القدسيات، فافتخرت به الأرض على السموات، القائم بك فى الحركات والسكنات، الصافى من الكدورات، والمعصوم من أحوال البشريات، والهادى إلى الطرقات، قريبا من رب السموات، ملين القلوب القاسيات، وأخصب الفلوات المجدبات، الحجة البالغة، والعزة الطالعة، والشمس الواضحة، سيدنا محمد، النبى الأمى، الطاهر الزكى، المزكى به الأعمال الصالحات، والمغطى به الذنوب الكاشفات، محمود الحركة، ومحل البركة، سيدنا محمد منبع الخيرات، ومجلى القلوب الصاديات، المتحلى بالصفات الربانيات، الجالس على بساط المشاهدات، والغائب عن الحس والمحسوسات فى عالم الشهادات، وكافى الأمة من العقوبات وشفيع الأمم، وقربت لنا الأشياء المبعدات، وناجيته فى الليالى المظلمات، يوم المضيقات، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين المطهرين، العالمين المعلمين، المتأهبين إلى لقائك يارب العالمين،

اللهم صل وسلم على نبيك العظيم، ورسولك المبين، المنبأ وآدم بين الماء والطين، وبؤبؤ وجود الأنبياء والمرسلين، القائم على الصراط المستقيم، هاء العروة، وميم المروة، وحاء المحبة، ودال المودة وكاف الكفاية، شافى السقيم ومغنى العديم، الآية العظمى، والسر المكنى، والقريب المدنى، متخلقا بأسمائك الحسنى، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم]، وخاطبته بلا حجاب، وكلمته بلا عتاب، وصفيت له الشراب، ورددته إلى مواطن البلاد، ففرحت به أنفس العباد، فأصبحت الكائنات مسفرات، والأشجار مثمرات، والكل فى الرحمات المحمديات، فأبصرت به العيون المعمات، وأعتقت به الرقاب الموبقات، وقربت لنا الأشياء المبعدات، وأجبته فى الليالى المظلمات وهديتنا من الضلالات، وعرفتنا إياك بظهور أحمد الثبات، وأعطيته الكرامات الباهرات، ونورت به كون الكائنات، فلك الحمد يارب البريات، على عطاياك الجزيلات، لا نحصى ثناء عليك أنت العارف لنفسك بنفسك، والدال على نفسك بلطفك، ونحن الراجون لعفوك، وأنت الراحم بفضلك، فنسألك يا الله المشاهدات، فى الحضرات القدسيات، ولذيذ خطابك فى الليالى المظلمات، والغيبوبة بك عن شهوات البشريات، والموت للنفوس الفرعونيات، واللطف منك فى البحار اللجيات، والغرق بك فى البحار النوريات، يا مجيب الدعوات، اعصمنا من الجرم والمحرمات، ورضنا بالأشياء المقدرات، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، وروح أرواح عبادك، الدرة الفاخرة، والرحمة السابغة، والنعمة النافعة، بؤبؤ الموجودات، وحاء الرحمات، وجيم الدرجات، وسين السعادات، ونون العنايات وكمال الكليات، ومنشأ الأزليات، وختم الأبديات، المشغول بك عن الأشياء الدنيويات، الطاعم من المشاهدات،

والمسقى من الأسرار القدسيات، والعالم بالماضى والمستقبلات، سيدنا محمد - ﷺ - وعلى آله الأخيار، وأصحابه الأبرار، اللهم صل وسلم على الجامع الأكمل، والقطب الأفضل، طراز حلة الإيمان، ومعدن الجود والإحسان، صاحب الهمة السماوية، والعلوم اللدنية، اللهم صل وسلم على من خلقت الوجود من أجله، ورخصت لنا الأشياء بسببه، محمد المحمود، صاحب المكارم والجود، اللهم صل وسلم على من خلقته من نورك، وجعلت كلامه من كلامك، وفضلته على أنبيائك وأوليائك، وجعلت السقاية منك إليه ومنه إليهم، كمال كل ولى لك، وهادى كل مضل عنك، داعى الخلق، إلى الحق، تارك الأشياء لأجلك، ومعد الخيرات بفضلك - وخاطبته على بساط قربك: ﴿ ... **وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)** ﴾ [النساء]، القائم لك فى ضيائك، والهائم بك فى جلالك، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، المفتخر بجلالك، والمتكلم بصفاتك، الدال على رحمتك، والمترفع إلى أعلى سمواتك، والمنغمس فى أسرار أسرار تجليات، السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره، صل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه الأقطاب، السابقين إلى حانات ذلك الجناب، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، الذى سخرت له الأكوان، وشهدت برسالته الجمادات والحيوان، ونباته فى السر والإعلان وخاطبته بقولك البرهان ﴿ **وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤)** ﴾ [الإسراء]، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، النور البهى، والبيان الجلى، واللسان العربى، والدين الحنفى، الرحمة للعالمين، والمؤيد بالروح الأمين، والكتاب المبين، وخاتم النبيئين، ورحمة الله للخلائق أجمعين، اللهم صل وسلم على من أعطيته حتى رضى، وأحييت به الملأ الدنى والعلى، وأغنيت به المرضى، وجعلت نبوءته سناء فى سنى، ولولاه لم

يكن فقير ولا غنى، اللهم صل وسلم على نبيك، الخليفة فى خلقك المشتغل بذكرك، المفكر فى خلقك، والأمين لسرك، والبرهان لرسلك، الحاضر فى سرائر قدسك، والمشاهد إلى جلال جلالك، سيدنا محمد المفسر آياتك، والظاهر فى ملكك، والنائب فى ملكوتك، والمتخلق بصفاتك، والداعى إلى جبروتك، الحضرة الرحمانية والبرزة الجلالية، والسرائر الجمالية، العرش التقى والحبيب النبوى، والنور الزهى، والدر النقى، والصاح القوى، صل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم صل وسلم على أرحم الناس قلبا، وأعلمهم بك علما، الزاهد فيما زهدته، والتابع لما قلته فيما سطرته: ﴿**لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى**﴾ إلى ﴿وأبقى﴾ [الحجر]، فبقى بقائك، ورضى بقضائك، صل اللهم وسلم على البشير النذير، الشفيق الرفيق، ريحانه الحضرات، ومجلى تجلى الذات، وخير المخلوقات، المؤدب بالآيات، الصادق فى التلفظات، الدانى إلى الرحمات، والهادى إلى الطرقات، والموصوف بالأسماء والصفات، وخير من خلقت يارب البريات، اللهم صل على نورك التمام، ونبيك الرحام، من غير حلول ولا ازدحام، بل تجليا لكونه واسطة الأنام، ونور الظلام لإبراز المرام، وعبدك الديان، ورسولك البرهان، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، نبيك المختار وحبيبك الستار، ونورك المدرار، الذى تحير فى إدراكه ذوو الأبرار، جوال الأفكار، وجوهرى الأذكار، وأمين الأسرار، وعبدك الغفار، المترقى إلى أعلى الأنوار، سيدنا محمد، صل اللهم عليه يارب العالمين، يا أرحم الراحمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الذى أعطيته وكرمته، ,فضلته ونصرته، وأغنيته وقربته، وأدنيته وسقيته، ونورته وطهرته، بنورك الأقدس، وملأته بعلمك الأنفس، وبسطته بحبك الأطرس، وزينته بقولك

الأقدس، فجر الأفلاق، وعذب خلق الأخلاق، نورك المبين، وعبدك القديم، وحبلك المتين، وحصنك الحصين، وفتحك المبين، وجلالك الحليم وجمالك الكريم، صل اللهم عليه وسلم، وعلى آله مصابيح الوجود، وكمال السعود، المطهرين من العيوب، اللهم صل وسلم على اسمك الأعظم، ونبيك الأكرم، وعبدك الأفخم، المبدأ من نورك الأفخم، حيث لا آخر ولا متقدم، النور المتزكى الأزهى، والسيد المعطى، والكنز الأبقى، والورد الأشهى، والسيف المحلى، سيدنا محمد، صل اللهم عليه وسلم يارب العالمين، اللهم صل وسلم على نورك الأزلى، وظهورك الأبدى، سيدنا محمد، بحر العلوم ونور العيون، وزين الشئون، وعين العيون، وبحر النجوم، وفرش العلوم، سيدنا محمد، الحميد فى الحركات، عبدك ونبيك ورسولك، سيدنا محمد، صل اللهم عليه صلاة تحل بها العقد، وسلم عليه سلاما يكون به السداد، وترويحا تنفك به الكرب، وترحما تزيل به العطب، وتكوينا تقضى به الأرب، يارب يا الله، يا حى، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا كريم نسألك ذلك من فضائل لطفك، ومن غرائب فعلك، يا كريم، اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا، وبغيتنا ومقصدنا، الداعى إلى جنابك، الواعى لكلامك، اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد فى الأرواح، وعلى جسده فى الأجساد، وعلى قبره فى القبور، وعلى منظره فى المناظر، وعلى سمعه فى المسامع، وعلى حركاته فى الحركات، وعلى سكونه الأزهر، فى قيامه الأقمر، وعلى لسانه الأعذب، إنشاء سر الأزلى، والختم الأبدى، وصل اللهم عليه وعلى آله عدد ما علمت، وزنة ما عملت وملء ما علمت، اللهم يارب، يا كريم، يا رحمن يا رحيم، نسألك أن تصلى على سيدنا محمد كما أمرت الأولين، وصل وسلم عليه كما أمرت الآخرين، وفرضتها على العالمين، وقلت وقولك

العظيم: تنبيها لأمته على فضله العميم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب]. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك، ورسولك إلى خلقك، وكان قائما بالعبودية، تاركا للربوبية، بواب حضرتك القدسية، ومعدن سرائر الربانية، نبيك العظيم، ورسولك الكريم، سيدنا محمد بنى الرحمة، وشفيع الأمة، مفتاح القلوب الصادية، ومنبع الفضائل الباهرة، صاحب المكارم الخارقة، مصباح الدارين، ونبى الحرمين، وسر الكونين، راية الإسلام، وحبيب الرحمن، ورسول الملك الديان، المبعوث بالبرهان، المتوج بنور الإيمان، قوام الهمة، المنجى من الظلمة، فلك الحمد بما أعطيتنا، ولك الشكر بما خصصتنا، اللهم إنا نتوسل إليك بالحرف الجامع لمعانى كمالك، نسألك إياك بك أن ترينا وجه نبينا، وأن تمحو عنا وجود ذنوبنا بمشاهدة جلالك، وتغنينا عنا فى بحار أنوارك معصومين من الشواغل الدنيوية، راغبين إليك، غائبين فيك، يا الله، يا هو، يا الله يا هو، يا الله يا هو، أنت الله لا غير، اسقنا من شراب محبتك، واغمسنا فى بحار أحديتك، حتى نرسى فى بحبوح حضرتك، وتقطع عنا أوهام خليقتك بفضلك ورحمتك، ونورنا بنور طاعتك، واهدنا ولا تضلنا، وأبصرنا بعيوبنا عن عيوب غيرنا، بحرمة نبينا وسيدنا محمد، صل اللهم عليه وعلى آله مصابيح الوجود، وأهل الشهود، يا أرحم الراحمين، نسألك أن تلحقنا بهم، وتمنحنا بحبهم، يا الله، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام ﴿...رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ [البقرة]، ﴿...وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾ [البقرة]، وهب لنا معرفة نافعة، إنك على ما تشاء قدير، يارب العالمين، يا رحمن، يا رحيم، نسألك أن ترزقنا وجه نبينا فى منامنا، وأن تصلى وتسلم على خيرنا وكلنا.

انتهى ما ألفيتـه وكتبته رجاء البركة من أصل فيـه تصحيف حتى يفيض الله ما نصححه منه، لأنى كتبته من خط بعض الأكابر كما ألفيته، ولم أقصد بذلك سـوى البركـة بالمقـول فيـه والقـائل، والأعمـال بالنيـات، والله يبلغ الأمنيات.

وهذه صلوات لبعض العارفين أيضا:

الأولى: بسم الله الرحـــمن الرحـيم، اللهم صل صـــلاة ذاتك، على حضرة صـفاتك، الجامع لكل الكمـال، المتصف بصفة الجـلال والجمال، من تنزه فى المخلوقين عن المثال، ينبوع المعارف الربانية، وحيطة الأسرار الإلهية، غـاية منتهى السـائرين، ودليل كل حـائر من السـالكين، محـمد الأوصـاف والذات، وأحمـد من مضى ومن هو آت، وسلم عليـه سلامـا بدايته الأزل، وغايتـه الأبد، حتى لا يحصره عـدد، ولا ينهيه أمد، وارض عن قـوامه فى الشريعة والحقيقة، من الأصحاب والعلماء وأهل الطريقة، واجعلنا يارب منهم حقيقة، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الثانية: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا مـحمد، الأمين على الغـيب، ماحى الشك والريب، المؤمن من العذاب، والأمنة للأصحاب، والمؤمن بمـا أنزلت عليه من الكتاب، صلاة دائمة بدوام ملكك، باقية ببقاء وجهك، وسلم تسليما كثيرا، اللهم إنك تعلم أن لا وصلة بينى وبـينك إلا هو، ولا شـفيـع عندك سـواه، ولا دليل عليك غـيره، اللهم بجـاهه لديك، أمن خوفى، وأقـل عثـرتى، وتولنى بعنايتك، وحببنى إلـى خلقك، واكفنى بالنور والبهاء، وامح من قلبى ظـلمة السوى، واغننى بك غناء الأبد، وابق على وجودى عن شهودى، واجعلنى من أخص

أوليائك، وأوحد أصفيائك، واهدنى لأعظم الخلق وأحبه وأطهره وأرضاه، خلقك الذى حليت به حبيبك وخليلك، الذى اصطفيته لنفسك، واخترته لحضرة قدسك، وجعلته محمدا فى خلقك، اللهم اشهدنى هويتى فى عين هويته، وأرنى إياى بك، وقدسنى عنى بك، أنت مجيب الدعوات، وموجد الأرضين والسموات، رب هب لى من كمالك، ما يجبر نقصى، وكن أنت كافى وحسبى، يا ودود، يا جواد، أحطنى وأعنى ما ابتليتنى، وطهرنى من رجس طبيعة نفسى، ووفر حظى مما قسمته لأوليائك من إرث نبوى، وفيض ملكوتى غيبى، وسر إلهى قدسى، واجعلنى من أخص اتباع نبيك، سيدنا محمد، صل اللهم عليه وعلى آله وصحبه، صلاة وسلاما ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا يارب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الثالثة: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم أفضل الصلاة وأكملها، وأنبلها وأجملها، وأشرفها وأطيبها، وأزكاها وأنماها، وأتمها وأعمها، وأبركها، وأظمها، وأجلها، وأبهاها، وأنهاها وأعلاها، على أفضل الخلق، سيدنا محمد، عبدك ونبيك، ورسولك النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه، وذريته وأهل بيته، كما هو أهله ومستوجبه، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا نفاد لها دون علمك، عدد معلوماتك، وزنة معلوماتك، وملء معلوماتك، ومداد كلماتك، فى كل لحظة ولمحة، من الأزل إلى الأبد، وكلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، واجزه عنا ما هو أهله، وصل على جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة والمقربين، وعبادك الصالحين،

وعلينا معهم كذلك، والحمد لله على ذلك، ورضى الله عن سادتنا أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين.

الرابعة: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، روح الوجود، أوله وآخره، وظاهره وباطنه، أعلاه وأسفله، جوهره وبسيطه ومركبه، صلاتك التى صليت عليه فى حضرتك من حيث أنت، أنت أنت، ومن حيث هو، هو، هو، حيث لا عين ولا أين، ولا قبل ولا بعد، فى غيب غيب الهوية، وطمس آثار البشرية، اللهم روحنا بحقيقته وزين ظواهرنا بشريعته، صل اللهم عليه، وعلى آله وصحابته.

الخامسة: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، صلاة تنزل من الحضرة الذاتية، إلى الحضرة الصفاتية، إلى الحضرة الفعلية، إلى الحضرة الملكوتية، إلى الحضرة الملكية، فيندرج ذلك فى ذلك، فنكون كما كنا، وتكون كما كنت، كما كنت، كما كنت، يارب العالمين. انتهت.

وهذه صلاة لبعض العارفين، تلوح أنوار القبول على صفحاتنا، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ ... (٦٩)**﴾ إلى ﴿**...عَلِيمًا (٧٠)**﴾ [النساء]. الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه بجميع محامده كلها، أولها وآخرها، وظاهرها وباطنها، عدد نعماء الله كلها، ما علمنا منها وما لم نعلم، وعدد خلق الله كلهم ما علمنا وما لم نعلم وعدد ما حمد به الحامدون من الملائكة والمقربين والنبيئين والمرسلين، والصديقين والشهداء والصالحين، حمدا مضاعفا فى مثله وأمثاله، وأمثال أمثاله، يدوم بدوام ملك الله الواحد القهار، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه

وأهل بيته، أفضل صلاة وأزكى سلام، وأنمى بركة، فى الأولين والآخرين، وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين، اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأوفى سلامك، وأنمى بركاتك، وأزكى تحياتك ورأفتك ورحمتك، على سيدنا ومولانا محمد، عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه، أهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأنمى بركة، وأقر عينه فى أهل بيته، وأصحابه وأمته.

اللهم افتق رتقنا بكوثر يقين معين ماء محبته، وانشر علينا فى جمعنا وفرقنا فى كل وقت ونفس رايات هدايته، وهب لنا عقلا نسمع منك، ونفهم آياتك وكلام رسولك، من العقل الذى خصصت به أنبيائك ورسلك والصديقين من عبادك، واهدنا بنورك، هداية المخصوصين بمشيئتك، ووسع لنا فى النور توسعة كاملة، تخصنا بها برحمتك، فإن الهدى هداك، وإن الفضل بيدك، تؤتيه من تشاء، وأنت ذو الفضل العظيم، وأنت أرحم الراحمين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، عبدك النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأنمى بركة، بعدد كل حرف جرى به القلم، واجزه عنا يارب ما هو أهله، واجزه عنا أفضل ما جازيت رسولا عن أمته، ونبيا عن قومه، وارحمنا به رحمة شاملة، كاملة، كافة، وحقق لنا الولاء منه باتباعه، وخذ بنواصينا إلى منن هديه، واقتفاء آثاره، واجمعنا به حالا ومآلا، بفضلك وكرمك، يا ذا الفضل العظيم، يا جواد يا كريم. اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأتحفها وأنعمها، وأكرمها وأجلها، وأجملها، وأكملها، وأجزلها وأوفاها، وأرجحها وأنجحها، وأفلحها وأربحها، وأزكاها وأسناها، وأعلاها، وأغلاها، وأولاها وأتمها

وأرضاها، على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته، أفضل صلاة وأزكى سلام، وأنمى بركة، صلاة متصلة، أبدية سرمدية فى كل وقت وحين، عدد ما كان، وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن فى علمك، وعدد مواهبك له، ومراحمك عليه، ومباركك لديه، فى الآزال، والآباد، وارعنا برعايته، وارحمنا بحمايته، وتولنا بولايته، وأمدنا بالإقبال منك عليك بتوليك له، وقربنا وأقرب بنا، بتقريبك له وقربك منه، وارض عنا برضاك، وشفعه فينا بقبولك لشفاعته، وهب لنا منك الحظ الأوفر، فإنك قلت وقولك الحق «واسألوا الله من فضله» بحق من أنعمت عليهم، وقلت فى حقهم «ذلك الفضل من الله، وكفى بالله عليما»، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه، وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأنمى بركة، عدد ما جرى به قلمك، ونفذ به حكمك، وأحاط به علمك، وعدد نعمائك، وإفضالك وآلائك، وعدد كلماتك التامات، وعدد ذوات مثاقيل جميع الكائنات، فى الليل والنهار، والعشى والإبكار، على مر الدهور والأعصار.

اللهم احفظنا واسترنا وانصرنا به فى الحركات والسكنات، وفى جميع الأوقات، واستهلك كثرتنا فى مرادك، وفرقنا فى ودادك، اللهم بحرمة سيدنا محمد، السيد الكامل، الفاتح الخاتم، أجلسنا على بساط القرب منك، بالقناعة عن غيرك، والبقاء بنورك، وهيمنا فى برزخ الصنع، ناظرين بك إليك ومنك، لا إلى غيرك، إنك على كل شىء قدير. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله

وأصحابه، وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأنمى بركة، صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد، وتنمو وتزكو بنفائس شرائف لطائف جودك وكرمك، صلاة تفوق وتفضل صلوات المصلين عليه من أهل السموات وأهل الأرضين أجمعين، دارة عليه وعليهم بمراحمك، وعطفك ولطفك أضعافا مضاعفة، مستهلكة كثرات الأعداد، بالعطف واللطف، والفضل والإحسان، صلاة تبلغنا بها من كل أكمل الرضى، رضاك عنا يا أهل التقوى والمغفرة والرحمة والرضوان، وتطهرنا بها من كل دنس ورين، وسرا وعلانية، وتمحو بها الأين والبين، وتعصمنا بها من الزلل، فى القول والنية والعمل، وتنور بها أسماعنا وأبصارنا، وألسنتنا وعقولنا، وقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا، وتغنينا بها عنا فى غيب غب الهوية، الأحمدية والمحمدية، وتمنحنا بذلك إقرار القرار، فإنه الحبل المتين، والنور المبين، وقدم صدق المؤمنين، ورحمة العالمين، وقائد الغر المحجلين، والنجم الثاقب، ونعمتك التى لا تحصى، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، اللهم اغمسنا فى فضله بفضله، واجعلنا من أهله يا حنان، يا منان، يا رحمن، ﴿ ...**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (١٢٧) ﴾ [البقرة] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه، وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأنمى بركة، عدد خلقك، ورضى نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، ومنتهى رحمتك، ومبلغ رضاك، صلاة دائمة بدوامك، باقية ببقائك، لا منتهى لها دون علمك، ولا منتهى لعلمك، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين، عدد الشفع والوتر، وعدد السحاب والقطر، وعدد ذرات البر والبحر، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، سرمدا فى سرمد، يارب، يا الله، يا حى يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام يا بديع

السموات والأرضين، يا أرحم الراحمين، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك، النبى الأمى، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته، أفضل صلاة، وأزكى سلام، وأنمى بركة، صلاة تلحقنا بها بخلاصة خاصة أهل محبتك، وتملأنا بها بحبك وحب نبيك، سيدنا محمد ﷺ، واجعله أحب إلينا من أسماعنا وأبصارنا، وعقولنا وقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا، وعجل بنا بالحب منك إليك - رب - لترضى، وافننا فى المحبة كلا وبعضا، واجعلنا لما تنزل من سماء القربة من الماء الطاهر أرضا، وأحينا به حياة طيبة، مستعملين بذلك وأنت العامل على الحقيقة نفلا وفرضا، والحمد لله مظهر كل وجود، حمدا طيبا مباركا فيه، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، حمدا يستهلك ذوات موجودات، الوجد، حمدا يوافى نعمه، ويكافى مزيده، حمدا به منه إليه، مطلقا من جميع القيود، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، كنز اختصنا به من خزائن الغيب والجود، يستنزل بها كل خير، ويدفع بها كل شر، ويفتق بها كل رتق مسدود، فإنه هو الموجد لكل شىء، وفى كل شىء هو المأمول والمقصود، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فى كل أمر نزل أو هو نازل، وفى كل حال ومقام خاطر، ووارد ومصدر وورود، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. انتهى ما نقلته من بعض مجاميع، وفيه بعض تصحيف، ولم أجد غيره فى الحال، وسأبحث عما يصحح به فى مظانه - إن شاء الله - والله ولى التوفيق.

وهذه ثلاث صيغ فى الصلاة على سيدنا محمد ﷺ، لشيخ شيوخنا، قطب الوجود، وشمس دائرة الشهود، الإمام المعظم، والعارف المقدم، سيدى أبو عبد الله محمد بن سيدى أبى الحسن البكرى الصديقى - نفعنا الله به وبسلفه الكريم.

الصيغة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، اللهم صل وسلم على نورك الأسنى، وسرك الأبهى، وحبيبك الأعلى، وصفيك الأزكى، واسطة أهل الحب، وقبلة أهل القرب، روح المشاهد الملكوتية، ولوح الأسرار القيومية، ترجمان الأزل والأبد، لسان الغيب الذى لا يحيط به أحد، صورة الحقيقة الفردانية، وحقيقة الصورة المزينة بالأنوار الرحمانية، إنسان الله، المختص بالعبارة عنه، سر قابلية التهيؤ الإمكانى المتلقية منه، أحمد من حمد، وحمد عند ربه، محمد الباطن والظاهر، بتفعيل التكميل الذاتى فى مراتب قربه، غاية طرف الدورة النبوية المتصلة بالأول نظرا وإمدادا، بداية نقطة الانفعال الوجودى، إرشادا وإسعادا، أمين الله على سر الألوهية المطلسم، وحفيظه على غيب اللاهوتية المكتم، من لا تدرك العقول الكاملة منه، إلا مقدار ما تقوم عليها به حجته الباهرة، ولا تعرف النفوس العرشية من حقيقته إلا ما يتعرف لها به من لوامع أنواره الزاهرة، منتهى همم القدسيين، وقد بدأوا مما فى عالم الطبائع، مرمى أبصار الموحدين، وقد طمحت لمشاهد السر الجامع، من لا تجلى أشعة الله لقلب، إلا من مرآة سره، وهى النور المطلق، ولا تتلى مزاميره على لسان، إلا برنات ذكره، وهو الوتر الشفعى، المحقق المحكوم بالجهل على كل من ادعى معرفة الله، مجردة فى نفس الأمر عن نفسه المحمدى، الفرع الحدثانى، المتزعزع فى نمائه بما يمد به كل أصل أبدى، جنى شجرة القدم، خلاصة نستختى الوجود والعدم، عبد الله، ونعم العبد، الذى به كمال الكمال، وعابد الله بالله، بلا اتحاد ولا حلول، ولا اتصال ولا انفصال، الداعى إلى الله على صراط مستقيم، نبى الأنبياء، وممد الرسل،

عليه بالذات، وعليهم منه أفضل الصلاة، وأشرف التسليم، يا الله، يا رحمن، يا رحيم.

الصيغة الثانية:

اللهم صل وسلم على جمال التجليات الاختصاصية، وجلال التدليات الاصطفائية، الباطن بك غيابات العز الأكبر، الظاهر بنورك فى مشارق المجد الأفخر، عزيز الحضرة الصمدية وسلطان المملكة الأحدية، عبدك من حيث أنت، كما هو عبدك من حيث كافة أسمائك وصفاتك مستوى تجلى عظمتك وعلمك، ورحمتك وحكمك، فى جميع مخلوقاتك، من كحلت بنور قدسك مقلته فرأى ذاتك العليا جهارا، وسترت عن كل أحد من خلقك فى باطنه لك أسرارا، وفلقت بكلمة خصوصيته المحمدية، بحار الجمع، ومتعت منه بمعرفتك وجمالك، وخطابك القلب والبصر والسمع، وأخرت عن مقامه تأخيراً ذاتيا كل أحد، وجعلته بحكم أحديتك وتر العدد، لواء عزتك الخافق، لسان حكمتك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وشيعته ووارثيه وحزبه، يا الله، يا رحمن، يا رحيم.

الصيغة الثالثة:

اللهم صل وسلم على دائرة الإحاطة العظمى، ومركز محيط الفلك الأسمى، عبدك المختص من علومك، بما لم تهىء له أحدا من عبادك، سلطان ممالك العزة بك، فى كافة بلادك، بحر أسرارك، الذى تلاطمت برياح التعين الصمدانى أمواجه، قائد جيش النبوة، الذى تسارعت بك إليك أفواجه، خليفتك على كافة خليقتك، أمينك على جميع بريتك، من غاية المجد المجيد، فى الثناء عليه الاعتراف بالعجز عن اكتناه صفاته ونهاية البليغ

المبالغ أن لا يصل إلى مبالغ الحمد على مكارم وهباته، سيدنا وسيد كل من لك عليه سيادة، محمدك الذى استوجب من الحمد بك لك إصداره وإيراده، وعلى آله الكرام، وصحبه العظام، ووراثه الفخام، الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى - سبعا، ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)** ﴾ [الصافات]. انتهى.

أقول: هذا الإمام البكرى، له الباع المديد فى التعبير عما حصل له به الذوق، وله فى الجناب النبوى أمداح تدل على ما له من حب فيه وشوق، ولولا الإطالة لذكرت شيئا من كلامه فى هذا الباب، وإن كان نقطة من بحره العباب، ولنذكر قصيدته الشهيرة، وهى مما يتوسل به لقضاء الحوائج - بعد الصلاة على النبى ﷺ - فى خلوة، وهى هذه، وأرويها عن الأديب الرحالة، الحافظ ابن بطوطة زمانه، سيدى محمد بن رأس العين - حفظه الله - عن ناظمها سيدى محمد البكرى - نفعنى الله به.

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل

فى ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشمل

إلا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها واصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل

فلذ به فى كل ما يرتجى ... فهو شفيع دائما يقبل

وعذبه من كل ما تخشى ... فإنه المأمن والمعقل

وحط أحمال الرجا عنده ... فإنه المرجع والموئل

وناده إن أزمة أنشبت ... أظفارها واستحكم المعضل

يـا أكـــــــرم الخلـق عـلى ربـه وخـيـر من فـيـهم به يسـأل
قـد مـسنى الـكرب وكم مـرة فـرجت كـربا بعـضـه يذهل
ولن ترى أعـجـز منى فـمـا لشـدة أقـوى ولا أحـمل
فـبـالذى خـصك بـين الورى برتـبـة عنـهـا الـعلى يـنزل
عـجـل بإذهاب الذى اشـتكى وإن توقـفت فـمن أسـأل؟
فحـيلتى ضاعت وصبـرى انقضى ولست أدرى مـا الـذى أفـعل؟
وأنـت باب الله أى امـرئ أتاه مـن غـيـرك لا يـدخل
صلى علـيك الله مـا صـافـحت زهر الروابـى نسـمـة شـمـأل
مـسلـمـا مـا فـاح عطـر الحـمى فـطـاب مـنـه الـنـد والمـنـدل
والآل والأصـحـاب مـا غـردت سـاجـعـة أملودها مـخـضل

المدد يا رسول الله، المدد يا رسول الله، المدد يا رسول الله!

وحدثنى الرحـالة ابن رأس العين المذكـور، أنه أخذها عن ناظمـها من لفظه، قال:

وسمعته يقول فى آخـرها: وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قال: وسمعته مرة يقرأها حتى بلغ قوله:

يا أكرم الخلق علـى ربه - البيت كرره ثلاثا، ثم قـرأ بعده: قـد مسنى الفقـر - البيت أَعْنِى أَنّه بـدل لفظ الكرب بالفقـر، ثم أعاد بالضـر، ثم أعاد الثالثة، فذكره بلفظ الكرب - كمـا هو فى أصل القصيدة. وقال لى المذكور:

obeikandi.com

سمعت الشيخ - رضى الله عنه - يكرر قوله: صلى عليك الله - البيت، ثلاث مرات، قال: وكرر قوله: عجل بإذهاب الذى اشتكى - البيت، مع البيت الذى قبله، وهو قوله: فبالذى خصك ثلاثا - أعنى أنه كرر البيتين ثلاث مرات، ومسح بيديه على موضع الألم. وكان سبب إنشائها، أنه كان - رضى الله عنه - رمدا، فقالها فبرئ، قال وهى مجربة لذهاب الضر، فمن كان به ضر فليقرأها ويمسح الضرر بعد قوله: فبالذى خصك بين الورى - البيتين، بعد أن يكررها ثلاثا، وحينئذ يمسح على موضع الشكوى - كما فعل الشيخ - رضى الله عنه؟ انتهى ما أخبرنى به الأديب ابن رأس العين - حفظه الله.

وتذكرت هنا ما كتب به الشيخ البكرى المذكور لقاضى مكة المشرفة، السيد محمد بن السيد حسن أفندى - رحم الله الجميع -، ونصه:

حمدا لمن جعل من طوالع التجلى النبوى، فى مطالع التحلى العلوى، سعودا، ورقى درارى ذرارى، صاحب الرسالة، فى معارج عز البسالة، صعودا، فأنجز للدهر، بعلماء عترة من نزل عليه سورة العصر، وعودا، وألمع من خلال حبك سماء الجمال المحمدى، كما أسمع من خلال سحب فلك الجلال الأحمدى، بروقا ورعودا، وشهادة للحق سبانه بأنه الإله الحق الذى لم يزل إلاها وترا صمدا معبودا، ولمحمد عبده ورسوله، بأنه الذى أعجز عن الإحاطة بكنه مقامه عقولا ونقولا ورسوما وحدودا، وصلاة وسلاما عليه وعلى آله وصحبه الذى جعل الله حوض معارفهم، مترعا موروداً آمين.

وبعد، فقد تمتع ناظرى، وتروح خاطرى، برقيم أرسلته يا علامة العلماء إلى، ومثال كأنما ألقى من سدرة المنتهى على، ولا بدع فقد علم الله

ما كـان بينى وبين المرحوك المغفـور مولانا والدكم من تراضع كئـوس الفضل عند ذلك البيت الأكرم، والحجر الأسـحم، والحجر والحطيم وزمزم، والحمد لله الذى أطلعك من فلك المقام سراجا وقمـرا منيرا، وجعلك لأبناء الفضائل حيث حلوا عاضدا ونصيـرا، ثم لا أقدر أن أصف طيب ما أرسلته إليك الآن من تحـية عطر طيـبهـا الملوان، ولا أكـتفى أن أقـول تنافح رضوان، وخـزان الجنان، والحور الولدان، والرفـاف والعبقـرى الحسان، وإنما أقـول: أرجو أن تكون نفـسا من أنفـاس الرحمن، على مـا يليق بعظمة ذلك الشـأن، ثم لله الحمد أن أبرز فى أواخر هذا القرن العاشر، خبيئة عنايته لعباده، وأهل سحابة رحمته لعباده، وأظهر من وراء أستار الغيب كافيا كافلا، وعزا للإسلام وأهله كافلا، وذلك مـولانا المقام العالى، إبراهيم باشـا - بلغه الله من أرفع المراتب فى الدارين مـا شاء وطاول بعـمـره الأبد، وحرسـه بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، ولقد وصل إلى هذا الفقير، إحسانه الوافر، ولا ريبة عندى بعد إذ الإرادة الإلهية السـبب الباطن - أنكم السبب الظاهر، مع ماجلبتـه الشريفة الأفضلية من المثابرة على تعظيم طائفة العلماء، ومعاملتهم بالعناية الزكية بعين الله على زمن جعل فيـه هذا الإنسان لعيون الأعيـان إنسانا، ودهربوجود هذا العزيز سواه إنسانا، ثم ما برزت به إشارتكم الواجبة الامتثال، بادر الفقير إلى تحـصيل شىء فى الحـال، وأرسله صحـبـة حاملهـا الرجل الصالح، الحـاج محمد، وهو خمسة أسفار ستتشرف بنظركم الذى به تستنير الأبصار عالما رب السمـاء والأرض، والطول والعرض، أن الفقـير لا عهـد له بشىء من ذلك، أولا لوعورة هذه المسالك، وثانيا - وهو الأول الحقيقى - الاعتماد على الملك المالك، والله تعالى يذلل لكم نواصى المطالب، ويزيد علو قدركم على مفارق

الكواكب، مسئولا إحسانكم فى دوام الجبر بالمراسلة، والتأنس بالمواصلة، وأنتم فى أمان الله تعالى وحفظه، وعنايته ولحظه. انتهى.

ومن بديع نظمه - رحمه الله - يخاطب سلطان المغرب، مولانا أمير المؤمنين، أبو محمد عبد الله الغالب بالله، الشريف الحسنى، صب الله عليه شآبيب رحمته:

ولما نأيتم ولم أستطع أسير لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل الرسو ل وخاطبتكم بلسان القلم

وأخبرنى بعض الأصحاب الكتاب، أنه كتب بهذين البيتين أيضا، لمولانا أمير المؤمنين، أبى العباس المنصور، أخو الغالب بالله المذكور، جدد الله عليه حلل عفوه، وكان - رضى الله عنه - كتب إليه بالإجازة العامة، وكان المنصور أمير المؤمنين، كثيرا ما يفيض عليه - على بعد الدار - سجال نواله، يتحفه بما يقتضيه شرف أحواله، ولما مات رحمه الله، أجرى تلك العادة مع ابنه الشيخ الأستاذ زين العابدين - رضى الله عنهم أجمعين، وأوردهم من سلسال كرمه وعفوه، رضوانه المنهل المعين. وللسيد البكرى المذكور يخاطب بعض الناس:

إذا زرتم وتفضلتم وشرفتمونا بنقل القدم
فذاك عجيب ولا منقص دخول الموالى بيوت الخدم

وله رحمه الله من مطلع قصيدته (رائقة):

انظر بعينك مشرقا أو مغربا تجد الوجود عن الحقيقة معربا

وله - (رضى الله عنه) ديوان نظم يزرى بالدرر، اشتمل من كلامه على جملة كلها غرر، تتنسم نفحات الفتح الربانى التوفيقى من سطوره وطروسه، وتتبسم عن ثغور المنح الإيقانى الصديقى أزهار غروسه، أن السعادة أصلها التخصيص، ﴿ ... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ [الحديد]، ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ... (٢٦٩) ﴾ [البقرة]، فلا حاجة إلى زيادة التنصيص.

رجع (إلى ما كنا فيه)، وقال الشيخ الإمام العلامة، سيدى أبو عبد الله محمد الرصاع - رحمه الله - ما رأيت صلاة أحلى وأجمع، وأزكى وأمتع، من صلاة الشيخ الوالى العارف بالله، المحب فى رسول الله، سيدى على بن وفا - رضى الله عنه، ونفع به.

اللهم صل على النور الأول، والسر الأنزه الأكمل، عين الرحمة الربانية، وبهجة الاختراعات الأكوانية، صاحب الملة الإسلامية، والحقائق العيانية، نور كل شىء وهداه، وسر كل شىء وسناه، من فتحت به خزائن الحكمة والرحموت، ومنحت بظهوره أنوار الملك والملكوت، قطب دائرة الكمال، وياقوتة تاج محاسن الجلال، إنسان عين المظاهر الإلهية، ولطيفة تروحنات الحضرة القدسية، مدد الإمداد، وجود الجود وواحد الأحد وسر الوجود، واسطة عقد السلوك، وشرف الأملاك والملوك، بدر المعارف فى سموات الرقائق وشمس العوارف فى عروش الحقائق، بابك الأعظم، وصراطك الأقوم، وبرقك اللامع، ونورك الساطع، ومعناك الذى هو بأفق كل قلب سليم طالع، وسرك النزه السارى فى جزئيات العالم وكلياته، علوياته وسفلياته، من جوهر وعرض ووسائط، ومركبات وبسائط، مغرب

أسرار الذات، ومشرق أنوار الصفات ومظهر التجليات، بأنوار السبحات من سنا السرادقات، بأرواح التروحنات، المصلى فى محراب جمع الجمع بأحمد، والقاري بفرقان الفرق بمحمد، والقائم فى الملك بشرعه وجلاله، والراحم فى الملكوت برحمته وجماله، عين غيبك الكاملة، وخلفيتك على الإطلاق فى مملكتك الشاملة، صل اللهم عليه صلاة تعرفنى بها إياه فى مراتبه وعوالمه، ومواطنه ومعالمه، حتى أشهده بعين العيان، لا بالدليل والبرهان، وأعرفه بالتحقيق، فى كل موطن وطريق، وأرى سريان سره فى الأكوان، ومعناه المشرق فى مجاليه الحسان، واجعل اللهم نور مددى من شمس حقيقته، ومن نور شريعته، حتى أستضىء فى ليل جهلى بأنوار حقائق معارفه، وأنس فى غربة مسراى بأنس لطائفه، واحملنى إلى حضرته القدسية الأحمدية على كاهل شريعته المحمدية، وعمر أطوار نقص بأطوار كماله وألبسنى من خلع جلاله وجماله، وأفردنى فى حبه كما أفردته فى حسنه وإحسانه، وخصصنى بخصائص قربه وامتنانه، حتى أكون وارثا له به، وناظرا منه إليه، وجامعا له به عليه، اللهم وصل صلاتك الأزلية الأحدية، فى مظاهرك الأبدية الواحدية، ما توحد تجليك، وتكثر الفرد فى العدد، وأشرقت أنوار الصفات بتوالى المدد، واتسعت ربوبية الحكيم، وتقدست سبحات العليم، بتسبيحات التمجيد والتكريم، بلسان القدم، فى أزل الأزل، وتقدس الواحد فى صفتى الجلال والجمال، وسلم عليه سلام الفردانية، ما تعددت مراتبه العددية فى وحدة مراقى درجاته العلوية، فى مقامات العبودية، بتوالى شهود الرحمة الذاتية، واندراج الأنوار الصفاتية، فى المجالات الأطوارية، والمطارات الملكية، وسجدت له الأرواح الروحانية، فى محراب الآدمية، جامع حيطته المحيطة الأحمدية، بالأنوار السبوحية، الكاتبة بالأقلام المعنوية، فى الألواح الشهودية، بالأسرار الخفية، عن الإدراكات البشرية، وصل عليه صلاة وسلاما

يتقدس فيهما عن عوارض الإمكان لوجوب اتصافه بالكمالات، وعموم عصمته فى جميع الخطرات، ما تنزه شامخ عزه عن النقص السلوب، وثبت راشخ مجده بالذات والوجوب، وارض عن أصحابه أئمة الهدى ونجوم الاقتدا، ما تعاقبت أدوار الأنوار، وأشرقت أسرار الأسرار، وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وفى بعض النسخ زيادة قوله: يا مولاى يا واحد، يا مولاى يا دائم، يا على يا حكيم.

انتهت هذه الصلاة العظيمة الشأن، نقلتها من خط شيخ شيوخنا العلامة الأوحد، سيدى أبى الفضل سيدى خروف التونسى - رضى الله عنه، وقابلتها من خط غيره، حتى صححتها على ما كتبتها عليه هنا، نسأل الله أن ينفعنى بها، ويتداركنى بعفوه، بجاه سيدنا محمد - ﷺ.

رجع إلى ما كنا فيه، ومن نثره - رحمه الله: خطبه التى سارت بفصاحتها الركبان، ولهج ببلاغتها الشيب والشبان، وكان منها ما نسجه على بعض سور القرآن، بطريق الاقتباس، الذى لا يلحق سامعه شك فى تبريزه ولا التباس، وقد سمعت مولانا العم، الإمام مفتى تلمسان، وخطيب جامعها الأعظم، عمنا سيدى سعيد بن أحمد المقرى - رضوان الله عليه - يخطب ببعضها، ومما علق بحفظى منها بعد الصدر:

أيها الإنسان، إن الله تعالى قد وهبك من عنايته حظا اقتضى شرفك موفورا، وأبرزك من العدم إلى الوجود، ومن الغيب إلى الشهود، وعرفك ذلك بقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان]، استودع عالمك المختص من بدائع الحكمة الإلهية، ما يحار فيه

عقل متجليه، ونضد جواهره النـفسية، فى سلك الازدواج فكل عضو إلى ما يليه، وصرف فيه من وجوه الإتقـان، ما دل عليه بتعريف ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** (٢)﴾. فيا أيهـا المبتلى إلى كم الاضطجاع على فـرش البطالة، يكفـيك من هذا النـوم، غرقت يـا مغـرور، فى بحـر الغرور، ولم تحسن العوم، لله در قـوم أشفقوا من هول المطلع ﴿**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** (١١)﴾. تأملوا - رضى الله عنهم - بإبصار البصائر الصافية واعتبروا، وعلموا أنهم مجـزيون بأعمالهم فانتهوا وائتمروا، وجردوا مـلابس الكسل عن الطاعـة فجـدوا وشمـروا، عـاملوا الله بالصدق فـرضى عنهم، ﴿**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا** (١٢)﴾، سلك بهم سائق التـوفيق أهدى المسالك، حملهم على جادة الجد علمهم بما هنالك، فلو رأيتهم فى الجنة وقد حفت بهم الولدان والملائك، لرأيت قومـا مبرورين ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا** (١٣)﴾ فلله طيب أنفاس هؤلاء القوم حين يتجلى لهم فى حـضرة قدسـه - رب الأرباب، ﴿**وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا ...** (٤٣)﴾ [الأعراف]. بأعمالكم فطوبى لكم ﴿**...وَحُسْنُ مَئَابٍ** (٢٩)﴾ [الرعد]. ﴿**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ** (١٥)﴾ [الإنسان]. أكثروا من الصالحات، وأسيت، فنعم مـا فيه سـعوا وبئس ما فـيه سعـيت، أقبلوا على الناصـحين بقلوبهم فوعـوا وأنت أعرضت عنهم ونأيت، فما أعظم حـسرتك إذا عاينت منازلهم قد أزلفت ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا** (٢٠)﴾ [الإنسان]، فما لك يا حيـران تتلى عليك آى القرآن ولا تزدجـر بعظاتها، ولا تفـرق، ركبت فى بحر التسـويق، ولم تبال بالتخويف، خشى علـيك أن تغرق، أما علمت أنه لابد لك من موقف القـمر فيـه يخسف، والبـصر فيـه يبرق، فهنالك يمـتاز الفرقـان، فنهار أولئك بالشـقاوة أظلم، وليل هؤلاء بالسـعادة أشـرق، فريق

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم] وآخرون ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان]. ويقرأ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ﴾ إلى ﴿ ...مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء]، وسمعته - رضى الله عنه - يخطب بخطبة أخرى للقاضى عياض - رحمه الله، اقتبس فيها آيات من سورة الكهف (وغيرها) وأوردها ابن الخطيب فى (الإحاطة)، فى تاريخ غرناطة وقال: إن القاضى عياضا لا يخطب إلا بإنشائه، وهى[1]:

الحمد لله الذى سبق كل موجود قدما، وسع كل شىء رحمة وعلما ونعما، وهدى أولياءه، طريقا نهجا أمما، و﴿ ...أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ [الكهف]، أحمده على مواهبه وهو أحق من حمد، وأسأله أن يجعلنا أجمع ممن حظى برضاه وسعد، وأستعينه على طاعته وهو أعز من أستعين وأستنجد وأستهديه توفيقا فإن ﴿ ...مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف]. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له شهادة فاتحة لأقفال قلوبنا، راجحة بأثقال[2] ذنوبنا منزهة له عن التشبيه والتمثيل بنا، ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ [الجن]. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أنزل عليه الفرقان، وبعثه بالهدى والإيمان، وأخزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان، وأقعدهم ﴿ ...مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن]. أيها السامع، قد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى وسكراته، ووعظك كتاب الله بزواجره وعظاته، فتأمل حدوده وتدبر محكم آياته، ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ

(١) الإحاطة ج٤ ص ٢٢٦.

(٢) هذا الصواب من الإحاطة، والذى فى المطبوع: «بأتقال» بالتاء.

﴿لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ [الكهف]. أين الذين عقوا على الله وتعظموا واستطالوا على عباده وتحكموا، وظنوا أن لن يقدر عليهم حتى اصطلموا، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩)﴾ [الكهف]، غرهم الأمل وكواذب الظنون، وذهلوا عن طوارق الغير وريب المنون، ﴿...وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩)﴾ [القصص]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)﴾ [الجن]. فهذبوا - رحمكم الله - سرائركم بتقوى الله، وأخلصوا، واشكروا نعمته ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ... (٣٤)﴾ [إبراهيم] واحذروا نقمته واتقوه ولا تعصوا، واعتبروا بوعيده: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ (١٣٥)﴾ [طه]. وأنهضوا لطاعته الهمم الفائزة، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة، وانتظروا قوله ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧)﴾ [الكهف]. ذلك يوم تذهل فيه الألباب، وترجف القلوب رجفا، وتبدل الأرض وتنسف الجبال نسفا، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا ولا صرفا، ﴿...وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)﴾ [طه]. ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨)﴾ [الكهف]، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة وارحمنا بالهداية والعصمة، وأوزعنا شكر ما أوليت من النعمة، ﴿...رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)﴾ [الكهف]. انتهى.

وقد وقع للقاضى - رحمه الله - أثناء كتاب الشفاء مواضع من نثره، هى من الفصاحة بمكان، وقد رأيت لتلميذه الشيخ الإمام أبى زيد، عبد الرحمن بن القصير الغرناطى، تنبيها عليها فى هامش متن النسخة التى بخطه، فمن ذلك قوله فى الشفاء عند ذكر وجه إعجاز القرآن، ومن وجوه

إعجازه المعدودة، كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]. - وقال: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ... ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]. وسائر معجزات الأنبياء - عليهم السلام - انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز الباهرة آياته، الظاهرة معجزاته، على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله، إلى وقتنا هذا، حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان، وحملة علم اللسان، وأئمة البلاغة وفرسان الكلام، وجهابذة البراعة، والملحد فيهم كثير، والمعادى للشرع عتيد، فما منهم أتى بشىء يؤثر فى معارضيه، ولا ألف كلمتين فى مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قدح المتكلف من ذهنه إلا بزند شحيح، بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه فى العجز بيديه، والنكوص على عقبيه - انتهى.

وكتب المذكور على هذا الكلام مشيرا إليه فى الطرة ما نصه: من كلمات القاضى أبى الفضل - رحمه الله - الفصيحة الجزلة. انتهى. ومن ذلك قوله - قبل هذا بأوراق: اعلم - وفقنا الله وإياك - أن كتاب الله العزيز، منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه، أولها - حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم، ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان، ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب، ما يقيد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة، وفيهم غريزة

وقوة، يأتون منه على البـديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبـب، ويخبون بديهـا فى المقـامـات وشـديد الخطب، ويرتجـزون به بين الطعن والضـرب، ويمدحون ويقدحـون، ويتوسلون ويتوصلون،ويرفعون ويضـعون، فيأتون من ذلك بالسـحـر الحلال، ويطوقـون من أوصـافهم أجـمل من سـمط اللآل، فيخدعون الألباب، ويطوقون الصـعاب، ويذهبون الأحن، ويهيجون الدمن، ويجـرئون الجبـان، ويبسطون يد الجـعـد البنان، ويصيـرون الناقص كامـلا، ويتـركون النبـيه خـاملا، منهـم البدوى ذو اللفظ الجـزل، والقول الفـصل، والكلام الفخم، والطبع الجهورى والمنزع القـوى، ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة، والألفاظ النـاصعة، والكلمات الجامعة، والطبـع السهل، والتصرف فى القول، القلـيل الكلفة، الكثيـر الرونق، الرقيق الحـاشية، وكـلا البابين، فلهما فى البـلاغة، الحجة البالغـة، والقوة الدامغة، والقـدح الفالج، والمهيع الناهج، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، قد حووا فنونها، واسـتنبطوا عيونهـا، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعلوا صـرحا لبلوغ أسـبابهـا، فقـالوا فى الخطيـر والمهين، وتفـننوا فى الغث والسمـين، وتقاولوا فى القل والكثـر، وتساجلوا فى النظم والنثر، فمـا راعهم إلا رسول كريم، ﴿ ...لَكِتَـابٌ عَـزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَـاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فـصلت]، أحكمت آياته، وفصـلت كلماته، وبهـرت بلاغتـه العـقول، وأظهـرت فصـاحتـه على كل مقـول، وتظافر إيجـازه وإعجـازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبـارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جـوامعه وبدائعه، واعـتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطـبق على كثرة فوائده مخـتار لفظه، وهم أفسح مـا كانوا فى هذا الباب مجـالا، وأشهر فى الخطابة رجالا، وأكثر فى السجع والشـعر سجالا، وأوسع فى الغريب واللغة

مقالا، بلغتهم التى بها يتحاورون، ومنازعهم التى عنها يتناضلون، صارخا بهم فى كل حين، وقارعا لهم بضعا وعشرين عاما على رءوس الخلائق أجمعين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾ [يونس]. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ إلى قوله ﴿ولَن تَفْعَلُوا ... (٢٤)﴾ [البقرة]، ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ... (٨٨)﴾ [الإسراء] الآية: و﴿...قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ... (١٣)﴾ [هود]. وذلك أن المفترى أسهل، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب، ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما يريد، وللأول على الثانى فضل، وبينهما شأو بعيد، فلم يزل يقرعهم - ﷺ - أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، مخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب، والاعتراء والافتراء، وقولهم ﴿... إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤)﴾ [المدثر]، و﴿... سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢)﴾ [القمر]، ﴿... إِفْكٌ افْتَرَاهُ ... (٤)﴾ [الفرقان]، و﴿... أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥)﴾ [الأنعام]، والمباهتة والرضى بالدنية، كقولهم: ﴿...قُلُوبُنَا غُلْفٌ ... (١٥٥)﴾ [النساء] و﴿...فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ... (٥)﴾ [فصلت]، و﴿... لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)﴾ [فصلت]. والادعاء مع العجز بقولهم: ﴿... لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ... (٣١)﴾ [الأنفال]. وقد قال الله تعالى لهم: ﴿ولَن تَفْعَلُوا ... (٢٤)﴾ [البقرة]. فما فعلوا ولا قدروا، ومن تعاطى ذلك من سخائفهم كمسيلمة كشف عوراه لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح الكلام، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من

نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين، من بين مهتد وبين مفتون، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ... ﴿٩٠﴾﴾ [النحل] - الآية، - قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، ما يقول هذا بشر؟ انتهى.

وكتب بطرته ابن القصير المذكور ما نصه: فصل فيه فصاحته من القاضى أبى الفضل - رحمه الله - بديعة، فى غاية من الإتقان والسياق، حاز بها قصب السباق، وأغلق فيها رهن السباق. انتهى.

وكتب المذكور على قول القاضى، والطبع الجهورى، ما نصه: كذا فى النسخة التى انتسخت منها، وذلك غلط من الناسخ وإنما هو الجوهرى والله الموفق للصواب - انتهى.

وإذا وصلنا إلى هذا الموضع من نثر القاضى - رحمه الله، فلنقتصر على هذا المقدار، فإن نثره أكثر من هذا كله، والله المسئول فى العون.

وأما نظمه - رحمه الله - ففى طرف من البلاغة عال، ولنذكر بعضه مستمدين عون الكبير المتعال، فيقول من مشهور نظمه، ما فى الشفا - بعد كلام تقدمه من نثره - نصه: وجدير لمواطن عمر بالوحى والتنزيل، وتردد بها جبريل ومكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله - ﷺ ما انتشر، مدراس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيئين، حيث انفجرت النبوة

وأين فاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ﷺ ترابها، - أن تعظم عرصاتها، وتتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدراتها:

يا دار خير المرسلين ومن به هدى الأنام وخص بالآيات
عندى لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد إن ملأت محاجرى من تلكم الجدران والعرصات
لأعفرن مصون شيبى بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والأعادى زرتها أبدا ولو سحبا على الواجنات
لكن ساهدى من جميل تحية لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتق نفحه تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات ونوامى التسليم والبركات

انتهى.

وكتب عليه ابن القصير المذكور، ما نصه: برد الله ضريحه، وقدس فى الجنان روحه، لقد أحكم فى هذا الفصل المقال، ووجد مجالا للمدح فقال: انتهى.

وكتب على اللفظة التى قوله مدارس آيات ظاء، إشارة إلى نظر فى اللفظة، كما كتب مثل ذلك على قوله: وتخصه بزواكى الصلوات، ونوامى التسليم والبركات. انتهى.

ولا أدرى ما موجب النظر فى قوله، وتخصه بزواكى إلى آخره، هل

تحريك الياء من بزواكى ونوامى، إذ لا يتزن البيت إلا به، ومثله يستعمل للضرورة، أم ما عند العروضيين فى مثل قوله الصلوات حسبما هو مقرر فى محله، فالله تعالى أعلم أى ذلك أراد. وقد وقفت لبعض المتأخرين من أهل فاس – حاطها الله – على تأليف بديع، يتعلق بالقطعة المذكورة، هأنا أورده بجملته لوجهين: الأول أن ذلك الإشكال المشار إليه فيه، لم يزل يعرض للأفضال، وقد سمعت غير واحد ممن لقيته يشير لذلك. والثانى ما اشتمل عليه من الفوائد – وإن كان بعضها زائدا على ما يتعلق بالقطعة – حسبما تراه بالعيان، والله المستعان.

ونص ذلك:

الحمد لله ذى الجود والكرم، الممتن علينا بإحسانه فى إيجادنا من العدم، وعلمنا بفضله ما لم نكن نعلم، وهدانا السبيل إما شاكرا معظما لما عظم الله – سبحانه – فمقرب ومنعم، وإما غافلا تهاونا بأوامره ونواهيه فمنتظر للبلايا النقم، ﴿ ... كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ... (٨٤) ﴾ [الإسراء]، على ما سبق به القضاء وحتم، ثم الصلاة والسلام أولا وآخرا على سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه الذين أكمل الله – تعالى – بهم الدين وأتم، والتابعين لهديهم من أولى العلم بدور الزمان وأسد العرين وشموس الهدى وأنوار الظلم، صلاة وسلاما يمحوان عنا – إن شاء الله تعالى – ما تأخر من ذنوبنا وما تقدم. وبعد: فقد وقفت على مكتوب لبعض فقهاء الوقت ومدرسيه، كتبه بخطه، وعين فيه اسمه واسم أبيه وجده وما يشهر به، ناولنيه لننظر فيه، بعد أن قرأه على من أوله إلى آخره، وذلك فى ربيع النبوى عام ثمانية وتسعمائة، وقد فعل ذلك مع جملة من أصحابه غيرى، وربما استحسن ذلك بعضهم فنسخه،

ثم أذن لى أن أحمله لننظر فيه، فلما نظرته وتأملته، وجدت مقتضاه وحاصله، التعقب على أولئك السادات من أئمتنا وعلمائنا الماضين، منهم الفقيه القاضى أبو الفضل عياض، والعالم العلم القاضى أبو بكر بن العربى، والفقيه الإمام المحقق أبو عبد الله محمد بن مرزوق - رضى الله تعالى عنهم أجمعين ورحمهم، فأطال الكلام معهم، وتحكم عليهم بعقله، وتشبع فى ذلك كله بما لا يملكه، وتصرف تصرف من ظهر له الحق، فلا يرجع عنه ويتركه وهو فى ذلك كله، يزعم أنه ظهر عليهم بالدلائل والحجج البينات، ومن قرأ كلامه وتأمله، علم أن بضاعته فى العلم مزجاة، ثم إن الله تعالى بفضله وإحسانه - أظهر حقوق هؤلاء العلماء، على يد أقل خلق الله وأضعف الضعفاء، فأفاض - سبحانه وتعالى - من بركاتهم، وأشرق من سنى أنوارهم لديه، فشعشع حقهم وأضاء واستنار، وتبين خطأ المعترض على أولئك الأولياء والعلماء الكبار، وتألف من كلام هذا المعترض وكلام خديم أولياء الله السادات - ما ملأ مجموعه بطن هذه الورقات، وسميته بـ (الإعلام للقريب والنائى، فى بيان خطأ عمر الجزنائى)، والله تعالى أسأل التوفيق فى القول والعمل، والنجاح فيما نرجوه من نيل المقصود وبلوغ الأمل، وجعلت كلام المعترض مقدما حتى ينتهى، ثم نتبعه من كلامى بما يفتح الله سبحانه - وهو خير الفاتحين.

نسخة من كلام المعترض:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، قال عمر ابن عبد الرحمن بن يوسف، الشهير بالجزنائى هذا الكلام، وهو محتو على ثلاث مسائل، نص الأولى منها مسألة لما ذكر الإمام القاضى عياض - رضى

الله تعالى عنه – زيارة الرسول ﷺ فى الشفا، وأنشد لنفسه أبياتا أجاد فيها، غير أن بيتا فيها ضعيف المعنى، ينافى ما قصده من تفخيم الزيارة وتعظيمها، وهو قوله:

لولا العوادى والأعادى زرتكم أبدا ولو سحبا على الوجنات

فجعل العوادى والأعادى، تصد عن زيارة الحبيب، والحبيب إذا تمكنت محبته من القلب، لا يصد عن زيارته شيء، ولو أتى ذلك على إتلاف نفسه، وسئل اللخمى فى مجلسه: هل المشى إلى الحج أفضل، أم القعود عنه أفضل – مع اتفاقهم على سقوط الحج؟، فأراد الشيخ أن يجيب – وكان فى مجلسه رجل واعظ، فقال: اسمع يا فقيه، فأنشد الرجل الواعظ:

إن كان سفك دمى أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمى

فاستحسنه الناس، قلت: ألا قال عياض كما قال ابن رشيد:

هو القصد إذ غنت بنجد حداتنا وإلا فما نجد وبدر ورياه

وتالله لو أن الأسنة أشرعت وقامت حروب دونه ما تركناه

قلت: فالصواب فى ذلك أن يستبدل صدر ذلك البيت، ويتعذر

لكن عظيم الذنب أثقل جثتى عنكم فلم أقدر على الحركات

عن عدم الزيارة بما يليق، قلت: فلو قال:

حق على أزوركم وأزوركم أبدا ولو سحبا على الوجنات

أما الفؤاد فمامر بودادكم متلهب من شدة الزفرات

قال أحمد بن محمد المقرى – وفقه الله: وقع أبو العباس الوانشريسى،

حافظ الحفاظ بخطه قبالة قوله، قلت: فالصواب إلى آخر ما نصه: ولقد أحسن من قال: وهل يعارض موج البحر بالوشل - انتهى.

رجع إلى كلام الجزنائى قال: فهذا هو الذى يليق بمقامه - ﷺ، إذ فيه وجوب الزيارة له - ﷺ، إلا أن الجثة أثقلها المعاصى كما قال الشاعر:

لا غرو أن ثقيل الذنب أقعدنى عنكم زمانا فلم أنهض ولم أقم

والقلب عامر بمحبته ﷺ، وهذه غفلة من القاضى - رحمه الله تعالى، وإلا فما ذكرناه هو الذى يليق بمقامه - ﷺ - انتهى.

والمسألة الثانية نصها: كما وقعت منه غفلة أيضا حيث ذكر الصلاة على النبى - ﷺ - وعظم شأنها، ونقل عن الإمام الشافعى وابن المواز أن من لم يصل على النبى ﷺ فى صلاته، فصلاته باطلة، ثم أخذ يضعف هذا القول، ثم قال: وقد شنع الناس هذه المسألة على الشافعى - ولا مستند له، وهذا لا يليق بما قصده من تعظيم شأن الصلاة عليه - ﷺ، والذى يليق به أن يعظم شأن الصلاة عليه ﷺ ويقول: حتى قال الشافعى وابن المواز أن من لم يصل على النبى ﷺ فى صلاته، فصلاته باطلة، ثم يقول: وهذا هو الصواب، لأن الصلاة على النبى - ﷺ إن لم تكن واجبة، فلا تزيد الصلاة إلا شرفا وكمالا، فهذا هو الذى يليق بالمقامين، ولو كان حيا لم يسعه إلا الموافقة على ما قلناه، والسلام على من يقف عليه. انتهى كلام المنتقد على القاضى - رحمه الله - هاتين المسألتين.

قال أحمد بن محمد المقرى - أخذ الله بيده - كتب الشيخ سيدى أحمد الوانشريسى هنا حاشيتين، نص الأولى منهما: قوله - يعنى الجزنائى: كما وقعت منه غفلة الخ، قلت يا هذا المسكين، ما أشر بلائك، وأقل حياءك،

قررت قـول القاضى أبى الفضل وجـازيته بما استـحق من الثناء العطر عندك، آجرك الله فى مصيـبتك، وأعقبك خيرا منها، الله يحفظ عـقولنا من الفساد، أين مقامك يا هذا من مـقام شيخ المحدثين بدمشق أبى عَـمْرو ابن الصلاح - رحمه الله - لما ورد عليه كتاب "المشارق»، أنشد بديهة بإنصافه ودينه وعلمه:

مـشـــارق أنوار تبـدت بسـبـــتـة وذا عجب كـون المشارق بالـغرب

ولكن لا يعرف الفـضل لذوى الفضل إلا ذو الفضل. وقـوله: لو كان حيا لم يسـعه، الخ، انظروا لهذا الكلام البشـيع كيف صير به فـخر الإسلام القاضى أبا الفضل محجورا عليـه فى الكلام، وقولوا: الحمد لله الذى عافانا مما ابتلاه به. انتهى.

ونص الثانيـة قوله ونقل إلى آخره، قولت القـاضى عن ابن المواز ما لم يقله، فـابن المواز وإن وافق الشافـعى فى الوجـوب، فهـو بمنجاة من القـول ببطلان صـلاة من لم يصل على رسول الله - ﷺ - إذ الوجـوب عنده غـير شرطى كما فى كـثير من نظرائها فى أبواب العبـادات والمعاملات، ولا غرابة فى هذا، قال فى المعـونة: الصلاة على رسول الله - ﷺ، ليـست بشرط فى صحة الصلاة خلافا للشافعى. انتهى.

وقال فى الإكمـال: وقال الشافعى بإيجـاب الصلاة على النبى ﷺ فى كل صـلاة، وإن لم يفـعل ذلك، بطلت صـلاته، وهو قـول لم يقل قـبله، وخالف الشافعى فى المسألة من أصحابه، ووافقه إسحاق عليها.

وحكى بعض البغـداديين عن المذهب فى المسألة ثلاثة أقـوال: الوجوب والسنة والفضيلة، وقد حمل بعض شـيوخنا البغداديين مذهب ابن المواز على

الوجوب فى الصلاة كمذهب الشافعى. وكلامه محتمل للوجوب على الجملة كما قالت الجماعة. انتهى.

قلت: فقوله كمذهب الشافعى، التشبيه فى الوجوب، لا فيه وفى إبطال تركها فى الصلاة.

قال فى نوادر الإجماع، وأجمعوا أن المصلى إذا ترك الصلاة على النبى ﷺ ناسيا فى التشهد الأخير، أنه فى النسيان معذور، وفى العمد مذموم، والصلاة مجزئة فيهما معا إلا الشافعى، فإنه قال: إذا ترك الصلاة على رسول الله - ﷺ - قبل التشهد الأخير منها لم تجزه. انتهى.

قلت: فتحصل من هذا أن الآتى بالصلاة على رسول الله - ﷺ - فى الصلاة ممتثل للأمر بالإجماع، إلا عند من يرى أن الوجوب متعلق عند ذكره - ﷺ - فإنه لا يكفيه عنده الإتيان بالمأمور به فى الصلاة - والله أعلم. وهذا كله فى طلب الإتيان بها فى الصلاة، وأما فى جانب تركها فى الصلاة، فلا اختلاف عندنا وعند الجماهير فى صحتها - مع الإخلال بالكمال، فإذا تقرر هذا، فما معنى قول المعترض على عياض: لأن الصلاة على النبى - ﷺ - إن لم تكن واجبة، فلا تزيد الصلاة إلا شرفا؟ قلت: كون الإتيان لا يزيدها إلا شرفا هو حسن، والإجماع منعقد عليه من كافة الأئمة، وليس الكلام والنزاع فيه، إنما الكلام فى طرف الترك - حسبما تقرر، فإذا علمت هذا فكلام المعترض لا يتنزل على هذا الطرف، وإنما يتنزل فى مقابلة من يقول بإنكار الصلاة على رسول الله - ﷺ - فى الصلاة، ولا قائل بذلك إجماعا، فبقى قوله ضائعا من الفائدة لا موقع له أصلا، فتأمله بإنصاف وإمعان نظر وتحقيق. انتهى كلام الإمام الونشريسى - رحمه الله.

ولنرجع إلى كلام صاحب التأليف، فإنه قال: بعد كلام الجزنائى، السابق ما نصه: انتهى كلام المنتقد على القاضى - رحمه الله - هاتين المسألتين، قلت فى الجواب عنها - أى عن المسألة الأولى: ما تعقبه هذا المعترض واستدركه من الإصلاح والتكميل والاعتذار عن الشيخ أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ورضى عنه - فى البيت الذى نقله عنه فى الشفا، وهو الخامس من الأبيات الثمانية التى مطلعها:

يا دار خير المرسلين ومن به هدى الأنام وخص بالآيات

إلى أن قال:

لولا الأعادى والعوادى زرتها أبدا ولو سحبنا على الوجنات

فقال هذا المنتقد: بل الصواب أن يستبدل صدر هذا البيت، ويعتذر عنه بما يليق به بعد أن نسب الشيخ - رضى الله عنه - إلى القصور والغفلة، فأصلح البيت المذكور، وهو الخامس، وزاد عليه، وكان حق هذا الفقيه أن لا يتكلف هذه المشاق من إصلاح واعتذار، ونسبة الشيخ لما نسبه إليه، حتى يثبت فى الرواية، ويصحح المتن، ويبنى على يقين من كلامه، فإن البيت المذكور نقله من الشفا - مصحفا، وأصله فى النسخ الصحيحة: لولا الأعادى والعوادى زرتها، فنقله هو (زرتكم)، فجعل الخطاب فيه للنبى - ﷺ - وليس هو كما زعم، وإنما الخطاب فيه للمدينة، والضمير ضمير مؤنث، والدليل عليه قوله: (يا دار)، فجعل المنادى المدينة - وهى الدار، وقال فى البيت الثانى عنده: (لأجلك لوعة وصبابة)، فالرواية أيضا - بكسر الكاف لخطاب المدينة، وفى البيت الرابع: (لأغفرن مصون شيبى بينها)، فهو ضمير مؤنث، عائد على المدينة، وفى البيت الخامس الذى وقع فيه النقد على غير

أصل زرتها لا زرتكم، فزرتكم من قول المنتقد لا من قول الشفا، أسسه وركب عليه ما أحب من كلامه.

فهذه دلائل واضحة، تدل أن الخطاب إنما هو لمؤنث، وضمير عائد على المؤنث، ولما كانت هذه المدينة من أعظم مشاهد الإسلام، وأخت مكة وشقيقتها فى الفضل والإكرام والاحترام، ومهبط وحى رب العالمين، وتردد جبريل عليه السلام بين جدراتها بالتنزيل ومناسك الدين، حق لهذا الإمام العالم، الولى الصالح أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ونفع به - أن يشتاق إلى رؤيتها وزيارتها، ويعفر مصون شيبه فى تربها وبين جدراتها وعرصاتها، تبركا بأرض ضمت جسد المصطفى - ﷺ - وشرف وكرم، ومجد، وعظم، فتبين من ذلك أن الغفلة التى وصف بها المنتقد إمامنا الأعظم، وعالمنا العلم الأعلم، عادت عليه، وزاد بالخطأ، فتعين عليه الاعتذار والاستغفار، مما نسبه إلى الشيخ - رحمه الله ونفع به.

انتهى الكلام على هذا البيت فيما يرجع إلى تصحيفه وتحريفه، ويبقى الكلام على معنى البيت نفسه - وهو البيت الذى ضعف معناه المعترض، فنقول - والله المستعان: إن عياضا - رضى الله عنه سبتى الدار، يشاهد مصائب البحر وزراياه فى كل يوم، مساء وصباحا، لا تحصى ولا تخفى عليه، وراكب البحر أبدا مغرور وليس بمحمود - وإن سلم، ومع كونه إن حدثته نفسه - رضى الله تعالى عنه - لزيارة قبره ﷺ - ملاحظا للشريعة واقفا معها، وهذا كله يخطر ببال الناظم فى حال نظمه فى أقرب زمان، ولحظة عين، فرأى - رضى الله تعالى عنه - أن المانع من الزيارة لا يدوم على حال، فارتضى محبوبه - ﷺ، واتبع هديه القويم، وصراطه المستقيم،

وغلب السلامة فى الزمان المستقبل، ورجا أن ما تعذر فى الوقت يتحول، وحسن ظنه بمولاه أن يبلغه أمله، فيوفى بعهده، ويعفر مصون شيبه كما رجاه وأمله. وقوله (زرتها أبدا)، فكأنه يقول: أزورها أبدا على كل حال كان فى الطريق معارض أو لم يكن، من صحة أو مرض، أو غنى أو فقر على قدمى إن قدرت، أو مجررا على وجهى، وهذا هو الغاية فى كمال الحب، والنهاية فى الفقه والورع والتواضع - رضى الله تعالى عنه.

وأما البيت الذى أنشده، الواعظ فى مجلس اللخمى، فقد أوقعه الواعظ فى مجلسه، وأسكت القوم حسن نظمه، وبديع ألفاظه، ويبقى الكلام فى قائله، فلا شك أن قائله حبه مدخول مشوب معلول، لكونه طالبا فيه حظ نفسه، وبلوغ أملها، ونيل شهرتها، وتشفى غليله بنظرة من محبوبه لحظة زمان، فقائل هذا البيت أصابه قنط واضطراب فى نفسه، لكثرة ما هو يتجرعه ويقاسيه من شأن محبوبه، فأراد أن يجهز على نفسه ويريحها من تعب ما هى فيه، فرأى من رشاد أمره، وحسن عاقبته، أن يبيع نفسه بنظرة من محبوبه، نافيا عن بيعه وشرائه معرة العين بقوله: (ما غلت) فهو فى بيعه هذا، مبتهج مسترخص لما اشتراه، ولا تعرف صفقات المعاوضات وسائر المعاملات أبدا إلا هكذا، فالمحب الصادق فى حبه، لا يطلب المعاوضة من محبوبه، ولا يتشوق إلى بلوغ غرض منه أصلا، لأن من حجة محبوب هذا البيت أن يقول لمحبه: لو كان حبك صادقا ولا دخل فيه، ما رتبت سفك دمك على نظرة فى وجوهنا ولفوضتم لنا أن نحكم فيكم بما شئنا من سفك أو غيره، على قاعدة كل محبوب أن الحكم له، فلما حجرتم علينا فيما رتبتم، وعوضتم لأنفسكم واحتطم لها، صار تلذذكم وتنعمكم بنظرة فى وجوهنا لحظة من زمان،

وكأنها مشترطة فى أصل عقد معاوضتكم، والمحب إذا احتاط هذا الاحتياط خرج بذلك عن قاعدة المحبين وسننهم، وصار حبه - كما قلنا - مدخولا مشوبا معلولا.

قال ابن عطاء الله فى حكمه - رضى الله تعالى عنه: ليس المحب، الذى يرجو من محبوبه عوضا أو يطلب منع غرضا. وقال أبو عبد الله القرشى: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، حتى لا يبقى لك منه شىء، يعنى لا يبقى لك تشوف لنيل حظ أو بلوغ غرض من محبوبك.

قال سيدى محمد بن عباد - رحمه الله تعالى ونفع به: وأما من رجا العوض، وطلب الغرض من محبوبه، فليس هو من مقام المحبة فى شىء. وقال أبو محمد رويم: من أحب العوض من محبوبه، بغض العوض إليه محبوبه. فهذا كله مما يضعف البيت الذى جلبه المعترض دليل على ضعف معنى بيت عياض، ومما يزيده ضعفا ووهنا، خطابه - قائلا لمحبوبه بمثل ذلك الخطاب، فكأنه يقول له مخاطبا: أما ترى ما أنا فيه، وما أتجرعه من أجلك، وما أقاسيه؟ فإن كان منتهى حالى معك قتلى، وسفك دمى، فمتعنى بنظرة منك وأستريح، وليس من سنة المحبين أن يخاطبوا محبوبهم بمثل هذا الخطاب الخشن، وإنما حظ المحب التواضع والتقرب من محبوبه، والتملق له والتذلل، والتمسك وخفض الجناح، ولين الجانب، والتحبب له بكل ما أمكن، وإطلاق المحب على قائل هذا البيت، محمول على المجاز، والحب الصادق الحقيقى: حب ابن رشيد الذى جلبه المعترض - وهو قوله:

وتالله لو أن الأسنة أشرعت وقامت حروب دونه ما تركناه

وقول عياض - رضى الله تعالى عنه:

لولا الأعادى والعوادى زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات

وقول إبراهيم بن أدهم - رضى الله تعالى عنه:

هجرت الخلق طرا فى رضاك وأيمت الوليد لكى أراك

فلو قطعتنى فى الحب إربا لما حن الفؤاد إلى سواك

ونقل أبو القاسم القشيرى عن بعضهم أنه قيل له: ما كان سبب حالتك هذه؟ فقال: كلمة سمعتها من خلق لخلق، عملت فى هذا البلاء الذى رأيت، قيل: وما هى؟ قال: سمعت محبا خلا بمحبوبه - وهو يقول له: أنا أحبك بقلبى كله، وأنت تعرض عنى بوجهك كله، فقال له المحبوب: إن كنت تحبنى، فأى شىء على؟ فقال: يا سيدى أملكك جميع ما أملك، ثم أنفق روحى حتى أهلك، فقلت: هذا خلق لخلق، وعبد لعبد، فكيف مخلوق لخالق، وعبد لمعبود؟ فكان هذا سببه. فحب هؤلاء هو الحب الصادق المتمحض، الذى لا دخل فيه ولا شوب ولا علة، إذ لاَحَظَّ لنفوسهم فى هذا الحب إلا ما يؤلمها من السحب على الوجنات، وما يتحملونه من المخاوف والترويعات، ومعانقة الأسنة والحروب وأنواع المهلكات، وهجران الخلائق طرا مع البنين والبنات، والخروج عن الأموال والأنفس وجميع المستحسنات، كل ذلك فى رضى محبوبهم، فحب هؤلاء وزان واحد، وشربهم من عين واحدة، وكلهم يعبر عن ليلى بما يجد، فدليل بواطنهم عنوان عباراتهم.

وقول المعترض: فجعل عياض الأعادى والعوادى تصد عن زيارة الحبيب وتمنعه، هو كما قال، لأنه - رضى الله تعالى عنه - ملاحظ للشريعة، معتن

بها، واقف معها، فكانت الأعادى والعوادى الموجودتان فى زمانه برا وبحرا، مانعتين له من الزيارة، فكما هو - الآن - القاصد إلى الحج، أو إلى زيارة قبره - ﷺ (من قطرنا) - ممنوع شرعا، فلا يبعد أن يكون كذلك فى زمانه - رضى الله تعالى عنه - لوجود المانع المذكور فى الزمانين، والعلة فى ذلك: الإلقاء باليد إلى التهلكة، ولا يحمل أن يكون المانع له من الزيارة حظ نفسه من أشغال الدنيا وكلفها وتكاليفها، والحرص على محابها، وقول المعترض: إن من تمكن الحب من قلبه، لا يصده عن زيارة محبوبه صاد - ولو أتى ذلك على إتلاف نفسه، وأن هذا هو الحب الكامل عند المعترض، ولذلك أتى ببيت الواعظ دليلا على ضعف معنى بيت عياض، وهذا من المعترض إجمال فى محل التفصيل.

وصواب هذا الكلام أن يقال المحبون لهم مذاهب، فمنهم من هو على هذه الصفة التى قال المعترض: لا يقدر أن يصبر عن محبوبه طرفة عين، ولا يملك نفسه ولا يمكنه ذلك حتى يهلك ويتلف نفسه، فأصحاب هذا المذهب أوقاتهم غير محفوظة عليهم، لا يقيدون بقيود الهدى، ولا يؤثرون السلامة على الردى فهم مقهورون على فعلهم، معذورون فى حبهم، وهذا هو مذهب المحبين من المجانين، وعليه اقتصر المعترض، والمذهب الآخر، أوقاتهم كلها محفوظة عليهم أبدا آناء الليل والنهار، يدورون مع عمود الشرع حيث دار، فإذا تقرر هذا وسلمه كل ذكى عاقل، سليم الصدر، سيد منصف فاضل، علم منه أن إمامنا العالم العلم، أبا الفضل عياضا - رحمه الله تعالى - سلك فى حبه مذهب العقلاء من المحبين، واقتدى بإمامه الولى الصالح، إمام الزاهدين الذى نوه بذكره، وأثنى عليه فى المحافل العظيمة سيد

المرسلين، وحلاه بحلى يعجز الوصف عن مثلها، وتكل الأقلام عن إحصاء فضلها، دان نفسه وعمل بعد الموت، فوصف بالكيس المعروف فى السماء، المجهول فى الأرض، المسمى بأويس منعه من رؤية رسول الله - ﷺ - وزيارته، فرض وجب عليه الوفاء به، وهو خدمة أمه، وقلة ذات يده.

فمسألة عياض - رضى الله عنه - مقيسة على قضية أويس، بجامع أن كل واحد من السيدين، لو ارتحل إلى زيارته - ﷺ - لكان عاصيا، وفعل ما يكرهه الله ورسوله، فهذا يلقى بيده إلى التهلكة، وهذا يترك أمه مضيعة، فخرج من هذا، أن المعترض لم يشم من بيت الواعظ رائحة حظ نفس قائله، وطلب راحتها، وبلوغ أملها ونيل شهوتها، ومن ثم ضعف بيت الواعظ عن رتبة الاستدلال، وانتقى الضعف عن معنى بيت عياض، وبقى على ما هو عليه من الكمال، وتبين خطأ المعترض، وقلقه لشهوة الرد، حتى قال ما قال وما به انفرد.

وقول المعترض: حق على أن أزوركم وأزوركم - فى إصلاحه وتكميله على عياض، هو قول عياض: «أزورها أبدا» فأفرغه فى قالب الإصلاح والتكميل، وكرر قول عياض، ونسبه إلى نفسه، انتهى الكلام على البيت ومعناه.

الكلام على المسألة الثانية - بعد الحمد لله - اختصر هذا المعترض بعض ألفاظ من الشفا يحتاج إليها الناظر فى هذا المعنى، قال فى الشفاء - بعد أن ذكر حكم الصلاة على رسول الله ﷺ، وما يترتب عليها من الثواب، واختلاف العلماء فيها، وما اختار كل واحد منهم، فذكر مذهب مالك، والشافعى، وسفيان والقاضى أبى بكر، والقاضى أبى محمد بن نصر،

والطبرى، والطحاوى، والخطابى، ثم قال: وشذ الشافعى فى ذلك، فقال: من لم يصل على النبى - ﷺ - بعد التشهد وقبل السلام، فسدت صلاته، وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه.

قال القاضى - رحمه الله - ولا سلف للشافعى فى ذلك ولا قدوة ولا سنة يتبعها، وقد خالف الإجماع من السلف الصالح قبله. قال: وقد بالغ فى الإنكار عليه جماعة من العلماء، منهم: الطبرى، والقشيرى، وغير واحد من العلماء، وقد شنع الناس عليه فى هذه المسألة جدا(١).

انتهى كلامه فى الشفاء. قلت: لم يقتصر صاحبنا على الخطأ فى المسألة الأولى حتى شفعها بأختها، فقوله: ثم يقول وهو الصواب إلى قوله: لو كان حيا لم يسعه إلا مخالفة فهمكم، وقولكم وتحكمكم عليه، ويجب ذلك عليه وجوبا مؤكدا، لأن موافقته لكم، على ما قلتم وفهمتم بعد تصحيح روايته وتثبيته فيما نقله عن أئمة الهدى، وحفظه عن الشيوخ، وسطره فيما كتبه ورواه، وسلم له ذلك فحول أهل وقته وعلمائه، ومن بعدهم - إلى وقتنا هذا، عصرا بعد عصر، وقرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل - فكل من تصفح منهم كلامه: من علم كتبه، أو شعر أنشده، أو بحث أورده، أو غريب نسبه، أو مشكل فتحه، أو كتاب ألفه. شهد له بغزارة علمه وسلامة فهمه، ووفور عقله، مع ما ثبت له - رضى الله تعالى عنه - من كونه لا يخاف فى الله - تعالى - لومة لائم فى قضائه وحكمه، حتى جئتم أنتم - بارك الله تعالى فيكم، فغصتم على ذلك المعنى الدقيق، ونسجتم ذلك النسيج الرقيق، أو شفعتم تلك المسألة بأختها التى هى عندكم فى حيز القطع والتحقيق،

(١) الشفاء للقاضى عياض ٢/ ٦٠.

فأرشدتم الشيخ - أرشدكم الله تعالى - إلى أن يقول فيما قلتم وتحكمتم وفهمتم، هذا هو الصواب، وقلتم لو كان حيا لم يسعه إلا موافقتنا بلا اضطراب، حاشاه ثم حاشاه أن يوافقكم على مثل هذا، فيكون متلاعبا بالدين عمدا واعتمادا، ويحرف الكلم عن مواضعه قولا واعتقادا، وإياك التهاون بالعلماء وأهل الفضل، فقد رأيتم ما رأيتم من قبل، وهنا انتهى الكلام على المسألتين جميعا.

فإن قال أبو حفص - وهو المنتقد - تعظيم عياض - رحمه الله تعالى - وتفخيمه فى الأبيات المذكورة كل ذلك التفخيم، وتعفير شبيه فى تربها وأرضها - ليس ذلك لذاتها، بل لأجل من حل بها حيا وميتا - ﷺ، فاشتياق عياض - رحمه الله تعالى، وزيارته لها، اشتياق له وزيادة له - ﷺ - فلا فرق إذن بين زرتكم أو زرتها، فلم عظمتم علينا هذا الأمر جدا؟ قلنا لكم: قولكم هذا صحيح فى نفسه، وحملنا قولكم أولا على التصحيف وهو المتبادر إلى الذهن، وكلامكم هذا يدل على تبديل الرواية على جهة العمد، فالتصحيف أبدا أخف من التحريف، وصاحبه أعذر، لأن التحريف محض خيانة وكذب، وهو لا يليق بكم ولا يحمل قولكم عليه. انتهى.

المسألة الثالثة نصها - بعد الحمد لله - وقع السؤال فيما مضى وتقدم: هل ليلة القدر أفضل من ليلة مولده - ﷺ؟ فتولى الجواب فى المسألة الإمام الأسنى، فريد دهره، ووحيد عصره، العالم الكبير، العادم النظير، الذى له على أهل زمانه أعظم الحقوق، وهو الشهير بابن مرزوق، فذكر فضائل ليلة القدر، وأطنب فيها غاية الإطناب، ثم ذكر فضائل ليلة مولده - ﷺ، وأتى فيها بأعجب العجاب، ثم إنه صرح بأن ليلة مولده - ﷺ - أفضل، واستدل

على ذلك بما استدل، فقيل له ليلة القدر فضائلها الباقية، تتكرر فى كل سنة آتية، وفضائل مولده - ﷺ - لم توجد إلا فى تلك الليلة، فقال: بل تتكرر فى كل ليلة تقابلها، وأخذ يتطلب الأدلة، فاستدل أنها توجد فيما يوافق تلك الليلة تلك الفضائل بحديث صحيح، وزعم أنه لم يبق بعد هذا الدليل قولة لقائل، وذلك أنه سئل عن صيام يوم الاثنين - عليه الصلاة والسلام - فقال: فيه ولدت، وفيه أنزل على. فجعل ذلك دليلا على أن تلك الفضائل تتكرر وتستدام.

قلت: أما الليلة التى ولد فيها سيد الأولين والآخرين، فلا يَعْدِلُها فى الفضل شىء، فإنه - ﷺ - رحمة للعالمين، وليلة تقدر بعض رحماته، ولا يخالف فى ذلك أحد من المسلمين، وإنما الكلام فيما يقابلها - وهى ليلة اثنى عشر أيهما أفضل؟ فالذى عول عليه الإمام، أن ذلك موجود فى كل ليلة تقابلها، وأبدأ فى ذلك وأعاد، وطول فى ذلك حتى خرج عن المعتاد، ورأى أن فضيلة الليلة التى ولد فيها سيد الثقلين هى موجودة فيما يقابلها، واستدل بحديث يوم الاثنين، وأكثر فى ذلك حتى قال: ما معناه ومن عنده شىء غير هذا، فهذا وقت الميدان، فهذا مقتضى قوله، وطول بذلك اللسان؟

وعندى أن ما ادعاه غيره متعين، وما استدل به غير بين، وذلك أن ليلة مولده - ﷺ - ظهرت فيه أمور خارقة للعادة بالعيان، كانقضاض الشهب، وتنكيس الأصنام، وارتجاج الإيوان، وهتف الجن، وإخماد المجوس، وغير ذلك مما ظهر للعين وبرز للمحسوس، وهناك فضائل باطنة، استأثر بها الملك القدوس، فكما أن هذه الخارقات لم تظهر إلا فى تلك الليلة السعيدة، كذلك الفضائل الباطنة، ومن ادعى وجودها فى غيرها فدعواه بعيدة، فإن ذلك رجم

بالغيب، ولا يسلم مدعيا بغير دليل من الغيب، وما استدل به من حديث يوم الاثنين فليس له فى ذلك دليل، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل، لأنه يلزم منه أن يكون يوم من الاثنين تكون فيه تلك الفضائل، وهذا لا يقوله هذا الإمام ولا يقوله قائل، وأيضا فإنه لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، فإذا اضمحل هذا الدليل ولم يبق له أين - انتهى.

قال أحمد بن محمد المقرى - وفقه الله - كتب الإمام الوانشريسى بخطه على قوله: فإذا اضمحل هذا الدليل ما نصه: قلت: اضمحلال الدليل لا يكون إلا بمصادمة دليل له أقوى، وأنه لم تأت بمطلق دليل أصلا فضلا عن دليل أقوى، وقصارى ما رددتموه به مجرد الدعوى، وهو لا يفيدكم فائدة، وما ألزمتموه يلتزمه عنه، ودليله ماأبداه من الحديث الصحيح، وهو بين لمن معه مسكة إنصاف، ولا سيما - والفضائل عملية، ولا تؤخذ بقياس، ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾، فإذا تقرر هذا، فاسمع يا عمر، إذا بدت رايات النصوص فى ميادين الكفاح، طاحت أعلام المقاييس فى مهاب الرياح، وعجبا من هذا الرجل كيف يحكم باضمحلال دليل الخصم فى أفضلية يوم الاثنين، ويدعى أفضلية يوم الجمعة عليه بالكتاب والسنة والإجماع، وأى دليل له من الكتاب يسلم له، وأى إجماع يسلم له ويقبل منه، حتى يزيف به دليل الخصم، وقد طلب بتحقيق هذا الإجماع نقلا عن الأئمة، فاشتغل بالروغان والحيدة، وقد حكى بعض الأكابر إجماع الأمة على أفضلية ليلة القدر على يوم الجمعة، وعلى يوم عرفة، فما حيلتك أيضا فى رد هذا الإجماع وإنكاره. انتهى كلام الوانشريسى.

ولنرجع إلى كلام الجزنائى فنقول: بعد قوله "ولم يبق له أين" ما

نصه: ومما قال هذا الإمام أيضا - رضى الله تعالى عنه - أن الإمام أبا بكر بن العربى - رحمه الله - قال: من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن أعطاها ليلة القدر، فجعل لها عاما بألف شهر، ثم قال الإمام ابن مرزوق: هكذا وقع لهذا الإمام وصوابه: جعل لها ليلة بألف شهر - وإن كانت كما قال، إلا أن الواقع ما ذكرناه، وهذا أبلغ فى التفضيل وسعة الإحسان. انتهى.

قال أحمد المقرى - وفقه الله: كتب الشيخ الوانشريسى - رضى الله عنه عند قوله - ومما قال هذا الإمام إلى آخره - ما نصه: قَوّلْتَ الرجل - يا أخى ما لم يقل: اذكروا أمواتكم بخير.

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تصف أحدا منهم بما فيكا

انتهى. ولنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول: قال الجزنائى بعد قوله: وسعة الإحسان ما نصه: فعرض لى فى كلام هذين الإمامين - رضى الله تعالى عنهما - أشكال، وذلك أن ابن العربى جعل العام بمثابة ألف شهر، وابن مرزوق جعل الليلة بمثابة ألف شهر، وكل واحد منهما لا يساعده القرآن، فإن الله - تعالى - يقول: ﴿...خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر] ولم يقل بمنزلة ألف شهر، فقد تكون خيرا من ألف شهر بأضعاف كثيرة - كما قال تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى]. فأنت ترى فضيلة الآخرة على الدنيا، لا سيما عند من يرى أن الألف لم يقصد به العدد، وإنما أراد الدهر كله - كما قال تعالى: ﴿... وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ... ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة] - إنما أراد ها هنا: الأبد، ولم يرد العدد، والسلام على من يقف عليه، ولم أرد بما قلته الانتقاد عليهم - رضى الله تعالى عنهم، وإنما أردت ظهور الحق من حيث هو (حق)، قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية،

العبـد المذنب عمر من عـبد الرحمن بن يوسف الجـزنائى - لطف الله تعالى بالجميع - مسلما على من يقف عليه، والحمد لله رب العالمين.

أقول - والله سبـحانه وتعالى المستـعان - قد سلم هذا المعتـرض صحة حديث يوم الاثنين، غير أنـه استبعد الاستدلال به بل أبطله، واسـتبعاده يدل أنه مزكوم عن فهم معنى ذلك الحديث، واحـتجاج العالم المحقق ابن مرزوق به على ما صرح به من استـدامه التفضيل فيما يقـابل الليلة السعيدة، هو فى مـحله على ما نقله عنـه، وهو ظاهر جلى، وبيان ذلك أن جـوابه - ﷺ - للسائل بعد أن نبىء ونزل عليـه الوحى، وبين جوابه وولادته أزيد من أربعين سنة، فـجوابه - ﷺ - أدل دلـيل، لكل فطن نبـيل، على إثبـات الفضـيلة والشرف لليـلة السعيـدة وصبيـحتـها، واتصال ذلك وتكرارهمـا فى كل ليلة تقابلهما من وقت جوابه للسائل، ثم بعد إلى قيام الساعة. وقول المعترض فى المسألة الثالثة - قبل هذا: ومن ادعى وجودها فى غيرها، فدعواه بعيدة وذلك رجم بالغـيب، ولا يسلم قائلهـا بغير دلـيل من العيب، هو كـلام صدر من المعترض بغـير تأمل، لم يدر فيه مـا يقول، يستوجب عليه خـلع لسانه، بعد تعزيزه وهد أركانه، لأنه أثبت فـيه سوء الفهم والبعـد عن الصواب ووجوب العـيب، والرمى بشـبه الكذب - وهو الرجـم بالغيب، لمن قـال باسـتدامـة التفضيل وتكراره فى كل زمان يقابـل بالزمان الذى ولد فيه سيد الخلق، وأتى بمن التى هى للعموم، فـعمت كل شخص، ومن جملتـها نبينا - ﷺ، لأنه أخبرنا - وخبره صدق، وشهادته حق، بتكرار الفـضيلة واستدامتها، إلى قيام الساعة فى جوابه لـلسائل عن صيام يوم الاثنين فقال: فـيه ولدت، وفيه أنزل على. فراعى - ﷺ - فـضيلة اليـوم الذى ولد فيه، ولاحظ شـرفه من يوم

ولادته إلى حين الجواب، فكسف يصف هذا المعترض من ادعى تكرار الفضل والشرف بسوء الفهم والعيب، والرجم بالغيب، ونبينا - ﷺ، مدعيه. وقوله: يلزم منه إلى قوله: وهذا لا يقوله قائل. وقوله: أيضا لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، فاضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين، وجعله الخوارق الظاهرة، والفضائل الباطنة، مقصورة على تلك الليلة، فجوابه عن هذه الفصول الثلاثة أن يقال له: أنت بمثابة رجل يطلب ولده وهو على عنقه، لأن الحديث المسلم صحته عندك، يخبرك أن إلزامك تلك الفضائل فى كل اثنين إلزام صحيح عامل، ونفيك الخلاف عن يوم الجمعة قول باطل، وجعل تلك الخوارق مع الفضائل قاصرة على تلك الليلة شيء لا يفهمه عاقل، لكون الحديث المذكور نصا صريحا فى ولادته - ﷺ - يوم الاثنين نهارا، والذى تقرر عند علمائنا - رضى الله تعالى عنهم - أن الأزمان والبقاع لا فضيلة فيها لذاتها، ولكن لما خصت به، وحل بها، فكما فضل الموضع الذى ضم جسده - ﷺ - على جميع أقطار الأرض وبقاعها إجماعا، فكذلك الزمان الذى ولد فيه، فضل جميع الأزمان إجماعا، لأن شرف كل زمان ومكان، بحسب ما شرف به، فيوم الجمعة له فضل جسيم، وشرف عظيم، لكون آدم - عليه سلام الله تعالى - خلق فيه، وأهبط وتيب عليه، فروعى شرفه، وفضله من ذلك الوقت إلى وقتنا هذا بعد قرون وأعصار لا تعد ولا تحصى، فيكون هذا الزمان الذى ولد فيه سيد الخلق، أولى أن يراعى بالتعظيم والإجلال، وبالدعاء فيه والابتهال؟ انتهى.

قال أحمد بن محمد المقرى - وفقه الله - كتب الإمام الوانشريسى - صب الله عليه شآبيب رحمته - على قول هذا المؤلف، فيكون هذا الزمان إلى آخره - ما نصه: قلت: قال بعض أهل الحقائق: لصاحب الوقت يومان.

يوم بأرواح يبـــاع ويشـــتـــرى نقـــدا وآخـــر لا يـســـام بدرهم

وفصل الفضل بينهما:

ومـا تفـضل الأيام أخـرى بذاتهـا ولـكن أيـام المـلاح مـــــــلاح

فافهم الإشارة، انتهى كلام الوانشريسى.

قال أحـمد بن محـمد المقرى - وفـقه الله - أشار الإمـام الوانشريسى بقـوله: بعض أهل الحقـائق إلى أشـهر أسـلافنا، الإمام العـلامة، القـاضى بالحضرة الفاسية - أيام المتـوكل عنان، الشيخ العارف، القدوة المؤلف، الكبير الشهـير، أبو عبد الله المقـرى التلمسانى القـرشى - رضى الله عنه، فإن ذلك نص كلامه فى كتاب الحقائق والرقائق له، وهو كلام منور وبالله التوفيق.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من كـلام المؤلف الراد على الجزنائى، قال - بعد قوله والابتهال - فإن رتب الشرف أبدا مـختلفة: فليس يوم ولد فيه سيد الأنبياء والرسل، كـيوم خلق فيه آدم عليهم أجمعـين سلام الله - فى الشرف سواء، فـأين قولكم يوم الاثنين لا يكون فـيه تلك الفضـائل، ولا يقول هذا الكلام قائل؟ وأين قولكم: فـإذا اضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين؟ وأين تحجيركم تلك الفضائـل مع الخوارق على تلك الليلة؟ فلا تقف أيها الرجل ما ليس لك به علم، ولا تتبع من أمور دينك إلا الأمر المهم، وواجب عليك أن لا تختصر شيئـا من كلام العلماء، ولا تنقله بالمعنى ولا بالمقتضى - إن أردت تعقبه، فإن النقل أمانة، والتحريف خـيانة، وبعد تعقبك إياه ينظر الناس فيه، فيقرأ ويسمع، والحق وأولى أن يتـبع، ومن هناك ينكشف عن المسألة الغبار، ويتبين الفـرس الجنيب من الفار، وما ذكرتم أيضا فى آخر كـتبكم عن الإمام ابن العربى - رحمـه الله تعالى - حين تكلم عن ليلة القدر فـقال: من فضل

الله تعالى على هذه الأمة، أن جعل لها عاما بألف شهر، وإن كان - كما قال. ثم إنكم، بارك الله تعالى فيكم - أفرغتم كلامها فى قالب الإشكال والتعقيد، ليتهيأ لكم الرد عليهما والتعقيب، فقلت: عرض لى فى كلامهما إشكال، فإن الأول جعل العام بمثابة ألف شهر، والثانى جعل الليلة بمثابة ألف شهر، وكل واحد منهما لا تساعده الآية، لأن القرآن لم يقل: بمنزلة ألف شهر، وإنما قال ﴿...خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ - قلت: ظاهر كلامك أن القرآن لم يقل بمنزلة، أنهما قالاه، وهما لم يقولا بمنزلة ولا بمثابة، ولم يتلفظا بواحد منهما.

قال أحمد المقرى - وفقه الله - كتب الوانشريسى هما ما نصه: قلت: صحة الرد عليه، تتوقف على تحقيق متن كلام الشيخ ابن مرزوق - رحمه الله - انتهى.

رجع إلى كلام المذكور، قال - بعد قوله منهما - ما نصه: وإنما القائل لذلك أنت، لتركب عليه اعتراضك، وهلا قلت - كما قال من سبقك بالسيادة، ولين الجانب، فقلت: صوابه كذا، فتكون مثله فى السيادة والأدب أو تقارب، وأنت أيها السيد والأخ - فى الله تعالى - دع الولوع عنك بمثل هذا، وأقبل على شأنك، وانظر إلى سنك.

قال أحمد المقرى - وفقه الله - كتب الوانشريشى على قوله سنك، ما نصه، قلت: ويرحم الله القائل:

أبعد الأربعين تروم هزلا فما بعد العشية من عرار

انتهى.

رجع، قال المذكور: واعلم أن العلماء هم أهل الله - تعالى - وخاصته وحماه، فلا ترع حول الحمى، تقرب إلى الله - تعالى - بغير هذا، وليكن هذا آخر النصح إليكم. والسلام.

خاتمة: ذكر هذا الفقيه أبو حفص عمر، كلاما ختم به المسألة الثالثة المتقدم ذكرها، ونص ذلك الكلام: ولم أرد بما قلته الانتقاد عليهم - رضى الله تعالى عنهم - وإنما أردت ظهور الحق من حيث هو حق، قال ذلك وخطه بيده الفانية، عمر بن عبد الرحمن بن يوسف، الشهير بالجزنائى، مسلما على من يقف عليه، والحمد لله رب العالمين. انتهى.

قلت: هذا الكلام فى نفسه فى غاية الحسن والأدب، والتواضع مع هؤلاء العلماء والأولياء الجلة - رضى الله تعالى عنهم أجمعين. ثم إنى تأملت هذا الكلام وألفاظه الواقعة فى المسائل الثلاث المتقدمة، فوجدتها تنافى ما قصده من ظهور الحق والأدب معهم، والتواضع والدعاء لهم - رضى الله تعالى عنهم. فمن ذلك: قوله: ومن ادعى وجود هذه الفضائل فى غيرها، فدعواه بعيدة، وذلك رجم بالغيب، ولا يسلم قائلها بغير دليل من العيب. ومنها ليس له فى حديث يوم الاثنين دليل، وذلك بين ظاهر لكل حاذق نبيل، ومنها هذا الكلام لا يقوله قائل. ومنها: وطول بذلك اللسان، وأبدأ وأعاد، حتى خرج عن المعتاد. ومنها: فاضمحل دليل يوم الاثنين، ولم يبق له أين. ثم ختم كتابه - وكان ختامه مسكا، مخبرا عن القاضى أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى، ورضى عنه - بقوله: وهذا لا يليق بما قصده، والذى يليق به أن يقول كذا وكذا، ثم يقول: هذا هو الصواب، ولو كان حيا لم يسعه إلا الموافقة على ما قلناه والسلام. انتهى.

قلت: الظواهر إذا تكررت وتظافرت، قامت عند علمائنا - رضى الله عنهم - مقام النص، يقول هذا الفقيه: لم أرد إلا ظهور الحق، كلام جرى على لسانه، فهو محمول على المجاز، والحقيقة ما اقتضته ظواهر هذه الألفاظ، وشهدت به القرائن الحالية، ودل عليه سياق كلامه - وهو شهود نفسها وتعظيمها، ورؤية حظها، واتباع هواها، وانفراده لا بزعمه فى وقته بالسؤدد، ومساواته لهؤلاء العلماء المعترض عليهم فى العلم والحفظ والفهم، بل يرى أن له شفوفا عليهم فى اعتقاده لكونه غاص على ما أغفلوه، وعلم ما جهلوه، فكان ذلك سببا للحط من أقدارهم الرفيعة، وغضا لهم عن مناصبهم العلية، وبحصول ذلك فى نظره نسب لبعضهم العيب، ورماه بما يقارب الكذب الذى هو الرجم بالغيب، ولبعضهم القصور والغفلة، ولآخرين البعد عن الصواب، وعدم فهم الكتاب، مع أنه وضع خمسمائة مجلد بعد خروجه من بلده غريبا مهاجرا، ويرى فى ذلك كله أنه على المنهاج القويم، وصراط الله المستقيم، وليت شعرى ما معنى قوله فى الإمام ابن مرزوق: وأبدأ وأعاد حتى خرج عن المعتاد، ما هذا المعتاد عنده؟ وما حده؟ فإن العلم نور الله عز وجل، فإذا أشرق من صدر صاحبه واسطاع أيملك حصره أو يستطاع؟

وقد قدمنا فى هذه الخاتمة، ما ختم به أبو حفص كتابه بما فيه كفاية، وأعظم دلالة على جرأته فى نقله، وتحكمه بعقله، وقلة أدبه، وسوء فهمه، فأغنى ذلك عن شرح بقية ألفاظه الحسنة، وجمل من كلماته المستحسنة، ثم نسأل الله جل وعلا - بجاه الخلق عنده - أن يختم لجميعنا بالحسنى، وأن يسامحنا أجمعين، ولا يؤاخذنا بما قلنا، وعملنا وظننا، إنه على ذلك قدير،

وبالإجابة جدير، وصل أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله، وخاتم النبيئين، وسيد المرسلين، وشفيع الملأ المذنبين، وأن يعم بهذا الدعاء والدينا، وجميع المسلمين آمين، آمين يارب العالمين.

ثم بعد فراغى من هذا المجموع، نبهنى بعض الفضلاء، أن يقع الجواب عن المسألة - وهى قوله فى المسألة الثانية، (كما وقعت من القاضى أيضا غفلة، حيث ضعف قول الشافعى وابن المواز)، ثم قال: (وهذا لا يليق بما قصده من تعظيم الصلاة عليه - ﷺ) إلى قوله: (ثم نقول وهذا الصواب، ولو كان حيا لم يسعه إلا الموافقة على ما قلناه والسلام). فأقول - والله سبحانه المستعان - أن الجواب عن هذه الجملة التى اكتنفت طرفى المسألة الثانية: أولها وآخرها هو أن يقال لهذا المعترض: إن نظرت بعينى بصيرتك وأنصفت، لم تجد منافاة بين ما قصده - رضى الله تعالى عنه ونفع به - من تعظيمه الصلاة على رسول الله ﷺ، وبين تضعيفه قول الشافعى، وبيان ذلك: أن قصده للتعظيم قصد صحيح، لأن تعظيم الصلاة عليه - ﷺ - تعظيم ذاته ومحبته، واتباع سنته، وسنة السلف الصالح بعده، واتباع هديهم القويم - سرا وإعلانا، ﴿... **لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** ... ﴿٣١﴾﴾ [المدثر]، فيجب اتباعهم - على كل حال فيما نقلوه، وقعدوه وأصلوه، وحسنوه أو وهنوه، فإنكار المعترض على القاضى - رحمه الله تعالى - تضعيف قول الشافعى وابن المواز - اعتمادا منه على ما حسنه له عقله ووهمه، وانتهى إليه فكره وفهمه، جهلا منه أن الإجماع انعقد من السلف الصالح قبل الشافعى وابن المواز على صحة ما قاله القاضى - رضى الله تعالى عنه - واختاره وأمضاه، وعلى إبطال ما أشار إليه المعترض وحسنه

وارتضاه، وإن كان الشافعى وابن المواز - رضى الله تعالى عنهما - وأفاض علينا من بركاتهما، وقد بلغا هناك من العلم والاجتهاد، المبلغ العظيم، ولكن كما قال مولانا فى كتابه الكريم: ﴿... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)﴾ [يوسف]، فلما جعل المعترض ذلك، ونظر فى المسألة بفرد عين، لم ير بها الإجماع منصوصا مسطرا، فمن أجل ذلك، صير المنكر معروفا، والمعروف منكرا، ثم إنه بكيسه، وحسه وحدسه، ولم يقنع بهذا كله، ولم يحتشم مما قال حتى أشلى[1] القاضى - رحمه الله تعالى - على نفسه، مع جلالة قدره، وعلو منصبه، أن ينتقض ما أخذه الله تعالى من العهد والميثاق، على الذين أوتوا العلم ليبيننه للناس، ولا يكتمونه، بأن يوافق المعترض عن قوله وفهمه، فيحسبه عليه الكرام الكاتبون ويكتبونه، فيقوله بذلك قول الزور، ويوقعه فى الحذور، حاشاه متلاعبا بالدين عمدا واعتمادا، ويحرف الكلام عن مواضعه قولا واعتقادا، وهنا انتهى الجواب عن هذه الجملة المنسى الكلام عليها، وبعد كتب هذا الجواب، عرضت لى مسألة أخرى، فأجبته هنا، وذلك أن المعترض ذكر فى المسألة الثالثة ما نصه: (وعندى أن ما ادعاه ابن مرزوق غير متعين، وما استدل به غير بين، وذلك أن ليلة مولده - ﷺ - ظهرت فيه أمور خارقة. إلى قوله: (فاضمحل هذا الدليل، ولم يبق له أين)، انتهى الجواب عنها، فأقول - والله سبحانه المستعان: محل الحاجة من هذا الكلام، هذا الإلزام، وذلك أن قوله - عليه السلام - لسائله عن صيام يوم الاثنين مجيبا: (فيه ولدت، وفيه أنزل على) - تعظيم وتشريف لذلك اليوم، وأن الفضائل التى نفاها المعترض عن ذلك اليوم، هى بكمالها كامنة فى ذلك اليوم لولادته فيه، كما أخبر - ﷺ، وقد تقدم الجواب عن هذه المسألة بكمالها، وأن الزمان الذى ولد فيه سيد الخلق، فضل جميع الأزمان إجماعا. فقال هذا

(١) أشلاه: أغراه وادعاه.

المعترض: هذا كلام لا يقولـه قائل، ويعنى بذلك أن تلك الفضائل، لا تكون فى ذلك اليوم؟ وقوله: لا يقوله قائل، معناه قائل يعتبر قوله، ويلاحظ علمه ونقله، كأن هذا الكلام عنده فى حيـز القطع والتحقيق، ومن قال غـيره فهو عنده فى غاية الضـعف والتلفيق، هذا هو الظاهر البين من كلامـه، فلما عم هذا النفى ولم يخص، جاء الإشكال والتلبيس والإجمـال، فيحتمل أن يكون الكلام المنفى عنده، قـول النبى عليـه الصـلاة والسلام، ويـحتـمل أن يكون الكلام المنفى كـلام غيـره، فإذا تقـرر هذا وسلمـه كل ذى عقل سليم تعـين الوقوف، وجاءت الحيرة، وتردد النظر، واشـتدت الفكرة: أيهما يغلب، هل حرمة النبى ﷺ، فـيكشف ظهر المعترض، ويبالغ فيـه بالضرب الوجيع، لأن الجاه عظيم، وحماية كريم عرضه حق واجب على كل مسلم سليم، وإلى هنا بلغت إذايته، وكادت تتكشف للمسلمـين سريرته، من إلطلاقه العنان، وعدم ضـبطه الكلام وإمـسـاكه الـلسان، فكـيف بمن دون هذا النبى، من الأوليـاء والعلمـاء والصلحاء، فـمنهم الصديق الأكـبر، أبو حـامد الغـزالى، والولى الصالح أبو بكر بن العربى، والفقـيه القاضى ولى الله - تعالى - أبو الفضل عياض، والفقيه الإمام العالم العلم الشهير، أبو عبد الله بن مرزوق - رحمهم الله تعالى أجمعين، ونفعنا ببـركاتهم، فما منهم واحد إلا وقد أهانه، وغض من منصبه العظيم.

قال أحمد المـقرى - وفقه الله - كتب هنا الشيخ الوانشـريشى ما نصه: قلت: ويرحم الله الشيخ أبا القاسم ابن عسـاكر حيث يقول: اعلم يا أخى أن لحوم العلماء مسمومـة، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب - انتهى.

رجع إلى كلام المؤلف المذكور، قال - بعد قوله العظيم - ما نصه: فانظر عاقبة أمره، هل تزيد اعوجاجا، أو يتداركها ربنا عز وجل فتستقيم؟ غير أن الغزالى - رحمه الله تعالى - لم أقف على نص معارضته إياه، ولكن ذلك شائع عند أهل الفضل من علمائنا، وذكر لى بعض الأكابر من أهل العلم، أن الصمم الذى أصابه، إنما كان من وقوعه فى الغزالى، قبل هذه السنة - أعنى سنة كتب هذا المجموع.

قال أحمد المقرى - وفقه الله: كتب الوانشريسى على قوله من وقوعه فى الغزالى ما نصه:

ستعلم ليلى أى دين تداينت وأى غريم للتقاضى غريمها

انتهى.

رجع، قال المذكور: فبعدما فرغ من معارضته، أصابه - والعياذ بالله - ما أصابه، فإن قال هذا المعترض: أشققت على قلبى فى دعوى العموم، وإن ذلك يعم المعصوم وغير المعصوم؟ وهذا من سوء الظن المنهى عنه، إن بعض الظن إثم، وما أشرتم إليه، لم أقصده ولم أنوه، ولم يخطر لى ببال؟ قلت له فى الجواب: فسألتك هذه، هى من باب خطاب الوضع، فلا نتعرض لنيتك وقصدك، ولا نسألك عنهما، ولكن حيث وجد هذا اللفظ أو مثله منك، أو من غيرك، وجد ما يقابله من أدب فى الظهر، أو حد فى العنق، وقضية سيدى عمر الرجراجى - رحمه الله تعالى ونفع به - مشهورة، وذلك أنه كان مولعا بسوق الكتبيين فى كل جمعة، فجاءه الدلال بكتاب فيه سيرة النبى ﷺ، وكان خط الكتاب ركيكا جدا، فقال رجل - إلى جنبه - ما هذه إلا سيرة سوء، فسمعه من حضر، وأدوا عليه، فأفتى فقهاؤها بقتله، فحلف

الرجل أنه لم ينو، ولم يقصد عيبا، ثم حلف الشيخ رضى الله تعالى عنه - بعد أن توجه إلى القبلة: إنه لصادق فى يمينه، وما أغنى عنه ذلك شيئا، إن ضربت عنقه فى الوقت، فكما وجب القتل هنا على هذا مع كونه لم يصرح بسبب هذا النبى الأمى، فكذلك يجب الأدب الوجيع على من غض قلامة ظفر من منصبه العلى - إن كانت القضية مثل هذه، وإلا فلا فرق فى القتل بين من تعرض لسبه، أو غض غضا بينا من منصبه - ﷺ، وشرف، وكرم، وسواء كان ذلك فى قوله - كان فى هذه القضية، أو فعله أو خلقه، أو خلقه أو دينه، أو نسبه أو ضحكه أو مزاحه - ﷺ، وسواء كان ذلك تلويحا، أو تغلب حرمة الظهر، فإن ظهر المؤمن حمى، وفى الصحيح ادرءوا الحدود بالشبهات. وهذا كله موكول إلى القضاة والحكام، فرب شخص يكفى فى زجره فتل أذنه، وآخر ألف سوط على قول العوام؟ انتهى. وحكايته مع الفقيه الإمام، العالم المفتى، أبى العباس أحمد بن زكرى التلمسانى الدار، معروفة مشهورة، وذلك أنه وصل إلى مدينة فاس بعض كلامه، فوضع عليه المعترض المذكور بطاقة كلها مفقرة، وحملنى مع رجل إلى منزله، وقرأها علينا كلها، لا يدرى من سمعها أهى هجو أم غيره؟ فكان يقرؤها علينا - والعسل والسكر يقطر من فمه، وعاب كلامه كله، ثم بعد ذلك، لقيه رجل من طلبة الفقيه أبى العباس أحمد المذكور، فتكلم معه فى مسألة من علم الكلام، وطال الكلام بينهما، وسمعت من وراء الناس أن الطالب ظهر على المعترض المذكور بالحجج والدلائل، وربما شنعوا فى ذلك الوقت عنه شيئا قبيحا، وتمشى ذلك فى الألسنة، ثم إن يوما بعد صلاة العصر، قامت الأولاد وصبيان المكاتب فى صحن جامع القرويين، يصيحون صيحة واحدة بكلمتين مفقرتين، يقولون فى الكلمة الأولى: عمر، ثم يكملون القافية الأخرى على وزنها فقر ترتعد منها

الفرائص، بقى كذلك إلى أن جن الليل، فخرجوا وكتبوا الكلمتين على غلق حانوته فى الشهود بحجر أبيض، غلظ الإصبع، يقرؤه كل أحد، وبقيت حانوته مغلقة أياما حتى محا ذلك جيرانه وغيرهم، ولم يعلم أن انتصار الله تعالى لهؤلاء السادات، أتم انتصار لهم من انتصارهم لأنفسهم، فلما فقر عليهم، وعرض قوافيه على الناس فى الأسواق، فقر عليه، وكتبت تلك القوافى على بابه فى الإغلاق - جزاء وفاقا؟

قال أحمد المقرى - وفقه الله: كتب الإمام الوانشريسى على هذا المحل، ما نصه:

قلت: ولقد أحسن القائل فى هذا المعنى ما شاء:

(ومن يمت فله الرحمن ينتصر)

انتهى.

رجع إلى كلام المؤلف المذكور، قال: فاهتد أيها المعترض بهدى ساداتك ومن تقدمك، وأنصف أصحابك كإنصافهم، واعترف بخطئك الظاهر البين، فإن الاعتراف، يمحو الاقتراب وإن لم تعترف وتقر لمن هو دونك فى المنزلة والمكانة، وغلبك الهوى والشيطان ولم تعصمهما، فشمر عن ساعد جدك، وأجب عما كتبته بخطك، وقل ما شئت من هجومك ونوعه من نثرك ونظمك، وأَمْل ذلك على حفظتك، تجده غضا طريا قريبا من خاتمتك.

ثم إن هذا المعترض لما بلغه كلامنا وكتبنا الذى فى هذا المجموع، فلما قرأه وتبين له خطؤه وسوء أدبه على العلماء، وقلة حيائه عليهم، واشتد نكير غير واحد من علماء الوقت عليه ضجت نفسه من ذلك، وأنفت وضاقت،

وأخذ يكتب بالرد علينا فى ألفاظ يغفلها الكاتب، ولا يحسبها كل سيد فاضل إلا طغيان قلم، فيعظم هو شأنها، ويشنع أمرها، ويطوف بها على الحوانيت، ولا يقتصر على القول وحده، بل يكتب فى ذلك كتبا مفقرا، ويقرؤه على الناس فى حوانيتهم بنفسه، وقد فعل ذلك مع الفقيه العالم المحقق، مفتى مدينة تلمسان، سيدى أحمد بن زكرى - رحمه الله تعالى، وقد رأى لذلك أعجوبة عظيمة تقدم ذكرها، وهو يعلم أو لا يعلم أن ذلك من الغيبة المتفق على تحريمها، ورحم الله الشيخ أبا القاسم بن عساكر حيث قال: اعلم يا أخى أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله تعالى فى هتك أستار مستنقصيهم مشهورة معلومة، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب. ومقصوده بهذا الطواف على الحوانيت، وأعلام الناس بأنى كتبت المحظور - بالضاد، فأسقطت قرن الظاء فى الكتب، ويكتب الكلمة فى آخر السطر، وتكميل بقيتها فى السطر الثانى - تنفيرا للناس عن النظر فى هذا الكلام، وتقبيحه فى أعين الناس، وإطفاء نور الله الذى أظهر منه حقوق أولئك العلماء والسادات المعترض عليهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره - على رغم أنفه ولو كره، وقد صرحت فى هذا المجموع فى مسائل، أنه يلزمه فيها خلع لسانه، وثقب أشداقه، وهد أركانه - وكشف ظهره للأدب الوجيع، ولم يتكلم على مسألة واحدة منها، ولم يعتذر وكأنه لم يرها أصلا، وتعامى عنها، ومن هذا المعنى ما كتبه بخطه، ولم يدر فيه ما يقول، ولو حضر بين يدى السلطان، أو من بيده تنفيذ الأحكام الشرعية، لأوجب عليه الأدب الوجيع، للعبه بالأحكام الشرعية كيف يشاء.

قال بخطه: إن يوم الجمعة أفضل جميع الأيام، بالكتاب والسنة

والإجماع، وليت شعرى ما هو هذا الكتاب؟ ومن نقل هذا الإجماع؟ ثم قال أيضا بخطه: لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، ثم قال: وأما الزمان الذى ولد فيه سيد الخلق، فقد فضل جميع الأزمان، ولا خلاف فى ذلك بين المسلمين، وهو يزعم أنه أحدهم، فتدخل الليالى والأيام الفاضلة عند الناس، كيوم عرفة، ويوم الأضحى، وليلة القدر، وعشر ذى الحجة، والأشهر الحرم، وغير ذلك حتى يوم الجمعة، وقد نص المعترض عليه أنه أفضل من يوم الاثنين من غير خلاف، ومن جميع الأيام بإجماع، فيدخل يوم مولده - ﷺ - لأنه عنده مفضول بإجماع، فانظر إلى هذا التناقض والتدافع والتهاتر، فيجب عليه أن يبين من قاله من العلماء ويعين اسمه، فإن قال المعترض لم نزل نسمع العلماء والخطباء، أن يوم الجعة هو سيد الأيام، ومظنة انحطاط الذنوب والآثام، وقد شاع فى الإسلام حظه وخطره، وانتشر فى العالمين ذكره، فمن ثم أخذت أنه أفضل من يوم الاثنين، قلنا له فى الجواب: هيهات، لقد حكيت، ولكن فاتك الشنب! وها هو الكون كله من العرش إلى الثرى، وما تحت الثرى، وجميع ما فى العالم كله، علوه وسفليه، من ملك وجن وإنس، وجميع الحيوانات كلها، والجمادات وغيرها، تخبرك أن لا يوم أفضل، ولا أشرف، ولا أعظم خطرا، ولا أعلى قدرا، من يوم الاثنين، الذى ولد فيه سيد الثقلين، وقلت أنت - وقولك هذا حق: لا يعادل زمان ولادته - ﷺ - فى الفضل شىء أى زمان وكتبت بخطك، وقلت - ولا يخالف فى هذا أحد من المسلمين، وأن المسلمين كلهم متفقون على هذا، ونحن نعتقد أنك أحد المسلمين، فكيف تعد نفسك منهم، وتقول أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين من غير خلاف، فيوم الجمعة - وإن كان معظما قديما وحديثا، وخصه الشرع بخصائص لم توجد فى يوم سواه،

وتلك الخصائص لا تحصى كـثرة، وأعظمها فريضته المعلومة، ومـا يتبعها من السنن والآداب وخصال الفطرة، كـما خصت بساعة الإجابة، وكون مـيتها لا يروع ولا يسأل، وقيام الساعة، وغيـر ذلك، فالخصوصية التى خص بها هذا اليوم العظيم، لا تؤذن بأفضليته من كل الوجوه، وقول الخطباء والوعاظ: هو سيد الأنام، وخيـر يوم طلعت عليه الشمس، محمـول على التحريض منهم على القيام بحـقه، وتعمير أوقاته كلهـا بما يليق بكل وقت من العادة، وليس ليوم الجمعة مزاحم عنـد المعترض إلا يوم الاثنين، وما هو يدعى أن المسلمين كلهم متفقون على أفضلية يوم الاثنـين، إذ فيه ولد سيد الثقلين، وبإقراره فى كتـبه - بخطه، اتفـقت المزاحمة عن يوم الاثنيـن، واستقل - والحـمد لله - بالأفضلية التامة على كل حال، التى أجمع عليـها المسلمون كافة، وباستقلاله وانتفاء المزاحـمة عنه، انتفت حجة المعتـرض وانقطعت واضمحلت، ولم يبق لها وجود لمن أنصف، ورجع إلـى الحق واعترف، وما خصت به الجـمعة من البركات والخيرات، وتضاعف الحسنات، ومـحو السيئات، استمدت ذلك كله - جداولها وأنهارها من البحـر العظيم - وهو بحر يوم الاثنين، ومن فيضان بحر نور ذلك اليوم العظـيم، كان سبب قبول توبة آدم حـين توسل بمحمد - ﷺ - فوجد محمد ﷺ - سر وجود آدم، عليهم أجمعين صلوات الله تعالى وسلامه.

ثم إن المعتـرض ذكر فى هذا المجـموع بخطه - مـسائل جـملة، وجزم بالحكم فيهـا، ولم يعين صاحب ذلك الحكم، ولم ينسبـه لأحد من العلماء، فأردت تجـريدها هنا، وحصـرها وتبيـينها، وأطلب من المعـترض ما يـخلصه ويبرئه من الجواب عنها، فأقول - مستعينا بالله سبحانه وتعالى عليها - المسألة

الأولى، ذكر - بخطه تصريحا - أن النبى ﷺ ولد ليلا، وتلك الليلة صادفت ليلة اثنى عشر من ربيع الأول، وأن هذا هو المشهور، فيجب عليه أن يعين من شهره من العلماء، المسألة الثانية، ذكر أن الليلة التى ولد فيها سيد الخلق، خصت بفضائل: ظاهرة وباطنة، فشرح الفضائل الظاهرة وسكت عن الباطنة لم يشرحها ولم يذكرها ولم يصفها، - غير أنه جزم عليها بالحكم، وأن الملك القدوس استأثر بها فى علم غيبه، ولم يظهرها لأحد من خلقه، فيجب عليه أن يعين من أين علم هذا، فإن هذا الحكم الذى حكم به، لايعلم إلا من طريق النبوة، لأنه من الأمور التوقيفية، ولا سبيل له إلى الحرز والتخمين فيها. المسألة الثالثة: ذكر عن ابن مرزوق - رحمه الله تعالى - أنه يقول هذه الفضائل التى خصت بها ليلة مولده - ﷺ - تتكرر، وتستدام فى كل ليلة اثنى عشر من ربيع فى كل سنة آتية، وقلتم: هذا الذى عول عليه هذا الإمام، فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه، وهو - رضى الله تعالى عنه - روى حديث يوم الاثنين وولادة النبى - ﷺ - فيه، فنسب كلامه - رضى الله تعالى عنه - إلى التدافع والتناقض، وهو لا يليق بمقامه.

المسألة الرابعة، ذكر أيضا عن القاضى أبى الفضل - رحمه الله تعالى - أنه نقل عن الإمام الشافعى وابن المواز أن من لم يصل على النبى ﷺ، فصلاته باطلة، فيجب عليه أن يعين من أين نقل هذا عنه.

المسألة الخامسة: ذكر أيضا - بخطه - أنه لا خلاف أن يوم الجمعة أفضل من يوم الاثنين، ثم ذكر أيضا فى المكتوب الثانى، أن أفضل الأيام يوم الجمعة بالكتاب والسنة والإجماع، فيجب عليه أن يعين من قال هذا الكلام، ومن نقل هذا الإجماع، وذكر لى رجل من أصحاب المعترض وأهل سره، أن

شيخنا البركة سيدى أحمد بن يحيى[1] الوانشريسى - حمد الله عاقبته، وجبر صدعه، وأمن روعته، جرت بينه وبين المعترض مسألة، وذكر المعترض أنها مجمع عليها، فطلبه شيخنا بالمستند، فراغ المعترض عن الجواب، واستعمل طريق الحيدة، وألقى عليه مسألة - وكأنه يلقمه فيها حجرا يشغله بها عن طلب حقه بالمستند، ومضمن المسألة أن يبين له أى اليومين أفضل: أيوم الجمعة، أم يوم الاثنين؟ فإن كان الأمر على ما ذكر لى هذا القائل، الذى هو صاحب المعترض ومن أهل سره فأنا أكون بينه وبين سيدنا، كالحاجز بين المتنازعين فى حق من الحقوق، فأبلغه غرضه - إن شاء الله - بالجواب عن مسألته فى عين نازلته، جوابا يشفى علته، ويقطع حيدته، على أن يبلغ شيخنا غرضه، بتعيين المستند، ومن نقل ذلك الإجماع، ويناجزه بأحد جوابين: أما أن يدعى أنه وهم فى دعوى الإجماع، وإما أن يشمر عن ساعد جده، ويلح على علماء الوقت فى السؤال، عسى أن يفتح عليه منهم فيما يبريه، ويظهر صدقه فى دعوى الإجماع، وإن لم يفعل شيئا من هذا، نسب إلى الظلم والكذب، والروغان عن الحق، وذلك لا يليق بطالب العلم، سيما وقد بلغ هذا المعترض من السن تسعين عاما أو قاربها، والجواب عن المسألة التى ألقاها على شيخنا البركة - والله سبحانه الموفق للصواب بمنّه - أن جماعة من أكابر أئمتنا وعلمائنا المحققين المحدثين، اتفقوا على ولادة النبى - ﷺ - يوم الاثنين، فإن قلت: اليوم إذا أطلق - هكذا عم الدورة كلها، فمن أين تتحقق أحد زمانى الدورة؟ قلت: القرينة هنا تمنع من إرادة الليل، لأن جوابه - ﷺ - لمن سأله عن صيام يوم الاثنين، فقال له: فيه ولدت وفيه أنزل على، أخرجه مسلم فى صحيحه فى آخر كتاب الصيام، فتعين صرفه إلى محل الصوم، لا إلى الليل الذى هو محل النوم، كما عينت القرينة أيضا

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أحمد يحيى».

قول الفقهاء: وأجاز مالك صوم يوم الجمعة منفردا. فكما عينت القرينة هنا الزمان المنحصر فيه الصوم، وهو ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فكذلك عينته فى جوابه - ﷺ - لمن سأله عن صيام يوم الاثنين، إذ لا فرق بين المسألتين، فإذا تقرر هذا عند السائل، وفهم شرح هذا الحبيب، وسلم صحته تعينت القضية أنها نهارية - لا محالة، ولا يكابر فى هذا الكلام وصحة نقله، إلا رجل مصاب فى عقله، ويبقى المعترض على حقه فى سؤاله: أى الزمانين أفضل؟ فنقول - والله سبحانه المستعان - قال بعض العلماء من فقهائنا وأئمتنا الماضين، المسلم له فى فقهه، المشهود له بثقته وأمانته وحفظه، ما نصه: أعملت النظر فى ظواهر النصوص الواردة فى هذا الباب، فإذا هى أكثرها تشهد لولادته - ﷺ - نهار يوم الاثنين، ولم يبق ليوم الاثنين مزاحم إلا يوم عرفة، ويوم الجمعة، فموجب أفضلية يوم الجمعة، نبينا محمد ﷺ، وهى ولادة آدم فيه، وقبول توبته، وهبوطه إلى الأرض، وقيام الساعة، فيه رحمة لأمته، لئلا يطول مقامهم تحت الأرض، وهو العيد الذى اختصت به أمته كرامة له، كما اختصت اليهود بالسبت، والنصارى بالأحد، ويوم عرفة جاء فيه ما روينا فى الصحيح من قوله: ما رُئى الشيطان يوما هو فيه أذل ولا أحقر من يوم عرفة، لما يرى من نزول الرحمات، وتجاوز الله - تعالى - عن الذنوب العظام والسيئات، فيوم عرفة ويوم الجمعة، من المواهب الربانية، التى منحها وأنعم بها على نبينا - ﷺ، فثبتت أفضلية يوم الاثنين، قال: وفضله باق مستمر، وشرفه ثابت، ومراعاة حرمة زمان ولادته مستمر. ثم قال: إذ لا نزاع فى الحديث الوارد فى يوم الاثنين وصحته، ولا يرد عليه شىء من الأسئلة الواردة فيما تقرر من المتون، وعند الأصوليين وأهل النظر. انتهى.

قلت: وبانتفاء اليومين المزاحمين اللذين هما: الجمعة وعرفة، استقل بالأفضلية يوم الاثنين، الذى ولد فيه سيد الثقلين، وثبتت أفضليته على سائر الأيام، وبطلت حجة المعترض، وانقطعت واضمحلت، ولم يبق لها وجود، ومشى إجماعه الذى لا مستند له فى هبوب الرياح، عندما بدت رايات النصوص تقفو أثره بالعويل والصياح، فإن كانت المسألة التى جرى فيها الكلام بين سيدنا وبين المعترض، التى ادعى فيها الإجماع، هى مسألة يوم الجمعة هذه، فها هو قد سمع المعترض فيها ما قد سمع، وإن كانت غيرها، فالمعترض مرتهن بالمستند، فإن أتى به معزوا لعالم مرضى أمين على علمه، مسلم له فى علمه ودينه، فقد برئ، وعلم صدقه وأمانته، وكان مأمونا فى نقله، معمولا بقوله، وإن بقى على روغانه وحيدته، ظهر وهمه أو كذبه على العلماء، وقد كنت حين فرغت من هذا المجموع، أطلعت عليه الأستاذ الفقيه، الخطيب البليغ، أبا عبد الله محمد بن غازى، فرآه وأعجبه واستحسنه، وربما دعا لى بخير، ثم بعثت به إلى شيخنا وسيدنا، البركة العالم، العلم الشهير، سيدى أبى العباس أحمد الوانشريسى أبقى الله تعالى بركته، فبقى عنده أياما عديدة ينظره ويتأمله، وقد كنت بعثت به إليه - ومعه ورقتان منفصلتان منه، تكلمت فيهما على بيت جلبه المعترض، ليضعف به كلام القاضى أبى الفضل عياض - رحمه الله، وهو البيت الذى ذكره فى الشفا - وهو قوله: لولا الأعادى والعوادى - البيت.

قال أحمد المقرى: هنا انتهى التأليف المذكور، ثم وجدت متصلا به كلام المؤلف المذكور، ما نصه: الحمد لله، وكان من قضاء الله تعالى وقدره، حين وقع لأبى حفص ما وقع من اعتراضه على الإمام العالم العلم، ولى الله

تعالى، أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ورضى عنه، وناولنى ما اعترض به عليه ليبيت عندى، فنتأمله ونساعد عليه، فقيد على اعتراضه بعض كلمات، ثم بعثت بها لسيدنا أبى العباس الوانشريسى - رحمه الله تعالى، فلما نظرها، أعجبته وأثنى عليها ثناء حسنا، وكتب لى بذلك، فسرنى وفرحنى، وأشار على بأن أكمله ونضيف إليه شيئا من فصول كنت ذكرتها له، حتى يجتمع منه مجمع حسن - فى نظره الجميل، فكان - كما قال بنيته الصالحة، وزادنى ذلك نشاطا وقوة فى نفسى ببركته والكتب التى كتب لى بخطه، وأثبته فى آخر ورقة من أول هذين المجموعين، ثم إنه - رضى الله تعالى عنه - تعقب على خمس مسائل من المجموع المذكور، وكتب على كل مسألة منها حاشية حسنة جيدة، باعتبار ظاهرها، وأمرنى أن نبدل منها ألفاظا، وقد كنت كتبت ما كتبت، وفرغت منه، وأردت أن أجمعها حتى ينظر فيها، وبدأت بجمعها بالحاشية الرابعة من حواشيه كيف تيسر فى الوقت، كتبت جميعها بصبغ يخالف شرحها، ليسهل ذلك على الناظر فيها، والخمس المسائل المتعقبة، هى مجموعة فى ورقتين، على كل مسألة منها حاشية - رحمه الله تعالى بخطه، فأزلتهما من الأصل، وأبدلتهما بغيرهما، وجعلتهما فى آخر هذا المجموع، فينظر فى الحاشية وأصلها. انتهى.

قال أحمد المقرى - وفقه الله: ثم وجدت بعده ما نصه: «لوامع الدرر، على أبدع الطرر» - الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ومما يجب أن يكتب عقب هذا المجموع، قضيتنا مع شيخنا الفقيه العالم العلم، أبى العباس أحمد الوانشريسى - أبقى الله تعالى بركته، وحسن عاقبته، وذلك أنه اطلع على مجموعنا المسمى بـ «الإعلام للقريب والنائى، فى بيان خطأ عمر الجزنائى»، فأعجبه جدا وأثنى

عليه ثناء حسنا، وكتب عـليه بخطه، غير أن بيتنا واحدا جلبه المعـترض عمر المذكور، ليستشهد بـه على ضعف معنى بيت عياض - رضى الله تعالى عنه، وبيت عياض قد تقدم - وهو قوله:

لولا الأعـادى والعـــوادى زرتهـا أبدا ولو سـحـبـا عـلى الوجنات

والبيت المستشهد به على ضعف بيت عياض، هو ينسب إلى أبى الطيب الواعظ كان مـعاصرا لـلخمى - رحمـه الله تعالى، وكان يحـضر مـجلسه، والبيت هو قوله:

إن كان سفك دمى أقصى مرادكم

فما غلت نظرة منكم بسفك دمى

فلما تأملت البـيت المستشهـد به، ظهرت لى فيه وجـوه تحطه عن رتبة الاستـدلال، ويبقى بيت عياض - رحـمه الله تعالى - على مـا هو عليه من الحسن والكمال، فاسـتطردت الكلام على تلك الوجوه، ولم أجد بدا من أن أبسطها، وطال الكلام فيها، فجاء شيخنا - أعزه الله تعالى - وعابه بالطول، وتعقب علينا فـيه ألفاظا، وكـتب عليها حـواشى وطررا تقتضى - بزعـمه - خطأنا فى تلك الألفاظ، وعاب عبارات منها لخشونتـها وسماجتها، وأمرنا أن نبدلـها ونتلطف فـيها، لأن فـيهـا قلة أدب على المشايخ - رضى الله تـعالى عنهم، وكنت كتـبت ذلك وسطرته، فأبقيتـه على ما هو عليه حتى ينـظر فيه الناظر ويتأمله، وأنا أذكـر - إن شاء الله - تلك الحواشى بنصهـا، مرتبة على كلامنا، ثم نذكر جوابنا عليها كل حاشية بجوابها.

الحاشية الأولى رتبها - رضى الله تعالى عنه على قولنا: فكما هو الآن، القاصد إلى الحج، أو إلى زيارة قبره - ﷺ، من قطرنا، ممنوع شرعا، فلا يبعد أن يكون ذلك فى زمانه - رضى الله عنه - لوجود المانع المذكور فى الزمانين، والعلة فى ذلك الإلقاء باليد إلى التهلكة. انتهى.

ونص الحاشية: قلت: قولكم ممنوع شرعا، فيه تحامل على المذهب، لأن الذى عليه الناس فى انتفاء السبيل الآمنة بوجود المانع والقواطع فيها، إنما ينهض إلى سقوط فرض الحج، ويبقى على الإباحة والندب والكراهة، وأما منعه وتحريمه فلا - خلافا للشذوذ، فلا يسعكم الاقتصار عليه. وإن قلتم: قصدنا بالمنع الكراهة، فخلاف الظاهر، ومما لا يخطر بالبال إلا بالأخطار، ويقال لكم أيضا: اقتصرتم على الكراهة، ولم تعرجوا على الإباحة والندب - وهما مما للمكلف فيه مجال، فالكلام غير محرر فلا يسلم مطلقه من القلق والعجرفة، وكلاهما مما لا ينبغى، فتأمله - منصفا واقفا مع الحق - انتهت.

قلت فى الجواب عنها: لعلكم - رضى الله تعالى عنكم - أشرتم فى قولكم: تحامل على المذهب، إلى إعمال القاعدة المشهورة، الجارية على ألسنة العلماء كثيرا فى المجالس العلمية وغيرها، وهى قولهم: الوسائل حكمها حكم المقاصد، وكأن المقصود عندكم هو الحج، والوسيلة هى الذهاب والقصد إليه، فالحج عندكم لا يوصف بكونه ممنوعا شرعا فى زماننا، وغايته سقوط فرضيته - كما صرحتم به لقيام الموانع والقواطع الموجودتين فى زماننا، وكلامكم هذا فى غاية الحسن والصواب، ويبقى الكلام فى القاصد والذاهب إلى الحج فى وقتنا، فوصفناه نحن بكونه ممنوعا شرعا لإلقائه بيده إلى التهلكة، فقلتم أنتم - رضى الله تعالى عنكم - نحن نقول بمنع الحج الذى

هو المقصود، فكذلك فى وسيلته التى هى: الذاهب والقاصد - عملا بالقاعدة، فيتعين على هذا، خطأكم وتحاملكم على المذهب - على كل حال.

وهذه القاعدة - سيدى - تعقبها الإمام، العالم الدارك، أبو العباس القرافى - رضى الله تعالى عنه فضعفها ووهنها وعطلها عن الإعمال، وسلك بها طريق الإهمال، لكونها خولفت فى بعض الصور، ولم تطرد عنده لمعارض عارضها، حتى يقوم الدليل والبرهان على ذلك المعارض أنه مقصود فى نفسه، وإلا، فالقاعدة منخرمة عنده.

قال رحمه الله فى الفرق الثامن والخمسين ما نصه: تنبيه! القاعدة: أنه كلما سقط اعتبار المقصد، سقط اعتبار الوسيلة، فإنها تبع له فى الحكم، وقد خولفت هذه القاعدة فى الحج فى إمرار الموسى على رأس من لا شعر له، فيحتاج إلى دليل يدل على أنه مقصود فى نفسه، وإلا فهو مشكل على القاعدة. انتهت.

فإذا تقرر هذا وعلم صحته بعد الوقوف عليه، ظهرت براءتنا من التحامل على المذهب، وبقى كلامنا على ما هو عليه محررا من أن القاصد إلى الحج، أو إلى زيارة قبره - ﷺ - من قطرنا فى زماننا ممنوع شرعا، وسلمنا - والحمد لله - من القلق والعجرفة بشهادة من سلم له فى العلم والدين والإنصاف والمعرفة.

الحاشية الثانية: رتبها على قولنا: فرأى عياض - رحمه الله - أن زيارة قبره - ﷺ - لا يدوم على حال، وغلب السلامة فى الزمان المستقبل، ورجا أن ما تعذر فى الوقت يتحول. انتهى.

ونص الحاشية: قولكم: غلب السلامة... الخ، الأمور المتسقبلة كلها وهمية، فلا يتصور معها غلبة، وإذا كانت الأعذار موكولة إلى نظر المكلف، فلم تبعثرون عنها بالحدس والتخمين، وذلك كله ضرب فى حديد بارد، لا يومن معه من الوقوع فى الخطأ والخطل، والدين النصيحة، ونعوذ بالله من الفضيحة. انتهى.

قلت فى الجواب عنها ما نصه: المتبادر إلى الأذهان، أن الأمور المستقبلة الوهمية، كلها عدمية، وهى ضد الحقائق الوجودية، وباعتبار تصور وجودها فى الأذهان، فلابد من تقاسمها الثلاث، وهى الظن والشك والوهم، فالوهم مرجوح أبدا، والظن راجح، والمساوى شك، وقد نص على هذا علماؤنا المحققون - رضى الله تعالى عنهم، وسيدنا - رضى الله تعالى عنه - أجمل فى كلامه، وحجر ما هو واسع، وحصر الأمور المستقبلة كلها، وحكم عليها بأنها وهمية، وليس ذلك بتحقيق، وهو لمن تأمله وأبقاه على إطلاقه يؤدى إلى أمر فظيع، وحال شنيع، على ما يقتضيه العقل، ويحكم به العلم، فتفسد بذلك الأحوال، ويختل النظام، وتجىء الحيرة، ويتشتت العقل، ويتغير الخاطر، ويتنكد العيش، ويشتد القنط الذى هو من العقوبات، وينقطع الأمل الذى هو من أعظم الرحمات، ثم لنا أن نقول إن هذه الغلبة التى أنكرها سيدنا فى الأمور المستقبلة قد تتأكد فتبلغ درجة المندوب، وربما بلغت درجة الواجب، لأن ذلك يصير من باب حسن الظن بالله تعالى، وقد جاء فى الصحيح عنه - ﷺ: إذا تطيرت فلا ترجع فنهى - ﷺ - هذا المتطير عن الرجوع لئلا يقع فى مهواة سوء الظن بالله تعالى، وأمره أن يمضى على رسله، ويغلب السلامة فى الأمور، ويحسن ظنه بمولاه - جل وعلا، وهذا

نص صريح، أو كالنص فى تغلب السلامة فى الأمور المستقبلة، فأين هذا من قول سيدنا: والأمور المستقبلة لا يتصور معها غلبة، ومما يزيد كلامنا هذا قوة وبيانا، ما ثبت عنه - ﷺ - أنه كان إذا سمع فألا حسنا، ظهر السرور فى وجهه واستبشر. قال علماؤنا - رضى الله عنهم - لأن ذلك من باب حسن الظن بالله تعالى، وبذلك فسروه، وعليه حملوه، ففيه أيضا تغليب وقوع ما سمعه - ﷺ - على نحو ما سمعه، وهذا كله من باب حسن الظن بالله تعالى. وقوله - رضى الله عنه - وإذا كانت الأعذار موكولة إلى أمانة المكلف، فلم تبعثرون عنها إلى آخر الطرة.

قلت: هذا التبعثر الذى أوجبت نصيحة سيدنا التحذير منه، والنهى عنه - وكأنه عنده من جملة ذنوبنا الموقعة فى الخطأ والخطل، وأنواع المعايب والزلل، فيجب عنده أن نقلع عنها فى الوقت، نتوب قبل أن تحل بنا فضيحة، أو تنزل بنا قارعة، فإن الإصرار على الذنوب، موجب لحرمان المثوبة، وتعجيل العقوبة، ونسأل الله - تعالى - العافية، كما نسأله - جل وعلا - بحرمة هذا الشيخ العالم، الولى الصالح، الوجيه عند الله تعالى، المقرب منه، أبى الفضل عياض - رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته - أن لا يجعلنا ممن يقلع عن هذا الذنب، ولا يرجع عن هذا التبعثر، وأن يميتنى مُصِرًّا عليه، حتى نلقاه، فإنه العالم بالنيات، والخبير بالطويات، يعلم ما احتوت عليه سريرة كل واحد منا، وأنتم - سيدى وبركتى - إذا نظرت بعين الإنصاف، الذى هو من شيمة السادة والأشراف، لم تجد فى اعتذارنا عن الشيخ - رضى الله تعالى عنه - عيبا ولا كذبا، ولا فحشا ندلسه به ولا قلة أدب، ولو قدرنا وفرضا - أن هذه القضية اتفقت لكم، ووقع منا هذا الاعتذار، والتبعثر عنكم وفى جانبكم، فلا نشك - أنا ولا غيرى ولا نرتاب،

أن نفسكم تطيب بذلك غاية الطيب، وتبتهج به غاية الابتهاج، وتشكرنى عليه، وتدعو لى بكل خير، لأنه اعتذار حسن، لائق بمقام السادات وأهل الفضل مثلكم، وإن كان هذا معكم - بارك الله تعالى لنا فى عمركم، مع وجودكم وقيام ذاتكم، يحسب أنكم ممن يخاف ويرجى، مرجو الثواب الجسيم، والأجر العظيم - عند الله تعالى، فما الظن بمن ألصق خده بالتراب، وانقطعت عنه الأسباب، وكان مقربا وجيها عند رب الأرباب.

وبعد: فتأمل هذا الاعتذار والتبعثر، والنظر فيه وتكراره على الألسن عند ناظره ومتأمله، فيكون غرضه - قل تكراره أو كثر، لأنه من الأعمال، فيا فرحاه ويا بشراه، من يعرض اعتذاره هذا، وتبعثره فى كل أسبوع مرتين على سيد هو عند الله تعالى بهذه المثابة، أتراه يخيب أمله، أو ينقطع رجاؤه، أو يضمحل عمله؟ وقد جاء فى الأثر، إن من الحسنات ما هو مقبول ومردود إلا الصلاة على رسول الله - ﷺ، فإنه مقبول غير مردود.

قال علماؤنا - رضى الله عنهم - وإدخال السرور على قلب المؤمن، وما يفرحه ويشرح صدره، مثل الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه سلم فى القبول وعدم الرد. فإذا تقرر هذا وتعين صدقه بان، وظهر الحق الذى لا شك فيه واستبان، فحسن من سيدنا أن يقول: ضرب فى حديد بارد، والدين النصيحة، نعوذ بالله من الفضيحة؟ فليت شعرى أى مناسبة بين الكلامين؟ وأى اقتراب بين البابين؟

الحاشية الثالثة: رتبها على قولنا، وأما البيت الذى أنشده الواعظ فى مجلس اللخمى - رحمه الله تعالى وهو قوله: إن كان سفك دمى - البيت، فقد وقع فى محله، وأسكت القوم حسن نظمه، وبديع ألفاظه، ويبقى الكلام فى قائله، فلا شك أن قائله إلى قولنا أبدا إلا هكذا، انتهى.

قال – رضى الله عنه – فى حاشية فى هذا المحل ما نصه: قلت: كيف يكون حب من عاوض على نظرة واحدة من محبوبه بإراقة دمه المعصوم فى مرضاته، أنزل من حب أولئك، حتى يكون مدخولا معلولا، مع تصريحه برخص العوض وتفاهته، ونفاسة المعرض، وإن كان أقل درجات الوصال بالعطف على المحب، والرقة عليه؟ لا أدرى ما هذا؟ بل قد يقال مقام هذا الواعظ – وهو أبو الطيب أقوى، ولهذا قال المازرى: واستحسن اللخمى هذه النادرة من جهة طريق التصوف، لا من جهة طريق الفقه – يشير إلى أن المحبين، وأصحاب الأحوال – كهذا الفاضل، لا ينكر فى حقه عدم المبالاة بالمهج والأنفس فى رضى محبوبه، ونيل مطلوبه – والله تعالى أعلم. انتهى.

قلت فى الجواب عنها ما نصه: نحن وسيدنا وفاق على وجود المعاوضة الصادرة فى البيت من قائله، ووجود تلك المعاوضة المتفق عليها نحن وأنتم، هى عين الدخول والشوب والعلة، لأن من حجة المحبوب أن يقول: لو كان حبك صادقا – ولا دخل فيه، ما بذلت سفك دمك على نظرة فى وجوهنا، ولفوضتم لنا أن نحكم فيكم بما شئنا من سفك دم أو غيره على قاعدة كل محبوب أن الحكم له، فلما عوضتم لأنفسكم، واحتطتم لها، صار تنعمكم وتلذذكم بنظرة فى وجوهنا، كأنه مشترط فى أصل عقد معاوضتكم، والمحب إذا احتاط هذا الاحتياط خرج بذلك عن قاعدة المحبين، وصار حبه كما قلنا مدخولا، مشوبا معلولا، وما أنكره سيدنا من قولنا: حبه مدخول مشوب معلول، ثم قال: لا أدرى ما هذا – على جهة الإنكار؟ جوابه: أن الأستاذ الإمام الأوحد، أبا القاسم القشيرى – رحمه الله تالى – ادعى الإجماع على ما قلناه، وصحح قولنا، نص عليه فى التحبير فلينظر هناك. قال فى التحبير

ما نصه: وأجمعوا أن كل محبة تكون على ابتغاء بذل عوض تكون معلولة، حتى تكون صافية من كل طمع. انتهى.

قال ابن عطاء الله، فى حكمه - رضى الله عنه: ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا، أو يطلب منه غرضا.

وقال سيدى محمد بن عباد - رحمه الله تعالى: أما من رجا العوض، وطلب الغرض من محبوبه، فليس هو من مقام المحبة فى شىء.

وقال أبو عبد الله القرشى: حقيقة المحبة: أن تهب كلك لمن أحببت، حتى لا يبقى لك منه شىء.

وقول سيدنا فى آخر هذه الحاشية: ولا ينكر فى حق هذا الفاضل، عدم المبالاة بالمهج والأنفس فى رضى محبوبه، ونيل مطلوبه.

قلت: لا يتصور رضى المحب للمحبوب، إلا مع التفويض التام، المطلق العام للمحبوب، حتى يحكم بما يشاء، مع الإلقاء باليد إليه، وعدم الاختيار معه، وسلب الحول والقوة وعدة التدبير معه، أما حيث يحتاط لنفسه، ويختار لها فى معارضته ما تبتهج به نفسه، وينشرح به صدره، فليس هو من المحبين، فضلا أن يكون حبه مدخولا معلولا، بشهادة العالمين الوليين الصالحين، أبى العباس بن عطاء الله، وأبى عبد الله بن عباد. فقول سيدنا: فى رضى محبوبه، ونيل مطلوبه، كلام جرى على لسانه من غير تدبر ولا تأمل، فرضى المحبوب الذى ذكر، هو فى الحقيقة راجع لرضى نفسه، لا لرضى محبوبه. انتهى.

الحاشية الرابعة، رتبها على قولنا. فإطلاق المحب على هذا الواعظ،

محمـول على المجاز إن كان هو قائل البيـت، والحب الصادق الخالص، حب رشيد فى قوله:

وتالله لو أن الأسنة أشـــرعت وقامت حروب دونه ما تركناه

قال رضى الله تعـالى عنه ما نصـه: قلت: دعوى المجـاز لا سبـيل لها هنا، ولا مجاز، لأن المجاز ما تجوز به عـن موصوف، ولا يجوز فى كلامه، ولقائل أن يقول إن كلام ابن رشيد خرج مخرج المبالغة والتكنية، فالمعتبر فيما كان من هذا القـبيل، مـعناه لا لفظه فيصـير المجـاز فى جهتـه أظهر - والله أعلم. انتهت.

قلت فى الجواب عنها ما نصه، قد تقدم لنا أن من شرط المحب الصادق فى حبه، أن يكون مفوضا لمحبوبه، وأن لا يختار معه، وأن يترك مراده وهواه لمراد محبـوبه، فإذا كان كذلك، كـان إطلاق الحب عليه حقيـقة، وإن انتفت هذه الشروط، واختار لنفسه ما يليق بـها من المعاوضة المذكورة وغيرها، واتبع حظ نفســه وهواه، كان إطلاق الحب عليه مـجازا - وهذا سيـدى، فى غاية الظهور والبيان، فـأين قولكم: دعوى المجاز لا سبيل لهـا هنا؟ وقول سيدنا: ولقائل أن يقول: إن كلام ابن رشيد خرج مخرج المبالغة والتكنية.

قلت: فى الجـواب عن ذلك: هما من خـواص الشعـراء، وكثـيرا مـا يستعملونهما فى كلامهم، وليس ذلك من شأن المحبين، ولا هو فى طبعهم، ولا هو من أخلاقهم، وهم منزهون عن المغـالاة والكذب فى حبهم، ودعهم صالحين كـانوا أو طالحين، فلا يحملون فى دعـواهم الحب إلا على الصدق، سيما هذا السيد الذى هو: ابن رشيـد الذى أشرتم إليه، فكلامه أبدا محمول على الصـدق فى كل حـال دون يمـين، فكيف ينـسب له مـا لا يليق يه من

المغالاة والكذب فى حبه - مع كونه أقسم بالله العظيم، وحلف يمينا قال فيها: وتالله لو أن الأسنة أشرعت - البيت، فلا سبيل لدعوى المغالاة والكذب لهذا السيد، إذ لا يليق ذلك به.

وأما الشعراء، فذلك من شأنهم وشنشنتهم ومن أخلاقهم، ويرون أن أحلى الكلام عندهم، وأرقه وأعذبه، أكذبه، فيستميلون بذلك القلوب الخشنة الكثيفة حتى تحن وترق، ويستمطرون بذلك المنح والعطايا فى الأيدى الممسكة، المجبولة على البخل، حتى تبذل العطاء الجزيل، وهذا الباب باب واسع، رحب المجال، وبحر لا ساحل له، والحكايات فى هذا المعنى، لا تنحصر ولا تحصى، ولا تتناهى قضاياهم وأخبارهم فيها ولا تستقصى، وقد أخبرنا مولانا، فى كتابه العزيز فى مغالاة الشعراء وعدم صدقهم فى قولهم وكلامهم، فقال تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)**﴾ [الشعراء]؟ فالمغالاة والتكنية التى ذكر سيدنا، هى من خواص هؤلاء القوم. انتهى.

الحاشية الخامسة، رتبها على قولنا، فخرج من هذا، أن المعترض لم يشم من بيت الواعظ رائحة حظ نفس قائله، وطلب راحتها وبلوغ أملها، ونيل شهوتها. انتهى.

قال - رضى الله عنه فيها: ما نصه:

قلت: قوله رائحة حظ نفس قائله إلى آخره، لا يخفى على من جبله الله - تعالى - على توقير المشايخ وتنزيههم، وتعظيم أقدارهم، ما فى هذه العبارة من خشونة وسماجة الأدب، مع الفاضل أبى الطيب، فليحسن العبارة ويتلطف فى الإشارة، وقد طولتم فى غير محل الطول، وهو مظنة التمشدق

والتنيهق بما لم تمس إليه حاجة، ولا سيما مع عدم الذوق، ومكابدة الشوق، وعدم تقدم المثول بين يدى شيخ ما هو فى الطريقة فتاح، فما أرى خوضى وخوض أمثالى فى هذا المقام الشريف، العزيز الوجود، الصعب المنال، إلا محض تطفل وتعالج ما تيسر فى المقدور، وتشبع بما لا يملك. أستغفر الله، أستغفر الله. انتهت؟

قلت فى الجواب عنها، ما نصه: هذه اللفظة، التى شنعها سيدنا، وعظم أمرها، ونسبنا فيها إلى الخشونة والسماجة، وسوء الأدب، هى عند المحققين لفظة مشتركة على وجهين، وجه منها محرم بإجماع لا يليق أن يتصف به المشايخ والوعاظ، وأهل الفضل من أهل العلم والخير، ووجه آخر، قد يجوز ذلك فى حقهم، وليس فى حقهم بمحرم، وغايته الإخلال ببعض الكلمات، فالوجه الأول المحرم كثيرا ما يتعاطاه عوام الناس فيما بينهم، فيصفون من توفرت فيه أسباب الكبر والعجب، أو بعضها من علم أو مال أو جاه أو جمال، أو شدة أو شجاعة أو فصاحة، أو صوت حسن، أو ما أشبه ذلك، فيقولون فلان يرى لنفسه حظا، ويعنون بذلك تكبره عليهم، وعلى أقرانه وأبناء جنسه، وهذا الوجه، نحن وسيدنا - متفقون على قباحته وسماجته وخشونته - كما قال، ولم أقصد أنا لهذا الوجه، ولم أعنه، ولم يخطر لى قط ببال، ولا فى كلامنا ما يدل عليه، والذى قصدته وعنيته، وانصب كلامنا وتوجه إليه، ما يتعاطاه أئمة الخير والصوفية كثيرا، وأصحاب الأحوال، وقد ملئوا بذلك دواينهم وكتبهم، فالمنقطعون منهم إلى الله تعالى الزاهدون فى الدنيا، لا يشاهدون فى تصرفهم غير الله تعالى، ولا يؤثرون على أنفسهم سواه، فإذا وقعت من بعضهم غفلة وميل لحظ نفس من اتباع

شهوتها، ونيل غرض من أغراضها، أدبهم على ذلك، فبعضهم يؤدبه بالضرب الوجيع ظهرا وبطنا، وبعضهم بالحجب عن مقامه الذى هو فيه، أو مقام توجه إليه، وبعضهم بحرمان الطاعة أو بالفتور عنها، وبعضهم بقطع شراك نعله فى ذهابه إلى المسجد، وكلهم يطلعهم الله تعالى - على تلك العقوبة، ويفهمه ذلك الأدب - رحمة منه - سبحانه ولطفا، كل على قدر مقامه، وما يستوجبه من الله - تعالى.

ذكر الأستاذ القشيرى - رضى الله تعالى عنه - أن رجلا من الزهاد، كان يشتهى الخبز والعدس زمانا طويلا، فكان يمنع نفسه، ويجاهدها فى ذلك، فاتفق أن وجده يوما فأكله، فلما فرغ من أكله، ونالت نفسه حظها وشهوتها منه، أبصر فى حانوت بقال قوارير من زجاج - وفيها خل، فظن أنها خمر، فقال: منكر وجب على تغييره، ففتح الحانوت، وأخذ تلك القوارير يصبها دنا دنا فى الأرض، فجاء صاحب الحانوت، وحمله إلى الحاكم، فضربه مائتى خشبة، وطرحه فى السجن، فلما قدم الأستاذ - وأظنه أبا عثمان - فسأل عنه، فقيل له: هو فى السجن، فلما دخل عليه، قال له: ما هذا؟ قال له: شبعة خبز وعدس، وجلد مائتى خشبة، وسجن أربعة أشهر، فقال له: نجوت مجانا، حيث كان ذلك على سطح بدنك، ولم يكن فى باطنك، فشفعه إلى الحاكم وأطلقه، وحسبك تأييدا لهذا الباب الواسع، الذى لا تحصى قضاياه، ولا تنضبط آدابه، ولا تتبع مزاياه، قضية آدم عليه السلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩)**﴾ [طه]. فلما نسى - عليه السلام - هذا الوعد لما سبق فى سابق علمه، مد يده إلى رغبته، ومال إلى حظ نفسه وشهوته، فلقى ما لقى

(١) الذى فى المطبوع: «ونالت نفسها».

من مفارقة الجنان، والوقوع فى الهموم والأحزان، وفى القضية طول واعتبار، ولمتأمليها زيادة إيمان واستبصار.

قال بعض العلمـاء: والله ما أهبط الله سبـحانه آدم من الجنة لينقـصه، وإنما أهبطه منها ليكمله، فإذا تقرر هذا، وعلم منه صـدقنا فيما أشرنا إليه من حظ النفس، وتفـسيـره على مذهب القـوم - رضى الله تعالى عنهم ونفـعنا ببركاتهم - ظهرت براءتنا فيما نسبنا إليـه سيدنا من الخشونة والسماجة وسوء الأدب، وأمره بتبديل العبارة، والتلطف فى الإشارة، ولكن كل واحد يجازيه الله تعالـى على قدر نيـته، و﴿... كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ... ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء]. وقول سيدنا: وقد طولتم فى غـير محل الطول، جوابه أن هذا الكلام، وهذه العبارات، وهذه الأفهام - وهى فضل الله العظيم، وفضله - سبحانه - يؤتيه من يشـاء كيف يشـاء، والناس أبدا مخـتلفـون ومتـفارقـون فى هذا المعنى، ويستحيل أن يكونوا كلهم على طبع واحد، أو خلق واحدة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ... ﴿٢﴾﴾ [الإنسان]، وقد جعل الله سبـحانه هذا العلم، أمانة عند صاحبه، وعـرض سبحانه تلك ﴿... الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ... ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب] كل ظلوم وجهول منا، فـإذا علم صاحب هذه الأمانة، أنه لا يحصل إفهامه بإلقائه العلم، أو كتـبه أو بيانه، إلا بمقدار يعلمه، وكتم منه شيئا كـان كاتما للعلم، خائنا له، مسئـولا عنه، حيث لم يبلغ ما لا يشك أنه يصل إلى أفهام السامعين، أو الناظرين المتـأملين، فكيف يعيب سيدنا علينا ما نحن مسئـولون عنه، وهو موكول إلى نظرنا وأمانتنا، فإن قـصرنا عن يقيننا، كنا غاشين خائنين.

ولقائل أن يقول: الحواشى أبدا هى محل الاختصار، والإشارة فيها بأدنى شىء يكتفى به، مع أنكم تخاطبون فيها من تظنون أنه يفهم إشارتكم، فلم طولتم ذلك الطول؟ وقول سيدنا أيضا: وهى مظنة التمشدق والتفيهق - إلى آخر تلك الجملة، جوابه أن التعليل بالمظان عند علمائنا - رضى الله عنهم، كاف فى الأحكام، سواء وجدت تلك العلة أو لم توجد، فمن أين علمتم أن قصدنا إنما توجه للتمشدق والتفيهق، فالقلوب لا سبيل لكم إلى تشريحها وانشقاقها - حتى تعلموا ما فيها، فلم يبق إلا سوء ظن، و﴿... إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ... (١٢)﴾ [الحجرات]، وأنتم قد أنزلكم الله - سبحانه - منزلة شريفة، وأحلكم محلة منيفة، فكونوا حيث أنزلكم، ولا تفتحوا هذا الباب المغلق الذى سده الله - سبحانه - ورسوله على المسلمين، فتكونوا أنتم فاتحين له، فتنحطوا عن منزلتكم بفتحه، وتصيروا منهيين بعد أن كنتم ناهين.

الحاشية السادسة فيها طول، ورتبها سيدنا على كلام المعترض - وكلام المعترض فيه أيضا طول، وإذا اختصرنا، أخللنا ببعض معانيه، فنذكر محل الحاجة من الحاشية، وجوابنا عليه - إن شاء الله تعالى.

قال رضى الله تعالى عنه: وحكى بعض الأكابر - إجماع الأمة على أفضلية ليلة القدر على يوم الجمعة، وعلى يوم عرفة فما حيلتك أيضا فى رد هذا الإجماع وإنكاره؟ انتهى.

قلت: هذا خطاب من سيدنا المعترض - كما قدمنا، وجوابه أن المعترض يقول بلسان حاله: نحن نقول فى إجماعكم بالموجب، وندعى أن الليل غير النهار، فلا يتم احتجاجكم علينا، ولا يتوجه إلا لما كان من جنس المجمع عليه، كليلة عرفة، وليلة الجمعة، وليلة النصف من شعبان، وليلة

الفطر والأضحى، ونحن لا نقول فأفضلية هذه الليالى على ليلة القدر، والذى قلناه وكتبناه بخطنا، إجماع الأمة على أفضلية يوم الجمعة، فلا يحسن احتجاجكم علينا، إلا لو نقلتم الإجماع على أفضلية يوم عرفة، أو يوم عاشوراء، أو غيرهما من الأيام - مما هو من جنس ما ادعينا نحن فيه الإجماع، وهى الأيام لا الليالى، وبتمام الكلام على هذه الحاشية، تم[1] الكلام على جميعها، ونسأل الله العظيم بجاه سيد الخلق، أن يسامحنا بما قلنا، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، ولا يلطم به وجوهنا وبطوننا وظهورنا، وأن يختم لجميعنا بالحسنى، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد، خاتم النبيين، وسلم كثيرا، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

قال جامع هذا عبيد الله أحمد بن محمد المقرى - وفقه الله: هذا آخر ما وجدت من كلام هذا الرجل، وأوردته بطوله - لأنه لا يخلو من فائدة، على أن فى بعض كلامه للنظر مجالا، وخصوصا ما نذكره فى شأن آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فإن النفوس تنفر منه، وقد حذر العلماء من مثله، والأعمال بالنيات.

ولنرجع إلى ما كنا بسبيله من نظم القاضى عياض - رحمه الله، فنقول من نظمه - رحمه الله، قوله:

إذا ما نشرت بساط انبساط

فعنه - فديتك - فاطو المزاح

فإن المزاح قد حكاه

أولو العلم قبل عن العلم زاحا

(١) فى المطبوع: «ثُم».

obeikandi.com

ومنه قوله:

لك الخير عندى لهذا البعاد فعقل يهيم وقلب يراع
يعز علينا تنائى الديار وذاك سلامك لى والوداع
لكم أمل كان لى فى اللقاء وأمنية قد طواها الزماع
فلم أجن منها سوى حسرة فوجد جميع وأنس شاع
لئن حمل القلب ما لا يطاق فما كلف الجفن لا يستطاع

ومن ذلك قوله - رحمه الله ورضى عنه - وقد أنشدناه غير واحد من أشياخنا، بسندهم إلى الإمام الرحال، أبى عبد الله بن جابر الوادى آشى، عن القاضى أبى العباس بن الغماز، عن الخطيب أبى الربيع بن سالم، قال: أنشدنى القاضى أبو عبد الله بن زرقون، قال. أنشدنا القاضى أبو الفضل عياض، فى خامات زرع يتخللها (شقائق) نعمان هبت عليه الريح:

انظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

قال: وحسبك بهذين البيتين، دليلا على سبقه وشاهدى عدل لمفضله بسبقه - أقول لنا: وقد أطبق الناس على استحسان هذين البيتين، مع ما فيهما من التضمين، على رأى - حسبما نبه على ذلك بعض المتأخرين ممن شرح الشفاء وقال الحافظ أبو الربيع ابن سالم: أنشدنا أبو عبد الله بن زرقون، قال: أنشدنى القاضى أبو الفضل عياض لنفسه:

يا من تحمل عنى غير مكترث
لكنه لضنى والسقم أوصى بى

تركـتنى مسـتـهام القلب ذا حـرق

أخـــا هوى وتبـــاريح وأوصـــاب

أراقب النجم فى جنح الدجى سـهرا

كـأننـى راصـد للنجـم أو صـابى

ومـا وجـدت لذيذ الـنوم بعـدكم

إلا جنى حنظل فى الطعم أو صـاب

قال أبو زيد بن القـصير فى كـتابه الذى ألفه فـى مناقب من أدركه من أعيان عـصره، وقد ذكر أبا الفضل عيـاض، فقال فيه بعد كـلام: ومن شعره عند صدره من قـرطبة بعد تقـييده مـا قيد بها مـن الروايات، وطلب بها من العلم ما طلب، وقد تنفس مودعه بزفرات الفراق، وأراق كل واحد منهم من الدمع للبين ما أراق:

أقـول وقـد جـد ارتحـالى لطيـتى

وزفت على وشك الفـراق ركائبى[1]

وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتى

وصـارت هواء من فـؤادى ترائبى

ولم تبق إلا وقـفـة يسـتـحـثـهـا

وداعى للأحـبـاب لا لـلحـبـائب

(١) قلائد العقيان، ص ٦٨٩.

رعى الله جيـرانا بقـرطبـة العلى

وسقى ربـاها بالعهاد الـسواكب[1]

وحـيى زمـــانا بينهم قـد ألـفـتـه

طليق المحـيى، مسـتلان الجـوانب

أإخـوانـنا بالله فـيـــهـا تـذكـروا

مـعـاهد جار، أو مـودة صـاحب

غدوت بهـم من برهم واحتفـائهم

كـــأنى فـى أهلى وبيـن أقـــاربى

وقال الـشيخ مـحمد بـن البرذعى - رحـمه الله: كان شـيخنـا الإمام العلامـة، أبو عبد الله بن رشـيد شديد البـحث عن تمام هذه الأبيات السبـعة المذكورة، وقال لنا: لم أقف عليها، ولا وجدت من ذكرها، أو كلاما هو من هذا المعنى، فاتفق أن وجدها صاحبنا أبو محمد البسيلى، فى الكتاب المعروف بقلائد العقبان. انتهى.

ومن نظمه - رحمه الله - يعتذر لمرض عرض له:

عسى تعـرف العلياء ذنبى إلى الدهر

فأبدى له جهـد اعترافى أو عذرى[2]

(١) فى الأصل: «الصوائب» والمثبت رواية قلائد العقيان.

(٢) قلائد العقيان، ص ٦٨٧.

obeikandl.com

فـقـد حـال مـا بيـنى وبين أحـبـة
ألفـــتـهـم ألف الخـمـــائل للـقطر
هم أودعـــوا قلبى تبـــاريح لوعـــة
فنأيـهم أذكى وأنكى مـن الجـــمـــر
على أن لـى سلوى بأن فـــراقـــهم
وإن طال لم يمـزج بصد ولا هجـر
سـأفـــرغ للريح الشـــمـال لـعلنى
أُحَـمِّلُهَا شـوقا تَلَجْلَجُ فى صـدرى
تبـلغ منـهـــا للـوزير تحـــيـــة
مـــعطرة الأرجـــاء دائمـــة النشـــر
تظلـله من حـــر كل هجـــيـــرة
وتؤنسـه فى وحـشـة الـبلد القـفـر
وتنـبـــئـــه أنى أكن صـــبـــابة
بحسن بـدا فى غير شـعر ولا شـعر
أهز بهـــا عطفى من غـيـــر نشـوة
وأرخى بهـا ذيلا من التـيـه والكبـر
وأنى أشـــدو فى النوادى[1] بذكـره
كما شـدت الورقاء فى الغض القطر

(١) فى المطبوع: «النواحى» والمثبت رواية قلائد العقيان.

obeikandl.com

أجل وعساها أن تبلغ مهجتى

فأبلى بها عذرى وأقضى بها نذرى

ومن نظمه – رحمه الله:

لإتيان مال مال كل مؤمل ولكنها سبل صعاب المسالك

كذلك جنات النعيم ودونها صراط وكم ناج هناك وهالك

ومن نظمه – رحمه الله:

أترانى وما عسى أن ترانى آخذا مرة أمان الزمان

سلبتنى صروفه كل علق من شباب وصاحب وأمان

كلما حزت يغيتى بفلان علقت كفه بذاك الفلان

عمرك الله هل سمعت بحى لم ترعهم روائح الحدثان

كل يوم طليعة لفراق ومن العجب أن ترى للتدانى

فاسأل الشعريين عنها وحسبى شاهدا ما تقوله الشعريان

ودع الفرقدين إن جهلاها فستدهى بأمرها الفرقدان

وله أيضا:

يا خليلى فاحملا بعض قولى للتى غادرت فؤادى عليلا

بلغا عنى الثريا سلاما واذكرانى لها وقولا جميلا

خلت أنى ملكتها وإذا بى فى يديها تخيلا مستحيلا

لست أنسى وكيف لى أن أنسى حين ألقى الدجى عليها السدولا

obeikandl.com

هل إلى نـظرة سـبـيـل فـإنى لست أبغـى إلا إليـهـا سـبـيـلا

وله يخاطب الفتح صاحب القلائد عن كتابين كتبهما له معاتبا:

أبا النصر إن شـدوا رحالك للنوى

فإن جميل الصـبر عنك بها شدوا(١)

وإن يتركـوا قلبى مـقيمـا ويرحلوا

فماذا ترى فى مهـجة معكم تغدو؟

وقال أيضا:

ليهن العلى إن زفت الشمس للبدر

وحلى جـيـد الملـك بالأنجم الزهر

وقـرت عـيـون المجـد أيـة قـرة

بيـوم تعـالى أن يكـون من الدهر

لدن ساعـة أفضت إلى كل بغـسة

كمـا اعتلق الغـواص بالدرة البكر

قـران كلا السـعدييـن فيـه تلاقيـا

كما يلتقى فى المقلة الشـفر بالشفر

لتـجـر المنى فى حلبـتـيه مـغـذة

فحق لـها فى مثـل ذلك أن تجرى

(١) قلائد العقيان، ص ٦٨٥.

obeikandi.com

بسعد أمير المؤمنين تطلعت

أساريره تندى بمائية البشر

نهناه نجل الملك حظا ممتعا

بعز إلى عز، وقدر إلى قدر

تمن بها الأيام ثم ترودها

على بدئها ما فيه من كرم البر

وقال أيضا - رحمه الله:

سمح الزمان بليلة غراء جامعة السرور

أجنت أكف جناتها قطف الأمانى والحبور

ما فض طين ختامها فيما تقدم من دهور

دارت على فلك السعو د بمثل أشباه البدور

من كل ما ملأت مها بته العيون أو الصدور

ما إن ترى إلا أمي ـرا حازا إرثا عن أمير

تخذوا القلوب أسرة وثووا بها عوض السرير

فعليهم وقف العلا ء وإن تدوولت الأمور

وقال أبو الحسن بن شاكر الشقورى: أنشدنى القاضى عياض لنفسه:

ولله قوم كلما جئت زائرا

وجدت نفوسا كلها ملئت حلما

obeikandl.com

إذا اجـتمـعوا جـاءوا بكل فضـيلة

ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

أولئك مثل الطـيب، كل له شذى

وأجـمـه أذكى أريـجـا شـمـا[1]

قلت: كـذا ذكر غـير واحـد من الشقـورى، وفى ذلك - عندى نظر، يتـبين بما تراه الآن، وذلك أن ابن خـاتمة، ذكـر فى مزية أَلْمـرية فى ترجمـة الإمام أبى القاسم بن ورد ما نصه: وحـكى أبو عمر بن عات قال: رأيت أن أبا بكر بن العربى، حدث أبا القاسم بن ورد، أن أبا حامد كان ينشد فى آخر مجلسه:

إذا اجـتمـعوا جـاءوا بكل فضـيلة

ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

فوصله أبو القاسم بن ورد ببيتين، أحدهما قبله - وهما:

ولله قـوم كـلمـا جـئت زائرا وجدت شخوصا كلمـا ملئت فهما

أولئك مـثل الطـيب كل له شـذى وأجـمـعه أذكى أريـجا إذا شـمـا

قال ابن العربى: أريجا لغة أهل خـراسان. قال ابن خاتمة: وقد أنهيت هذه الأبيات إلى خمسة، أنشدنى صاحبنا، الفقيه العدل، المشارك أبو عبد الله

(١) فى المطبوع: «ومجمـوعه يزداد ريجا إذا شما» ولا يستـقيم به الوزن والمعنى، والبيت من الطويل، وأثبتنا البيت الآتى بعد وهو تكرار لهذا البيت وذلك لصحة وزنه ومعناه. وجاء بهـامش المطبـوع: «ريجـا: ن: أريجا: ل وهـو الصواب إذ لا يعم «ريـج» عندنا بمعنى «أريج».

محمد بن محمد بن الحاج الأنصارى، قال: أنشدنى الشيخ المدرس، الحاج الرحال: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الرباطى التازى، نزيل فاس، أنشدنى تقى الدين بن دقيق العيد:

ولله قوم كلما جئت طارقا

رأيت شخوصا كلها ملئت فهما

إذا اجتمعوا جاءوا بكل طريفة

ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

تساقوا كئوس العلم روضة التقى

فكلكم من ذلك الرى لا يظما

نفوس على لفظ الجدال قد انطوت

فتبصرها حربا وتعلقا سلما

أولئك مثل الطيب كل له شذى

ومجموعة أذكى أريجا إذا شما

قال الفقيه أبو عبد الله بن الحاج، قال الشيخ أبو عبد الله بن عبد الواحد الرباطى:

وكان شيخنا تقى الدين المذكور، إذا أنشد هذه الأبيات يقول: كانت عسلا بمثلهم، فتعلقمت بمثلنا. انتهى كلام ابن خاتمة - والله أعلم بالصواب.

رجع، قال عياض يخاطب الحافظ أبا طاهر، أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى.

أبا طاهر خذها على البـعد والنوى تحـيـة مـرتاح، لذكـرك شـيق

طوى لك مـا بيـن الضلوع مـودة يشف صـفـاء كـالزلال المروق

يناجـيك بالذكـرى فيـشـفى غليله ويخلص بالود الصـحـيح ويلتـقى

أقـمت عـمـود الدين والأثر الذى سنـاه هدى للـحق كل مـوفق

وطار بك الصـيت البعيـد فلرخت مـآثره مـا بين غـروب ومـشـرق

فـمـا من ثرى إلا بذكـراك عـاطر ولا أفق إلا بـنورك مـشـرق

بقـيت لإسناد الحـديث تقـيـمـه وللعـلم تملى منـه كل مـحـقق

ولا زلت تحوى كل فـضل وسؤدد وتسـمـو بمعـراج الجـلال وترتقى

فأجابه الشيخ أبو طاهر بقوله:

أتـانـى نـظـم الألمـعـى المـونـق يميس اخـتيالا بين غرب ومـشرق

obeikandl.com

فطالعته مستبشرا فوجدته نتيجة فهم فى البلاغة مشرق
وأنشدته الأصحاب بعد تأمل فلم يبق فيهم غير مطر ومطرق
فمطريهم مما رأى من فصاحة بلا كلفة فيها وغير تفيهق
ومطرقهم من حيرة وتعجب ومن دهش قد ناله وتقلق
وحق له هذا المحل علا على جرول فى نظمه والفرزدق
وأضحى فريدا فى الحديث وحفظه وقصر عنه كل فحل ومفلق
وفى الفقه من بعد الذى هو علمه فقد فاق أهل الأفق قول محقق
وفاز بمجد ليس يرجو بلوغه مدى الدهر إلاّ كُلّ أحمق أخرق
توارثه من والد متقدم عن الجد قرم فى الرئاسة معرق
أبا الفضل خذ بالفضل فيما بعثته وطالعه ثم انبذه عنك وشقق
فشعرك در والذى قد نظمته فمخشلب قولا بغير تملق
وإلا كمثل الأتحمى متانة
وما صغته فى الوهن مثل الخدرنق
وثق بوداد لا يزال مجددا يزيد على مر الزمان ويرتقى
ودرس لما قد حزته وحويته وغرس لغصن من ولائك مورق
فنحن وإن لم يقض يا قاض بيننا
لقاء فبالأرواح ندنو ونلتقى
وجل اعتماد المرء فى الود إنما
عليه لما فى ضمنه من توثق

فـلا زلت تبـقى فى النعـيم وظله

على وفق مـا تهوى وعـز محـقق

وتلقى الذى عـادى عـلاك معـذبا

بطـرد وتشـــريـد وطول تفـــرق

فما إن يعادى عصبة الدين والهدى

سـوى مارق، أو ملحـد متـزندق

ومما اشتـهر من كلامـه – رحمه الله – على طريق التـورية يصف غداة باردة:

كـأن كـانون أهدى مـن مـلابسـه

لشـــهـر تمـوز أنواعـا مـن الحلل

أو الغـزالة من طول المدى خـرفت

فـمـا تفـرق بين الجـدى والحـمل

ومن نظمه ما افتتح به رسالة هى مذكورة فى نثره من هذا الكتاب:

قل للأماجـد – والحديث شـجون مـا ضر إن شـاب الوقـار مجـون

ولئن غـــدوت من العلـوم بموضع تومى إلـيـه أصـــابع وعـــيـــون

فلـدى للآداب نفـس صـــبـــة فـيـهـا إلى مـلح الظروف ركـون

كنا افـــتـرقـنا عند دعـــوى خطة سـاءت بها فـيـما فـهـمت ظنون

فـأتيـت بالبـرهان فـيـهـا نـيـرا وعـدت عـواد بعـــد ذا وشـئـون

وبعـــثت حـــينئـــذ ليـعـلم أننى عـــيـن الزمـــان وســـره المـكنون

obeikandl.com

وله - رحمه الله فى الطريق الغزلى والنسيب:

يا راحلين وبالفؤاد تحملوا أترى لكم قبل الممات قفول
أما الفؤاد فعندكم أنباؤه ولواعج تنتابه وغليل
أترى لكم علم بمنتزح الكرى عن جفن صب ليله موصول
أودى بعزمه صبره ولبابه طرف أحم ومبسم مصقول
ما ضركم وأضنكم بتحية يحيى بها عند الوداع قتيل
إن البخيل بلحظة أو لفظة أو عطفة أو وقفة لبخيل

وقال رحمه الله:

الله يعلم أنى منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم فإن بعدكم عنى جنا حينى

وقال رحمه الله:

أذات الخل كم ذا تنتضيها على سيوف عينيك انتضاء
بمطلك لى مواد أقتضيها من التورید واللعس اقتضاء
فقضى وعد مطلك وانجزيه خيار الناس أحسنهم قضاء

تذكرت هنا ما كتب به الشيخ الشهاب ابن حجر العسقلانى، إلى الإمام بدر الدين بن أبى بكر الدمامينى، يهنئه بدخول العام، ونص ما - للدمامينى[1] فى حاشية شرح البخارى، وذكرت هنا أن الحافظ العلامة، شهاب الدين بن حجر - نفع الله بعلومه، كتب إلى بالإسكندرية فى أول عام

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «للدينامى».

obeikandl.com

ثمان وتسعين وسبعمائة رقعة، يهنئ فيها بالعام المذكور، ونصها ومن خطه نقلت - لله الحمد - فى سائر الأحوال:

أيا بدرا سما فضلا وأرضى رعيته، وفى الظلما أضاء
ويا قاضى القضاة ومرتضاها وأحسنها لما يقضى أداء
تهن العام أقبل فى سرور وأبدى للهناء بكم هناء
روى وأشار مقتبسا إليكم خيار الناس أحسنهم قضاء

ثم قال الدمامينى: فانظر إلى هذا الاقتباس الذى أشرق ضياؤه، واستمد من هذه المشكاة الشريفة فبهر سناه وسناؤه، لله دره من شهاب، ثاقب الفهم، وفاضل ضرب فى أغراض المعانى بأوفر سهم. انتهى.

رجع، ومن مشهور نظم القاضى عياض - رضى الله عنه - قصيدته الفريدة التى نظمها على سور القرآن فى مدح سيد ولد عدنان - ﷺ، ولها بركة عظيمة، وحق لها ذلك، ورأيت لبعض المحققين نسبتها إلى غيره، ويدل عليه عدم ذكر جماعة ممن جمع نظمه لها فالله أعلم بصحة نسبتها إليه، ثم تحققت أنها ليست له، وإنما هى للشمس بن جابر - حسبما ذكره فى شرح البديعية فى الكلام على التورية، ولنذكرها وإن لم تكن له تماما للفائدة، وهى:

فى كل فاتحة للقول معتبره
حق الثناء على المعبوث بالبقره[1]

(١) نفح الطيب ج٧ ص ٣٢٤.

فى آل عـمران قـدمـا شاع مـبـعثـه

رجالـهم والنساء اسـتوضـحوا خـبره

من[1] مـد للناس من نعـماه مـائدة

عمت فليـست على الأنعام مقتـصره

أعراف نعـماه[2] ما حل الرجـاء بها

إلا وأنفـال ذاك[3] الجـود مـبـتـدره

به تـوسل إذ نـادى بتـــــوبتـــــه

فى البـحر يونس والظلمـاء معـتكره

هود ويـوسف كم خـــــوف به مـنا

ولن يروع صـوت الـرعـد من ذكـره

مـضمـون دعـوة إبراهيم كـان وفى

بيت الإله وفى الحـجـر التـمس أثره

ذوأمّـــة كـــــدوى النحل ذكـــــرهم

فى كل قطر فـسـبـحـان الذى فطره

بكهف رحـمـــاه قـد لاذ الورى وبه

بشرى ابن مـريم فى الإنجيل مشتـهره

---

(١) فى المطبوع: «قد» والمثبت رواية نفح الطيب.

(٢) فى المطبوع: «رحماه» والمثبت رواية نفح الطيب.

(٣) فى المطبوع: «ذلك» ولا يستقيم به الوزن والبيت من البسيط.

obeikandl.com

سـمـاه طه، وحض الأنـبـيـاء على

حج المكـان الذى من أجله عـــمـــره

قـد أفلح الناس بالنور الذى شهـدوا

من نور فـــرقـــانه لما جـــلا غـــرره

أكـابر الشعـراء اللسن قـد خرسـوا

كـالنمل إذ سـمـــعت آذانهم سـوره

وحـسـبـه قـصص للعنكبـوت أتى

إذ حـاك نسـجـا بباب الـغار سـتـره

فى الروم قـد شـاع قدمـا أمـره وبه

لقـــمـــان وفق لـلدر الذى نثـــره

كم سجدة فى طلى الأحزاب قد سجدت

ســيـــوفـــه فـــأراهم ربه عـــبـــره

سـباهـم فاطر السـبع العلـى كرمـا

لمن بيـاسـين بين الرسل قـد شـهـره

فى الحرب قد صنفت الأملاك تنصره

فـصـاد جمع الأعـادى هازمـا زمـره

لغـافـر الذنب فـى تفـضـيله سـور

قد فـصلت لمعان غـير مـختـصره[1]

(١) كذا فى النفح ج٧ ص ٣٢٤ والذى فى المطبوع: «منحصره».

obeikandl.com

شـوراه أن تهجـر الدنيـا فزخـرفهـا

مثل الدخـان فيعـشى عين من نظره

عـزت شريعـته البـيـضاء حـين أتى

أحـقـاف بدر وجند الله قد حـضـره

فـجاء بـعد القـتـال الفـتح مـتصـلا

وأصبـحت حجـرات الدين منتـصره

بقـــاف والذاريات الله أقـــسم فى

أن الذى قـــاله حق كـــمـــا ذكـــره

فى الطور أبصـر مـوسى نجم سـؤدده

والأفق قـد شق إجـــلالا له قـمـره

أسـرى، فنال من الـرحـمن واقـعـة

فى القـرب ثبت فـيـهـا ربه بصـره

أراه أشـيـاء لا يقـــوى الحـديد لهـا

وفى مـجـادلة الـكفـار قـد نصـره

فى الحشر يوم امتحان الخلق يقبل فى

صـف من الـرسـل كـل تابـع أثـره

كف يســـبح لله الحـــصـــاة بـهـــا

فـاقـبلْ إذا جـاءك الحق الذى قـدره

obeikandl.com

قـد أبصـرت عنده الدنـيـا تغـابنهـا

نالت طلاقـا ولم يصـرف لهـا نظره

تحـريـمـه الحب للدنيـــا ورغـبـــتـه

عن زهرة الملـك حق عندمـــا ذكـره

فى نون قـد حققـت الأمداح فيـه بما

أثنـى به الله إذ أبدى لنـا ســيـــره

بجـــاهه ســال نوح فى ســفـينـتـه

حسن النجـاة وموج البحر قـد غمره

وقـالت الجن جـاء الحـق فـاتبـعـوا

مــزمـــلا تـابعـــا للحـق لن يذره

مـدثرا شـافـعـا يـوم القـيـامـة هل

أتى نـبىء لـه هذا العـلى ذخـــــره

فى المرسـلات من الكـتب انجلى نبـأ

عن بعـثه سـائر الأخـبار قـد سطره

ألطافه النازعـات الضيم حـسبك فى

يوم به عـــبس العـــاصى لما ذعـــره

إذ كورت شـمس ذاك اليوم وانفطرت

ســمـــاؤه ودعت ويل به الفـــجـره

obeikandl.com

وللسماء انشقاق والبروج خلت

من طارق الشهب والأملاك منتشره

فسبح اسم الذى فى الخلق شفعه

وهل أتاك حديث الحوض إذ نهره

كالفجر فى البلد المحروس غرته

والشمس من نوره الوضاح مستتره[1]

والليل مثل الضحى إذ لاح فيه ألم

نشرح لك القول فى أخباره العطره

ولو دعا التين والزيتون لابتدرا

إليه فى الحين واقرأ تستبن خبره

فى ليلة القدر كم قد حاز من شرف

فى الفخر لم يكن الإنسان قد قدره

كم زلزلت بالجياد العاديات له

أرض بقارعة التخويف منتشره

له تكاثر آيات قد اشتهرت

فى كل عصر، فويل للذى كفره

ألم تر الشمس تصديقا له حبست

على قريش، وجاء الروح إذ أمره

(١) هذا المثبت فى نفح الطيب وهو أولى، والذى فى المطبوع: «مختصره».

obeikandl.com

أرأيت أن إلـه العـــرش كـــرمـــه

بكوثر مـــرسل فى حـوضـــه نهـره

والكافـــرون إذ جـــاء الورى طردوا

عن حـوضـه فلقـد تبت يدا الكفـره

إخـلاص أمـداحـه شغـلى فكم فلق

للصبح أسمـعت فيه الناس مفـتخره

أزكى صـلاتى على الهـادى وعتـرته

وصـحبـه وخصـوصـا منهم عشـره

صـديقهم عـمـر الفـاروق أحزمـهم

عـثـمـان ثم على، مـهلك الكفـره

سـعـد سـعـيـد زبـيـر طلحـة وأبو

عـبيـدة وابن عوف عـاشـر العشـره

وحـــمـــزة ثم عـبـــاس وآلهـــمـــا

وجـعـفـر وعـقـــيل سـادة خـيـره

أولئك الـناس آل المصطفـى وكـــفى

وصـحـبه المـقتـدون السـادة البـرره

وفى خـديجـــة والزهراء ومـا ولدت

أزكى مـديحى سـأهدى دائمـا دره

obeikandl.com

عن كـل أزواجـــه ارضى وأوثـر من

أضحت براءتـها فى الذكر مـشتـهره

أقسمت لا زلت أهديهم شذى مدحى

كـالروض ينثـر من أكـمـامـه زهره

قلت: لم أر من سلك هذا السبيـل، وانتمى فيه إلى خير قـبيل - بعد شدة الفحص والبحث، ولعـمرى أن ما أبداه هذا الناظم من ذلك، لا يجارى ولا يبارى، وإن فى مثـله لحكمة واعتبارا، قـواف فى محلها متـمكنة سهلة، وألفاظ تسلب العـقول من أول وهلة، ومـعانى رائقة، وتوريات فـائقة، وزاد ذلك كله مدح خيـر العالمين عليه الصلاة والسلام، حسن طلاوة، وانـسجاما ورقة وحلاوة، فالله ينفع بالقصد فى ذلك والنية، ويبلغ الجميع غاية الأمنية، غير أنى وقفت على قـصيدة فى مقيداتى لا بأس بها، شـاركت هذه القصيدة فى طرف من نسبـها، وهى من نظم الشـيخ القلقشندى - رحـمه الله، وهأنا أثبـتهـا تكميـلا للغرض، وأداء لحـق المصطفى - ﷺ - الواجب المفتـرض، ونصها[1]:

عـوذت حـبى برب الـناس والفلق

المصطفى المجـتبى الممـدوح بالخُلُقِ

إخلاص وجـدى له والعذر يقلقنى

تبت يـد لعـــذول جـــاء بالـقلق

يهـدى لأمـتـه والنصـر يعـضـده

والكافـــرون وعـذالى عـلى نسق

(١) نفح الطيب ج٧ ص ٣٢٨.

هذا له كـــوثر، والدين شـــرعـتـــه

والمصطـفى من قـــريش ديــن وتقى

ألم تر الماء قـــد ســـحت أصـابعـــه

ويل لكل جـــهـول بالنبـى وشـقى

فى كل عـــصـر ترى آياته كـــثـرت

أضـــحى تكاثرهـا فى ســـائر الأفق

وعند قـارعـــة فـهـو الشـفـــيع لنا

والعـاديات من الأجـــفـان فى طلق

وزلزلت من غـــرامى كل جـــارحـة

وكـل بيـنـة تحـكى لـكـم عـلقـى

يا عـالى القـدر رفـقا مـسنى ضـرر

فـالله قـــد خلق الإنســـان من علق

ولو دعـا الـتـين والزيتـــون جـاء له

والشـرح عنه طويل غـيـر مـخـتلق

يبـدو كشـمس الضـحى والليل طرته

كـالشمس فى بلـد والفجـر فى أفق

أنى بغـــاشـــيـــة لولاك يا أمـلى

أنت الشفـيع إلى الأعلى وخيـر تقى

obeikandl.com

كم طارق منك بـالإحـسـان يطرقنى

مـثل البـروج أتى فى أحـسن الطرق

وفى انشـــقـاق فـؤادى عـــبـرة وبه

ويل من الصـد والأجـفـان فى أرق

والانـفـــطـار بـــه ممـا يـــكـابـــده

والشمس قد كورت فى القلب واحرقى

والصب فـى عـبـس والنازعـــات به

وقـد أتى نـبـأ من دمـعـــه الغـدق

والمرســـلات دمـا الإنسـان جـــارية

إلى القـيامـة من دمعى ومن حـدقى

وبـالمدثـر إنـى مـــــــاسك أبـدا

وبالمـزمل إن ألجـــمت بـالعـــرق

فـالجن والإنس فى خـيـر ببـعـثـتـه

هذا ونـوح به أنجى مـن الغـــــرق

وفى المعـارج مـعراج الرسـول عـلا

حـقـــا وفى حـاقـة كنز لمخـــتـرق

والله مـــــرسله فـى نون بشـــــره

والملك خـــيـــره حـتـى رأى ولقى

obeikandl.com

وجـــاء بالحل والتـــحـريـم أمـتـــه

وبالـطلاق مـن الدنـيـــــا لمـنطـلق

وفى التـــغـــابـن تجـــار به ربحـــوا

إذ المنـافق فى خـــســـر وفى نـفق

يا صـاحب الجـمعـة الغـراء يا أملى

فى الصف عند امتحـانى أختشى زلقى

وأنت فى الحشـر عونى فى مـجادلتى

عـسى تـزيل حـديد النار مـن عنقى

وعند واقـــعـــة إن كـــان لى رمق

فاشـفع إلى ربك الرحمن فـى رمقى

لم أرع يا قـمـرى للنجم فى سـهـر

إلا لعلـك من نار الجـــحـــيـم تقى

قلبى الكـليم غـدا للطور مـــرتقـبـا

ودر دمـــعى بدا بالـذاريات ســـقى

وقـاف يعجـز عن حمل الغـرام بكم

وليس فى حـجرات الوجـد من رفق

إنا فـتـــحنا قـتـالا للعـــذول فـفى

أحـقـاف جـاثيـة فى الغـيظ والحنق

obeikandl.com

دخـان زخرف مـا العـذال فـيه هبـا

شـورای تتـركه فـی أنف محـتـرق

وهم بمن فـصلت فی مـدحـه سـور

نبـيـنا المصطفی الهـــادی إلی الطرق

فـغـافـر الذنب كـم أعطی به زمـرا

وكم ســـقی كـــفـــه صـاد بمـندفق

وليس غـيرك فی الصـافـات أقصـده

وأنت ياسـين لـی من سـائر الفـرق

يا فـاطر، قد سـبا الأحـزاب طلعتـه

كم سجدة لك فی الأسـحار والغسق

لقـمـــان يشـهـد أن الروم تعـــرفـه

والعنكبـوت فقد سـدت علی الغلق

هذا ولی قـصص فالنمل قـد كتـبت

هامت بهـا الشـعرا فی خـده اليـقق

تبـــارك الله مـن النور جـــــمـله

قـــد أفـلح الحج لما زاره فـــــوقی

يأيهـــا الأَنْبِيَـــا[1] طه خـتـــامكم

ويابن مـريم خـذ من مكسـه العـبق

(١) فی المطبوع: «يأيها الأنبياء» ولا يستقيم به الوزن، والبيت من الوسيط.

obeikandl.com

لاذوا بكهف له سبحان خالقه

حتى أتى إلا من بعد الحوف والفرق

فالركن والحجر حقا قد أضاء له

وذاك دعوة إبراهيم ذى الخلق

والله ربى برعب الرعد ينصره

مسير شهر بلا سيف ولا درق

فيوسف مع هود والخليل إذا

ويونس شربوا من كأسه الدهق

لتوبتى أرتجى الأنفال منه غدا

فإننى رجل أضحيت فى قلق

أعراف أنعام أنعام له اشتهرت

وكم لمائدة أسدى لمرتزق

كل النسا لم تلد مثل الرسول إذا

فينا وفى آل عمرن ولم تطق

أعطيت خاتمة من سورة البقره

لم يعطها أحد فيما مضى وبقى

فأنت فاتحة الأَنْبَاء وخاتمهم[1]

وكلهم قد أتوا بالعهود والملق

(١) الذى فى المطبوع: «فاتحة الأنباء» ولا يستقيم به الوزن، والبيت من البسيط.

obeikandl.com

والقلقشندى محب قال سيرته

فى مدح خير الورى الممدوح بالخلق

فاقبل هدية عبد أنت مالكه

وانظر إليه فإن العبد فى قلق

صلى عليك إله العرش ما صدحت

ورقا على فنن والورق فى الورق

انتهت. ثم وقفت على قصيدة أخرى على هذا النمط، سقط من آخرها بيتان، وهى نظم فقيه، ولكن ذكرتها تبركا، ونصها:

بحمد إله العرش أستفتح القولا

وفى آية الكرسى أستمنح الطولا[1]

وفى آل عمران أتى ذكر أحمد

نساؤهم بالعقد قد أنعموا القولا

بأعراف رحماه بأنفال جوده

شرفنا وفضلنا وتبنا إلى المولى

له يونس نادى وهود ويوسف

وذاكره فى الرعد لا يسمع الهولا

ودعوة إبراهيم كان محمد

وفى الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا

(١) نفح الطيب ج٧ ص ٣٣١.

obeikandl.com

له أمـة كـالنحل قـــد صح فـضلهم

فسـبحـان من أسرى بأحـمدنا لـيلا

عـلا فـضله والناس فـى كـهف نيله

ومـريم فى الأخرى يكـون لها بعـلا

وطه، له فـــضـل على الخلق كـلهم

ولكن جـميـع الأنبيـاء عـلا فضـلا

ولولاه مـــا حج المقـــام وكـــعـبـــة

فأفلح من قـد طاف فيهـا ومن حلا

ومـن نـوره الـوهـــاج كـل مـنـور

وفـرقـانه قد أخـمـد الكفـر والبُطْلا

ترى الشـعرا كـالنمل حول مـحمـد

إذا قـصص فى العنكبـوت لهم تتلى

عـلا ديـننا رومـا ولقـــمـان عـــالم

بأن السيـوف أسجـدت كل من ضلا

والاحـزاب يسـبيـهم بحكمـة فـاطر

وياسـين قـد صـفت له الملأ الأعلى

وصـاد جـــمـيع الكافـــرون بزمـرة

لهم غافر فى الحرب قـد فصلت فصلا

obeikandl.com

وشـوراه فى الـدنيـا بهـا كـل زلفـة

وقد زخـرف الكفار فى دينهم جـهلا

لقـد رأوا الـدخـان حـول بيـــوتهم

بجـاثية الأحـقاف قـلا قـتلوا قتـلا

مـــحـــمـــدنا لم يخـلق الله مـــثله

وفى الحـجـــرات فـضله أبـدا يتلى

وقـد أنـزل الجـبـار قـــافـا بـذكـره

كـمـا تـذر الكفـار ريح بهـــا تبلى

بطور سـما والنجـم ما ضـوء أحمـد

كمـا قمر بل نور خـير الورى أجلى

له الله رحـــــمن وفى وقـــعت ترى

حـديدا به الكفـــار يجـدلهم جـدلا

وقـد سـمع الغـفـار دعـوة أحـمـد

بحـشـر ولكن بامـــتـحـان به تتلى

صـففنا بـجمع للأعـادى فـمنهم الْـ

ـمنافـق إن الكفـر فى درك ســفـلا

يرى غـبنـه فى الخـيـر منهـم مطلق

ولكن من يحـرم نعيـما فـقد ضـلا

obeikandl.com

لأحـــمـــد ملك لا يوازيه ســـيـــد

ونون لقـــد قلنـا مـقـــالا به نجـــلا

بحـق لقـــد ســـالت أباطح مـكة

بفـضل له قد كـان نوح به استـعلى

صـحـيح بأن الجن جـاءت لأحـمـد

ومـــزمل كـــان الغـــمـــام له ظلا

لمدثر فـــضل القـــيـــامـــة واضح

أتاه وجـمع المرسلات حـوت سبـلا

وعم بـجـــدواه فـــــلا من مـنازع

فـحـيث تراه لا عـبوسـا ولا بخـلا

لقد كـورت شمس بهـا انفطر السـما

لويل أتى الكفـار وانشق واسـتـولى

ولكن بروج الجـــو تزهو بـأحـمـــد

وفى طارق الأفـلاك فـــضله الأعلى

وغـاشـيـــة كـالفـجـر حـلت ببلدة

بهـا حرم أمـن كشـمس جلت ليـلا

كـأن الضـحى وجـه النبى مـحـمـد

به شـرح الله الحنـيـفـيـة الفـــضلى

obeikandl.com

فـاقـــسم بالتـــين الذى عم نفـــعـه

وبالـقلم الأعلـى لقـــــدر له أعـلى

ألم يكن الكفـار قـد ضل سـعـيـهم

وقـد زلزلوا بالعـاديـات كـمـا يتلى

وقـــارعـة جلت وألـهـاهم الهـــوى

ووالعـصـــر إن الويل يقـــربهم نزلا

ألم تـر أن الله فـــضـل أحـــمـــــدا

لا من قريش حـيثـما سلكوا السـبلا

أرأيت بأن الكـوثر العـذب خـــصـه

به جـمـيع الكـفـر لن يردوا أصـلا

لقـد نصـر الرحـمن ربى مـحـمـدا

فـأردى أبا لهب وم يـكتـسب نيـلا

فـــيـا أحـــد أنى بفـــضلك عـــائذ

إذا غـسق الديجـور ناديت يا مـولى

انتهى ما ألفيته، وقلت مكملا ما سقط منها[1]:

ويا مـــالـكا للناس عـــــبـــدك لائذ

بعفوك فاغفر مـا جنى عمدا أو جهلا

ويارب عـــــــاملـنى بمـا أنت أهـله

من الجود والرحمى وإن لم أكن أهلا

(١) نفح الطيب ج٧ ص ٣٣٢.

opeikandl.com

وصل على مسك الختام محمدا

أتم صلاة تملأ الحزن والسهلا

ولنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول: ومن نظم الإمام عياض ما أنشده الإمام ابن رشد، قال:

أنشدنى أبو عبد الله محمد بن مسعود بن الحسن التادلى الفقيه – للقاضى عياض – رحمه الله تعالى، وقالها حين ولى القضاء بمدينة داي ببلاد تدلا، سنة واحد وأربعين وخمسمائة:

أقمرية الأدواح بالله طارحى

أخا شجن بالنوح أو بغناء

فقد أرقتنى من هديلك رنة

تهيج من شوقى ومن برحائى

لعلك مثلى يا حمام فإننى

غريب بداى قد بليت بداء

فكم من فلاة بين داي وسبتة

وخرق بعيد الخافقين قواء

تصفق فيه للرياح خوافق

كما ضعضعتنى زفرة الصعداء

يذكرنى سح المياه بأرضها

دموعا أريقت يوم بنت ورائى

obeikandl.com

ويعجبنى فى سهلها وحزونها

خمائل أشجار ترف لرائى

لعل الذى كان التفرق حكمه

سيجمع منا الشمل بعد تناء

ومن ذلك قوله - رحمه الله:

يا طالب العلم استمع قول امرئ محض النصيحة للمريد الراغب

العلم فى أصلين لا يعدوهما إلا المضل عن الطريق اللاحب

علم الكتاب وعلم الآثار التى قد أسندت عن تابع عن صاحب

جاء بها الإثبات منهم واعتنت بمسانيد ومراسل وغرائب

وقال رحمه الله مما كتبه لبعض أصدقائه:

إذا الأخلاء لم تحمل عيوبهم

ميثاقهم فى البعد أوحالا

فلى بأغمات خل لا أذم له

من الحياة وإن شطت مدى حالا

ومنه ما أنشده بلدينا الإمام البركة العلامة، سيدى أبو عبد الله بن صعد الأنصارى التلمسانى، قال: أنشدنى وأفادنى، شيخنا الإمام الحافظ، أبو عبد الله التنسى للقاضى عياض - رحمه الله:

إليك بؤت بذنبى فاغفر خطايا ربى

وامنن على بلطف تجبر به صدع قلبى

obeikandl.com

فـــقـــد ركـــبت ذنـوبا سـودت مـنهن كـتـبى

وطال تقـصـيـر سـعـيى فى كـل فـــرض وندب

وقـد أسـأت فـأحـسن فلـم تزل مـحـسنـا بى

وجـــئـت أطلـب توبـا إذ ضـاق بالذنـب رحـبى

فـاقـبل بفـضلـك توبى واغـفـر برحـمـاك ذنبى

وعـــافنـى واعف عـنى فـأنـت يارب حـسـبى

انتهى.

ومن نظمه رحمه الله:

أعـوذ بربى من شـر مـا يخـاف من الإنس والجـنة

وأسـأله رحـمـة تقـتـضى عـوارف توصـل بالجـنة

فـمـا لـلخـلائـق من ناره سوى فضل رحـماه من جنة

ولنجـعل هذه القطعة آخـر ما أوردناه مـن نظمه، تفـاؤلا بها وبالتـالى قبلها، وتطارحا على باب الله - أن يسلك بنا طرق رحمته وسبلها، ويقينا من كل محـذور يتقى، ويحشـرنا فى زمرة من خاف مـقام ربه ونهى النفس عن الهوى فسما قدره وارتقى، بجاه سيدنا محمد - ﷺ تسليما.

***

obeikandl.com

٥ - روضة النسرين فى تآليفه العديمة النظير والقرين

أقول: هذه ترجمة نذكر فيها ما كمل من مصنفاته، وما لم يكمل أو تركه فى المبيضة من مؤلفاته، فنقول: وعلى الله أعتمد، ومن بحر عونه أستمد، لا إله غيره، ولا خير إلا خيره - أما ما كمل من تآليفه - رضوان الله عليه - فمنه كتاب الشفا، الذى بلغ فيه الغاية القصوى وكان فيه لضرب الإحسان مرتشفا، وبذ فيه المؤلفين وأربى، وحاز قصب السبق به دونهم وطار صيته شرقا وغربا، وقد لهجت به الخاصة والعامة عجما وعربا، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمن قربا، سمعت غير ما مرة شيخنا الإمام، علم الأعلام، المفتى عمنا سيدى سعيد بن أحمد المقرى - رحمه الله - يقول: ما ألف فى الملة المحمدية، مثل كتاب الشفا - للقاضى عياض، وحرز الأمانى للشيخ أبى القاسم الشاطبى، وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى، وسنذكر منها شيئا فى الباب الثامن - إن شاء الله تعالى، ويرحم الله القائل:

كلهم حاول الدواء ولكن ... ما أتى بالشفاء إلا عياض

ولا يمترى من سمع كلامه العذب السهل المنور، فى وصف النبى - ﷺ، أو وصف إعجاز القرآن، - أن تلك نفحات ربانية، ومنحة صمدانية، خص الله بها هذا الإمام وحلاه بدرها النظيم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة]. حكى غير واحد، منهم: الشيخ الرحال ابن جابر الوادى آشى أن القاضى عياض - رحمه الله - أوقف عليه شيخه القاضى أبا بكر بن العربى - رضوان الله عليه - فقال له: - بارك الله فيك يا أبا الفضل، واستحسنه جدا!

قال ابن جابر: ولما قـرأته على شيخى الإمام العالم، قاضى الجـماعة، الخطيب أبى العباس أحمد بن أحـمد بن الغماز الخزجى - بمنزله من تونس، فى مجـالس آخرها فى رمضان عـام أحد وتسعين وسـتمائة، وكان يحـضره جمـاعة من العلماء الجلة، مـنهم شيخنا أبو مـحمد عـبد الله بن محـمد بن هارون الطائى القـرطبى، وموضـعه عن يسار الشـيخ، فلما بلغـت يوما من الكتاب قول القاضى أبى الفضل:

يا دار خـيـــر المرسليـن ومن به هـدى الأنـام وخـص بـالآيـات

إلى آخرها، وأراها من نظمه، وكان بفراغها ختم المجلس، ودعا الشيخ على عادته، - أدار وجهه لشيخنا أبى محمد بن هارون، وأنشده ارتجالا:

إن الشـفاء شـفـاء للنفوس غـدت هـدى الأنـام وخـص بـالآيـات

ثم قـال له: أجز أبا مـحمـد، فلم يجـبه إذ ذاك، وحـفظت هذه عن ناظمها، فلما كـان فى الغد بعده، وقرأت مجلسا منه وخـتم الشيخ بالدعاء، ناولنى أبو مـحمد بن هارون أبيـاتا نسجـها على روى البـيت الأول ومعناه، وقرأتها - والقوم يسمعون، وهى:

جـازى الله العـيـاضى الإمـام بما

يجـزى به كل من يحـيى به الأثر

أنوار ذكـر الرسول المـصطفى ائتلقت

تجلو الـدياجى منهـا الأنجـم الزهر

شمس الضحى أشرقت من نوره وذكا

من عـرف روض الربى للناشق الزهر

سلك به ازدان جيـد العلم وانتظمت

فـيـه لجـامـعـــة اليـاقـوت والدرر

أروت ظمـاء الورى عن الـغـمـام به

بواكف للـحـيـــا ســـحت به الدرر

جـديدة لـيس يبلى الذكـر مـنه على

مـر الجـديدين تسـتـجلى له صـور

غض يلـذ على الأســـمـاع يمـلؤها

منـه الســـرور إذا تـتلى له ســـور

لله در ذوى الألبـاب قـد عـمـروا الـ

أعـمـــار منه بما قـد بورك العـــمـر

يرددون على الأســـمـاع مـــا قـرأوا

منه فـيـا نعم مـا الدنيـا به عـمـروا

الشعـر شاخ وكل الفكر حـين مضى

عصر الشباب، وشاب الرأس والشعر

تمضى الحـــيـــاة وأبناء الـزمـــان به

فى غفلـة بانصرام العمـر ما شـعروا

أنـا لمن بـشـــــر جـلت ذنـوبهـم

والله يصـفح عـما قـد جنى البـشـر

obeikandl.com

الفـــضل والكرم الجم الـعـمـــيم له

جـاءت به لعـبـيـــد أذنبـوا البـشـر

قال ابن جابر - رحـمه الله - وقيدت من خط الشـيخ الصالح الزاهد، أبى الحسين عبيد الله بن أحمـد بن عبد المجيد الأزدى الرندى، وتوفى ببجاية - رحمه الله تعالى - فى أحـواز التسعين وستمائة على كتـاب الشفاء، وكان نسخة بيده وسط شعبان عام ثمانية وخمسين وستمائة، ما مثاله: وقد قرت - والحمـد لله - عينه بنسخـه وكماله، وثلج فـؤاده لتعلق رجـائه أن يجعله الله تعالى فى صحيفة أعماله، فنسأل الله تعالى أن يجازى مؤلفه خيرا، ويعظم له بما ألفه وانتخبه أجرا، فلقد جرى - رضى الله عنه - فى ميدان أشرف العلوم جرى الســابق، ونظم فى جيـد الزمان سلك المعـارف ودرر الحقـائق، وشفى بكتاب الشفا قلب كل مؤمن صادق، كـما كبت به قلب كل عدو منافق، فإذا طالعه المؤمن اسـتنارت فى باطنه حقـائق أنواره، وإذا جال فى روض معـارفه تنفست له نفحات نسيمه الأريج وتبســمت له مباسم أزهاره، فهو - كما قال القائل تعظيما لمحله الكريم، وتشريفا لحميد آثاره:

كـتـاب الشـفـاء شـــفـاء القلوب قـد ائتلفت شـفـاء شـمس برهانه

إذا طالـع المرء مـــضـــمـــونه رســا فى الهـــدى أصل إيمـــانه

وجـــال بروض التـقـى ناشـقـا روائـــح أزهـــار أفـــنـــانـــه

ونال عـلومـــا ترقـــيـــه فى ثريـا السـناء وكـــيـــوانـه

فـلله در أبـى الفـــــضـل إذ سـرى فـى الورى نيل إحســانه

فـــعـــزر قـــدر نبى الهـــدى وخـيـــر الأنام بتـــبـيـــانه

وجـــازاه ربـى خـيـــــر الجـــزا وجـــــاد علـيـــه بـغـــفـــــرانه

ومنا الـصـــلاة على المجـــتـــبى وأصـــــحـــــابـه ثم أعـــــوانه

مـــدى الدهر لا ينقـــضى دائبـــا ولا يـثنـى طـول أزمـــــــــانـه

وذكر حفيده ابن الفقيـه أبو الحسين، أن الأبيات من نظمه - رحمه الله تعالى ونفعنا به - وفيه أيضا يقول الفقيه المحدث الخطيب، أبو عبد الله محمد ابن عمر بن رشيد:

جـزى الإله عيـاضا بالشـفاء غـدا رياض فـــردوســـه نزلا بـجنتـــه

دواؤه قـد شـفى الأدواء فـهـو له ذخـر يـقـيـه يقـــينا لبس جنـتـه

قال ابن جابر: وكنت قلت فى زمن نسخى له - أبيـاتا أثبتها هنا - نفع الله بالقصد فيها - وهى:

شـفـــاء عـيـــاض للنفـوس الأبـيـة

دواء سنـاه وهو أســـمـى وســـيـلة

به أشـرق الإصـبـاح واتضح الهـدى

بـرغم أنـوف للـطـغـــــاة وذلـة

له الله من حـــــبـــر إمـــام وعـــالم

غـدا فـيـه يهـدى الخلق لـكن لسنة

ولما رأى الأهـواء زاد امـــتـــدادها

وجـاء بنـوها بالضـلال وشـبـــهـة

obeikandl.com

نضا صـارم الإسلام فى نحر كـيدهم

وقـال لهم: بالله حـــسـبى وعـدتى

أبان الذى يعـتـاص صـدقا بحـجـة

أنت تجتلى كـالشمس وسط الظهـيرة

له فى بـلاد الله نور مـــشـــعـــشع

ومطـلع ذاك أرجـاء ســـبـتـــه

ولاعـجـب للغـرب قـــد خص ربنا

به الفـضل بل فى الشرق مطلع فـتنة

جـــزى الله ربى روحـه الـناعم الذى

توارى غـريبا خـيـر أعضـاء مـيتـة

وآتاه مما قـــد أعـــد لمـن قـــضى

شهـيدا من الخيـرات فى صدق جنة

قال ابن جابر: وفيه أيضا يقول صاحبنا الفقيه، الحاج المكرم المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الصنهاجى بن الحداد.

شـــفـاء عـــيـاض للـقلوب دواؤها

من الجهل فاجتهد أن تكون به مغرى

لقـد حـاز بالأجر الجـزيل حـقـيقـة

لدى حلبة السباق فى موقف الأخرى

فطالع معانيه تفز بمعارف

ترقى معانيها وتكسبه أجرا

وتدينه من نهج الحقيقة واصلا

إلى العالم الأعلى وتوجده ذكرا

فيرقى عن الأغيار فى كل وجهة

ويظفر بالحسنى ويا حبذا ذخرا

وينعم بالأحباب فى حضرة البقا

ويشهد سر الجمع جهرا إذا أسرى

قال: وحدثنى أنه وجد على ظهر كتاب الشفا أبياتا بخط أحمد بن إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن فرقد القرشى، قال: وأظنها من نظمه - رحمه الله ونفع به:

شفى نفس كل امرئ مسلم بنور البيان كتاب الشفا

وأبهجها ما تضمنه من القول فى شرف المصطفى

وفى شرف الأنبياء وفى طهارتهم من ضروب الجفا

جزى الله واضعه جنة وقرب زلفى بما ألفا

أفاد علوما جهولا بها وزحزح عنه عمى ونفى

علوم تزيد القلوب هدى فأفلح قلب زكا وصفا

رياض من العلم صنفه عياض فأكرم بما صنفا

إذا ما تأمل أزهاره أريب سقيم الفؤاد اشتفى

obeikandl.com

وللشيخ الأجل المحدث الكاتب، أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المارى، قال ابن جابر وأنشدنيها:

قرأت كتاب الشفا وما هوى إلا الشفا
فبورك فيه لما قد حوى من حلى المصطفى
كتاب علا قدره على كل ما صنفا
عياض بتصنيفه على كلا صنفه شرفا
كفانى عكوفى على فوائد فيه كفى

انتهى ما أوردته من كلام جابر الوادى آشى - رحمه الله - ولا بأس أن نورد ما حفظناه زيادة على ما عنده، فنقول: قد وجدت بخط الشيخ البركة، الحافظ، الإمام أبى عبد الله، سيدى محمد بن صعد التلمسانى - رحمه الله - ما نصه: وتواليف القاضى أبى الفضل - رحمه الله - دالة على ما له عند الله من الكرامة والعناية، فمن تأمل انتفاع المسلمين بها شرقا وغربا، علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية، وكتابه الشفا هو وسطى القلادة، وبرنامج السعادة، وفيه يقول بعض الفضلاء - رحمهم الله:

أنس الوحيد وديمة الأنداء ونسيم عرف الروضة الغناء
وضياء مأمول الرضى ومديده وقلادة الحنفاء والسعداء
وأمان كل مخوف وعياذه من طارق الأهوال والأهواء
كتب الشفا وفت لنا بحقوق من قد خصصته مكارم الآباء
ونصوص أنباء النبى محمد كرمت مصححة عن العلماء

بشر عياضا أن غرس بنانه وزكائه فيه من الشفعاء

تتلذذ الأرواح فى تخليصها كتلذذ العافين بالنعماء

أنى بذكر محمد وصفاته لهج وفيه همتى ورجائى

ووسيلتى يوم الشفاعة حبه وإذا مرضت ففى الشفاء شفائى

أهلا به وبآله وبصحبه غر الوجوه وزين كل ملاء

انتهى.

وقال بعضهم:

جزى الإله عياضا عنا بخير الجزاء

ألفى الأنام مراضا فعمهم بالشفاء

ورأيت على نسخة من الشفاء، بخط الإمام العلامة الأوحد، سيدى يحيى السراج، تلميذ الشيخ العارف، سيدى محمد بن عباد - رحمهما الله، ونفع العبد ببركتهما - ما نصه: أنشدنى الشريف القاضى المشاور، أبو محمد عبد النور بن محمد بن أحمد الحسنى العمرانى، قرأت عليه هذه القصيدة، التى من نظمه، ومن خطه نقلت:

أبو الفضل حاز الفضل والبر إذ أتى

بعقد من الياقوت قد حف بالدر

وحلى بها جيد الزمان فأصبحت

على نحره تزداد حسنا مع الدهر

obeikandl.com

تمد ضـياء الشـمس من حـسن نورها

ويقـوى بهـا نور الـكواكب والبـدر

كمـا قد محت من قـبل عند ظهورها

بأنوارهـا ليل الضـــلالة والكـفـــر

شفى بالشفـا ما فى النفوس فلم يدع

مـقـالا لذى قـول بسـر ولا جـهـر

فـقـــسم أقـســامـــا وبوبهـا مـــعـا

وفـصلهـا مـقـبـولـة العلم والذكـر

وقـــدم آيات الـكتـــاب التـى بهـــا

سمـا قدره فـوق السمـاكين والنـسر

وثنى بأخـبـــار صـحـاح شـهـيـرة

كمـا أتبعت شمس السمـوات بالبدر

وكم غـاص فى بحر المـعارف ينتـقى

من الدر ما قد غاب فـى غامض البحر

فـــجـود منهـــا كل قـاص وشـــارد

ومـا ضله الحفـاظ فى سـالف الدهر

وكل غـريب النقـل صـحت طريقـه

وكل طريـف المتن عـــار عن الـنكر

obeikandl.com

وألحق منهـــا كل نـوع بجنســـه

ورتبـهـا مـثل الجـمـان على النحـر

وأجـــرى عـلومـــا بـين ذاك جليـلة

فيا حسن مـا يروى، ويا حسن ما يجرى

فلو كـــان ممن يـدعـيـــه كـــرامـــة

لصـــدقـــه النقـــاد فى ذلـك الدهر

فـقـد جـاء شبـهـا للخـوارق عـادة

ولا سيـما إذ جـاء فى ذلك العـصر

فلولا الذى قـــد كـان من أمـــر ربه

من الفتح والإمـداد بالعضـد والنصر

لما انفـجـرت من بين كـفيـه حكمـه

تهـــون مـــرقى كـل ممتنع وعـــر

فـجاء بما أعـيـا القرون التى مـضت

وما عجزت عنه عنه جـحاجحة الغر

هنيـئـا له فـيـمـــا أعـد لـه ومـا

ينال من الإحـسـان والفـضل والبـر

انتهى. وهو نظم فقيه، والأعمال بالنيات. ولبعضهم:

وقـــالـوا: نراك تحب الشـــفـــا وتخـــبـــر فـيـــه عن المصـطفى

obeikandl.com

فـــقلـت: لأنى عليـل الفـــؤاد وكل عـليل يـحب الشـــــفـــا

ولبعضهم فيه – وهو نظم فقيه أيضا:

أيا شـــاكـــيـــا دهره إن جـــفـــا عليـك بنسخ كـــتـاب الـشـفـــا

فـفـــيـــه الجـــلاء لكل الهـــمـوم وفـــيـــه لداء الذنـوب الشـــفـــا

وتـبلـغ لا شك مـــــــا ترتجـى إذا أنت رســـــمـــــه أحـــرفـــا

فـــذلـك حـــتم جـــرى عـــادة لتـــضـــمـينـه شـرف المصـطفى

عليـــــه صـــــلاة من الله مـــــا بدا النجـم فى أفـقـــه أو خـفـــا

وفيه أيضا:

رجـــوت الشـــفـــاء لما شـــفنى وأثقل ظـهـرى بـنسخ الشـــفـــاء

ولم ألتـمس فـى سـواه شـفـائى ولم أرج إلا لـديه شـــفـــــائى

فـفـــيـــه الشـــفـاء لمن لم يـجـد لداء ألـم به مـن شـــــفـــــاء

وقال ابن آقبرس:

أيا قـاض عـيـاض حـويت فـضـلا

وأحـكامـــــــا بـأحـكام الـدواء

أزلت مـن العـــــقـــائـد داء شك

فـصـحـت باليـقـين من الـشـفـاء

حكت الســحـائـب لونه ومـذاقـــه

لكـنه بالمـسك فـــيـــه ذكـــاء

obeikandl.com

والســـحب إذ ناديتـهـــا وأمـرتـهـا

سـبـعـا همت ومـيـاهـا سـحـاء

وكـفـفـتـهـا إذ قـد تواتر وكـفـهـا

ســفت وقـد زالت بـهـا الضـــراء

الريق مـنك حـــلا الأجـــاج بمجـــة

فـيـــه وصـــحت مـــقلة رمـــداء

والعـين من بعـــد الفـصـال رددتهـا

نظر الـبـصـــيـــر وأبـصـر الـنظراء

نطقت لتـخـــبـرك الذراع بسـمـهـا

إذ سـبـحت بيـمـــينك الحـصـبـاء

والجـــذع إذ فـارقـــتـه مع حكمـــة

أضـــحى يئن وقـــد شـجـــاه بكاء

ودعـــوت بالأشـجـــار إذ ناديتـهـــا

فـــأتت إليك ومـــا اســـتـــتم نداء

عـادت لمنبـتـهـا كـأحـسن مـا أتت

أغـصـانهـا من حـسنهـا خـضـراء

والشـمس من بعـد الغـروب رددتهـا

فـــغـدا لهـــا بعـــد الذهاب بقـــاء

obeikandl.com

والبـــدر حـــين رآك شـق لوقـــتـــه

فكأنـه منك اعـــتـــراه حـــيـــاء

بشـــفـــائه تشـــفـى الصـــدور وإنه

لرشـــاد قـارئـه الشـهـــاب النيـــر

هو للتـــآلف روح صـــورتهـــا وقل

هو تاج مـــفـرقـهـا البـــهى الأنور

أفنت مـــحـاسنـه المدائح مـثـل مـا

لمفـــيـــده نـفـــد الثناء الأعـطر

وله اليـــد البـيـضـــاء فى تأليـــفـه

عند الجـمـــيع فـفـضلهـــا لا ينكر

هو مـورد الهـيم العطـاش هفت بهم

أشـواقـهم فـاعـتـاض منه المصـدر

فـيـه تـنال من الرضى مـا تبـــتـغى

وبكـونه فـــــينا نـغـــــاث ونمـطر

انظر إلـيـــه تميـــمـــة مـن كل مـــا

يخـــشى من الخطب المهل ويـحـذر

لكأنـنى بك يا عـــيـــاض مـــهنأ

بالفـــوز والملأ العـى مـبـــشـــر

obeikandl.com

لكأننى بك يا عياض منعما

بجوار أحمد يعتلى بك مظهر

لكأننى بك يا عياض متوجا

تاج الكرامة عند ربك متجر

لكأننى بك راويا من حوضه

إذ لا صدى ترويه إلا الكوثر

فعلى محبته طويت ضمائر

وضحت شواهدها بكتب تؤثر

ما أمهن لشرعة الهادى الرضى

صدف يصان بهن منها جوهر

فجزاك رب العالمين محبة

يهب النعيم سريرها والمنبر

وسقى أجش هزيم مضجعك الذى

ما زال بالرحى يؤم ويعمر

انتهى.

ومن كتاب "البقية والدرك، فى كلام ابن زمرك" - وقد رأيته بتلمسان عند الكاتب المغيلى، ونقلت منه، وهو كما قدمناه من تأليف بعض سلاطين الأندلس - ما نصه: وقال - يعنى الرئيس الكاتب، العلامة أبا عبد الله بن زمرك - يمدح كتاب الشفاء، طلبة شيخه الخطيب أبى عبد الله ابن مرزوق عندما شرع فى شرحه:

obeikandl.com

وحسر ركاب للصبا قد ونت به

نجائب سحب للتراب نزوعها

تسل سيوف البرق أيدى حداتها

فتنهل خوف من سطاها دموعها

تعرضن غربا يبتغين معرسا

فقلت لها مراكش وربوعها

لتسقى أجداثا بها وضرائحها

عياض إلى يوم المعاد ضجيعها

وأجدر من تبكى عليه يراعة

بصفحة طرس والمداد نجيعها

فكم من يد فى الدين قد سلفت له

يرضى رسول الله عنه صنيعها

ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه

فقد بان فيه للعقول جميعها

بمرآة حسن قد جلتها يد النهى

فأوصافه يلتاح فيه بديعها

نجوم اهتداء والمداد يجنها

وأسرار غيب واليراع تذيعها

obeikandl.com

لقد حزت فضـلا يا أبا الفضل شاملا

سيجـزيك عن نصح البرايا شفيـعها

ولله من فــذ تـصــدى لشــرحــه

فلبـاه مـن غـر المعـانى مطيــعـهـا

فكم مـجـمل فـصلـت منه وحكمـة

إذا كـتم الأمـداح منهـا تشـيـعـهـا

مـحاسن والإحـسـان يبـدو خلالهـا

كـما افـتر عن زهر البطاح ربيـعهـا

إذا مـا أجلت العـين فيـهـا تخالهـا

نجـومـا بآفـاق الطـروس طلوعـهـا

مـعـانيـه كـالماء الزلال لذى صـدى

وألفــاظه در يروق نصــيــعــهــا

رياض سـقـاها الفكر صـوب ذكـائه

فـأخـصب للرواد مـنهـا مـريعـهـا

تفـجــر من عـين اليـقــين زلالهـا

فلذ لأربـاب الخلوص شــروعـهــا

ألا يابـن جــار الله يـابن وليــه

لأنت إذا عــد الكرام رفـيــعـهــا

obeikandl.com

إذا مـــا أصـــول المرء طابت أرومـــة

فـلا عجب أن أشـبهـتـها فـروعهـا

بقـــيت لأعـــلام الزمـــان تـنيلهـــا

هدى ولأحـداث الخطـوب تروعـهـا

انتهى.

وقال الشيخ الأديب ابن عبد المنان:

علمـاء الحـديث كـم خلصت فى مـدح خـيـر الورى لهم أغـراض

بمعـــانـى الرســـول تجلى وتـتلى عنـدها تـنعـش القـلوب المـراض

كلهـم عـــالج الســـقـــام ولكن مـــا أتى بالشـفـــاء إلا عـيـــاض

وقال الـفقيـه الأجل القاضى شـهاب الدين، أحـمد بن أبى المحـاسن يوسف الرعيونى الشافعى المصرى - رحمه الله:

هذا الشـفـاء من السـقـام حقـيـقـة

إن مس ضـــــر أو توالـى بئـــوس

ســـر إذا مـا الراح ســـرت أنفـــسنا

دارت على الأرواح منهـــا كـئـوس

شـــرف به خص النبـى مـحـــمـــد

دون الورى فـــمـديحـــه تقـــديس

جـدعت أنوف المشـركـــين ونكست

بصـــــفـــاته لـلملحـــــدين رءوس

obeikandi.com

وعـــلا به مـن قـــدر آدم رتبـــة

حـسـدا عـليـهـا قـد هـوى إبليس

أهدى عـــيـاض للنفـــوس لنعـــتـه

أنســـــا تميل بـراحـــــه وتـمـيس

من كل معـنى قد حكى نفس الصـبا

يحـــويه لـفظ كـــالمـدام نفـــيس

لو أسـمـعت بلقـيس وصف كـتـابه

نزلت لـه عن عـرشـــهـــا بلقـــيس

فـعلـيـه رحـمـــة من ربه من دارس

حـــيـيت به بـعـد الممـــات دروس

ووقـفت على قصـيـدة الشيخ بدر الدين بن الحـسن على بن مـحمـد التميمى الهـمدانى - نزيل مصر فى مدح النبى ﷺ، وكتاب الشـفاء ومؤلفه القاضى عياض - رحمه الله - وهى:

صـحت بحـسـن صـفـاتك الأنبـاء

فلنا بهـا - وهى الشـفـاء - شـفـاء

ضـــاءت بك الـدنيـــا فكـل بلادها

أضـحى بـهـا بعـد الظلام ضـــيـاء

فـالغـرب من إشـراق نورك مـشـرق

والشـــرق فـــيـــه من سنـاك سناء

obeikandl.com

لاح الصباح وما اعترته ظلمة

وبدا الضياء وما لديه خفاء

لا تختفى شمس الضحى إلا إذا

نظرت إليها مقلة عمياء

يا صاحب الخلق العظيم تأخرت

عن بعض رفعة قدرك العلماء

الأمر أعظم من مقاله قائل

فمقصر ما طول البلغاء

الله قد أثنى عليك وإنه

ما بعد هذا فى الثناء ثناء

والله أعطاك الذى لم يعطه

أحدا سواك فدونك الكبراء

وبراك حقا فى البرايا واحدا

وأبوك آدم طينة صماء

أو ما إليك قد ترسل آدم

بك إذا دعا وتشفعت حواء

أو ما لإدريس العلى مكانة

رفعت له بك رتبة عليا ء

obeikandl.com

أو مـا نجـا نوح بجـاهك فاسـتـوت

لطفـــا ســـفـــينتـــه وغـــيض الماء

أو مـــا غـــــدت بك نار إبراهـيم بر

داحـين شـب ضـرامـهـــا الأعـداء

أو مـــا ابتلى بالذبـح إسـمـــاعـــيله

فلقـــــد غـــدا بـك للذبيـح فـــداء

أو مـا أبـوك لنذر جـدك قـــد فـدى

يا ســـيـــــدا عـــــاشت بـه الآباء

أو ما اهتـدى الجم الغفـير من الورى

بـهـــــــــــداك والآبـاء والأبـنـاء

الله أحـــيـا قـــبل مـــولدك النفـــو

س وبعـــده بك حـبـــذا الأحـيـــاء

سـمـاك بالرءف الـرحـيم وكم كـذا

حـسنت من الحـسنى لك الأسـمـاء

والله مـحـــمـود وأنـت مـحـــمـد

هذا اشـــتـقـــاق مـا عـــلاه عـلاء

أســـرى بك الســـبع الطبـــاق بلـيلة

جليـت بهـــا مـن نورك الظلـمـــاء

obeikandl.com

جـبريل صـاحـبك الأمين وكم كـذا

صـــحـبـــتك من رب العـلى أمناء

فـعلى البراق لقـد سمـا بك للسمـا

ولكم سمت بك فـى الصعود سـماء

مـــــا زال دونك ممـسكـا بعـنانـه

هذا الـعـــلاء وهـكذا الإســـراء

فى سـاعـة فـيـهـا المهـيـمن شـاهد

ومـــلائك الـرحـــمن والنـبـــئـــاء

ولقـد صـعـدت لمـسـتـوى أقـلامـه

منك اعـتـلى لصـريفـهـــا إصـغـاء

فـتـأخـــر الروح الأمـين وفـقـــتـه

فلـقـــد حـــلا وصل وآن لقـــاء

من بعـد خمـسيـن الصلاة لخـمسـة

جـعـلت لأجلك والأجـــواء سـواء

ورجعت للحرم الشـريف وما انقضت

بســـــراك تلـك الليـلة الغـــــراء

أصـبحت تخـبـر بالرجوع وبالسـرى

فـمـــصـدقـون وحـــسـد أغـــبـاء

obeikandl.com

وجلى لك البـــيت المقـدس فى غـد

فـــوصـفـــتـــه للقـــوم لما شـــاءوا

فـخـلائق سـعـــدوا وأقـوام شـقـوا

ومن الإله ســـعـــادة وشـــقـــاء

لم يجـــهل الأقـــوام مـا أوتـيـتـــه

لكـنهم مع عـلمـــهـم جـــهـــلاء

آذانهم صـمـت وقـد أسـمـعـتـهم

وعـيـــونهم عـمـيت وهـم بصـراء

عـــمـــيت لمقـــدور الإله قلـوبهم

فـــمع الســـويـدا ظلمـــة ســـوداء

شـهدت بوصـفك كـتبـهم والمرسلو

ن لهم وهم لـو نصـفـوا شـــهـداء

توراة مـــوسى قـــد أتى من بعـــدها

إنجـيـل عـيـسى مـــا لديه خـــفـاء

وتواترت أخـــبـــار أحـــبـــار لهم

وعن النـبـــيـــين اعـــتلـت أنبـــاء

سـمـوك نبـيـهم بـاسـمك الميـمـو

ن إذ ظهـــرت لـوقت ولادك اللألاء

obeikandl.com

طلبـوا الـرئاسـة والنفـاســة والعلى

ولكـم علت بك ســـادة رؤســـاء

شـرقـوا لما أوتيت من تحـقـيـقـيـهم

ولديـهم لولا الشـــقـــاء ذكـــاء

حـســدوك للفـضل الذى أوتيـتـه

من ذا يـحق لـه ســـــواك عطـاء

الله أعلـم حـــيث يجـــعل رسـله

ويدبـرا الأفـــلاك كـــيف يشـــاء

أيـدت منـه بنـصـــــره والمؤمـنيـ

ـن فـقد - وحقك - زالـت الأعداء

وأتت لـنصـــرتك الملائـكة العـلى

حـــزب الإله أعـــزة أكـــفـــاء

أظهـــرت دين الله بعـــد خـــفـــائه

وأبدت دين الشـــرك فـــهـو هبـــاء

ومضـيت فى قتـل الحواسد والـعدى

ولأنت ســيف الله فـــيك مـضـــاء

دارت على الأعـــداء دائرة القـــضـا

لكـن إســـــراع الممـــــات أداء

obeikandl.com

(لا يسلم الشـــرف الرفـيع من الأذى

حـــتى) تـراق لحـــاســـديه دمـــاء

من يوم مـــــولدك الشـــريف عـناية

مـــــا زال فـــيـــــهم ذلة وعـناء

أصنامـــهم خـرت وصلبـــهم هوت

لو يـعـــــقلون لـهـــــا وهد بـناء

نيـــــراهم منذ ألف عـــــام أوقـــدت

فلقـــد غـدا للـهـيـبـــهـا إطـفـاء

غـاضت بحـيـرة سـاوة ولكم طغـوا

لما طـغى لـهم علـيـــــهـــــا الماء

بدت البـراهـين المنيـرة كـالـضـحى

وأضـــاء صـبـح إذ أنيـــر مـســـاء

صـــدق الإلـه هو الخـــتـــام لنوره

أبدا ولو كـــره العـدى السـفـــهـاء

لما أظـلتك الغـــمـــامـــة دونـهم

فلـهـــا عليـك من الحـــرور رداء

نظروا عـليك الظـل فـــانتـــقـلوا له

فـــغـــدا لـه إلا عليـك جـــلاء

obeikandl.com

أضحى "بحيرا" بالعلائم شاهدا

وهنا لعمك حين ذاك هناء

الله أكبر كم غدت لك آية

كثرت فلا عد ولا إحصاء

أشبعت خلقا باليسير كما غدا

للقوم بالماء القليل رواء

وديون والد جابر وفيتها

من تمرة وغدا وفيه نماء

والماء نبعا من أصابعك اغتدى

كالشهد فيه حلاوة وصفاء

ولما أراد الإمام المحدث الرحال، الرئيس الحاجب، الخطيب سيدى أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى - رحمه الله - شرح كتاب الشفا استمطر أنواء قرائح أعلام عصره، فى قطع وقصائد يليق ذكرها فى ديباجة الشرح، فكان ممن أجابه، الكاتب الفقيه، صاحب القلم الأعلى، أبو القاسم ابن رضوان النجارى - رحمه الله، قال ابن الخطيب: ومن خطه نقلت:

سل بالعلى وسنا المعارف يبهر

هل زانها إلا الأئمة معشر

وهل المفاخر غير ما شهدت به

آى الكتاب وخلدته الأعصر

obeikandl.com

هم مـــا هم شـرفـــا ونيل مـــراتب

يوم القـــيـام إذا يهـــول المحـشـــر

ورثوا الهـدى عن خيـر مـبعـوث به

فـــجـــزاهم الله العـظيم الأكـــبـــر

وعـيـاض الأعلى قـداحـا فى العلى

منهم وحـق له الفـــخـار الأظهـــر

والعنكبـوت لقـد وقـتك بنسـجـهـا

فـــعليك فـى الغـــار المنيف وقـــاء

أعـــجـــزت بالقـــرآن كل منـطق

فلذاك عـابت نطـقـهـا الفـصـحـاء

ولقـد نطقت ومـا نطقت عن الهـوى

حكمـــا أقـر بفـــضلهـا الحكـمـاء

بجـوامع الكلم ابتـعثت فكم حـوت

من أسطـر لك فـضـلة جـــمـعـــاء

والعلـم يجـمـع من حـديـثك أربع

فـاســـتنبطت أحكـامـهـا العـلمـاء

والطب فى الكلم الثـلاث جـمـعتـه

حـــتى لقـــد صـــحت بك الأدواء

obeikandl.com

خـــاطبت كل قـــبـــيلة بلغـــاتهـــا

فـسـمت بفـصل خـطابك الخطبـاء

شـهـدت لك الأعـــداء أنك صـادق

والفـضل مـا شـــهـدت به الأعـداء

يكفـــيك يـوم الجـــمع أنك شـــافع

يا من بـه تتـشـــفع الـشـفـعـــاء

فـمقـامك المحـمود يـحمـده الورى

ومن المحـــــامـــــد فى يديـك لواء

ولك الوســـيلة والفـــضـيلـة والعلى

ولـك الإعـــــــــادة ثـم والإبـداء

يا ربـنا بـالمصـطفـى وبجـــــاهـه

قـــســـمـــا بـه مـــا إن يرد دعـــاء

عـوض عـيـاضا بـالرياض وبالرضى

مـــــا إن لـه إلا الجنـان جـــــزاء

فلقـد شـفـى كل الصـدور شـفـاؤه

وكـــتـابه كـــتـــبت به الحـســـداء

أبهـى من الوشى الـرقـــيم سـطوره

وعليـــه مـن نور القـــبـــول بهـــاء

obeikandl.com

أهدى إلينا الحسن والحسنى به

ونعم صفات المصطفى حسناء

وجا بما أحيا المسامع ذكره

ولكم غدا بالمرتضى أحياء

ما زاد فخرا للنبى وإنما

ذكر النبى وسيلة ورجاء

فليهنه إدراك كل مؤمل

وليهنه بعد الهناء هناء

يا سبتة فيها العلوم تجمعت

ما أنت إلا جمعة زهراء

يا مغربا منه الفضائل أطلعت

ما أنت إلا مشرق وضياء

يا قاضيا بالحق فى أحكامه

لم ينس عند الله منك قضاء

يا مالكيا مالكا رتب العلى

بجنان رضوان لديك علاء

يا منشئا مدح الرسول لقد أبى الر

حمن أن ينسى لك الإنشاء

obeikandl.com

الله مـعطـيك الجـوائز جـمـة

فليـهنك النـعـيم والنـعـمـاء

أو مـا رئيـت مع النبى جـليـسـه

تكفـيـك هاذى الرتبـة الـعليـاء

يا سـيـد الـرسل الكرام وكم كـذا

بنـداك إحـسـانـا أجـيـب نداء

بـالرغـم مـنى عـن ذراك تـخـلفـى

فـمـتى يقـدر للمـحب لقـاء

أملى الإقـامـة فى ذراك وحـبـذا

منـك الغـنى والـروضـة الغـناء

كـل امـرئ مع مـن أحب وإنـه

للقـلب فـيك مـحـبـة وولاء

لله وجـه فى ثراك مـعـفـر

فـلقـد تكـاثر فـى ثراك ثـراء

أقـصـى منای وبغـيـتى أقـضى به

فـيطيب فـى أرض البـقـيع ثواء

أو مـا الدفـين هناك أنت شـفـيـعـه

فـحـقـيـقـة أمـواته أحـيـاء

يا ويح نـفـسى قـيـــدت بذنوبهـــا

فـــمـــتـى يحل من المـسىء وكـــاء

مـــا لى ســـواك لحلـه أنت الرجـــا

ولديك بالـصـفح الجـــمـــيل غطاء

فـالله يغـفر لى بـجاهك مـا مـضى

ويصـــــوننى إن كـــان فى بقـــاء

ويحـــــقق المأمـــــول منه وكـم له

بعـظيم جـــــاهك يا عـظيم عـطاء

وكـــذاك منشـدهـا وسـامـــعـهـــا

وكـــاتـبـــهـــا وحـــائز لديـه قناء

والأهل والإخـــــوان والأخـــوات

ثم الأمـــــهـــات كـــذلـك الآباء

ثم الـصـــــــلاة علـى النـبى وآلـه

وكـذا الصـحـاب السـادة النجـبـاء

مـــا دامت الأوراق فى أشـــجـــارها

وترنمـت فى دوحـــــهـــا ورقـــاء

وقال الشـيخ الإمام النظار، أبو إسحـاق الشاطبى فى كتـاب الإنشاءات والإفادات له مـا نصه: إنشـادة لما أخذ فيـما زعمـوا شيخنـا الفقيـه، الإمام

obeikandl.com

الشهـير، الخطيب المحدث البليغ: أبو عـبد الله بن مرزوق، فى شرح كـتاب الشفا للقاضى أبى الفضل عيـاض، وهو مستوطن مدينة فاس من بر العدوة، بعث إلى الأندلس فى طلب أمداح من شـعرائها لكتاب الشفـا، ليجعل ذلك مقـدمة الشرح، فـندبنى إلى امتحـان الفكر بهذا القـصد - صاحـبنا الفقـيه الكاتب، أبو عبد الله بن زمرك، إلى أن سمح الخاطر بهذه الأبيات.

يا من سـمـا لمراقى النجم مـقـصـده
فنفـســه بنفـيس العلم قــد كلفت

هذى رياض يروق العـقل مـخـبـرها
هى الشـفـا لنفـوس الخلق إن دنفت

يجنى بهـا زهر التـكريم أو ثمـر التـ
ـعظيم والفـوز للأيـدى التى قطفت

أبدت لنـا من سناها كل واضــحــة
حـسانه دونهـا الأطمـاع قد وقـفت

وشــيـد العــقل أركــانا مــوطدة
بها على مثل أصل الشـرع قد وقفت

قـوت القلوب وميـزان العـقول مـتى
حادت عن الحجة الكبرى أو انحرفت

فيا أبا الفضل حـزت الفضل فى غرض
به أقـرت لك الأعــلام واعـتـرفت

obeikandl.com

الكتـب بحـــر علوم ضـل ســـاحله

منه استـمدت عيون العلم واغـترفت

زارته من جنبـــات القـدس ناسـمـة

فحركت منه مـوج الفكر حين وفت

حـتى إذا ما همـت أرجاؤها قـذفت

لنا بـدرتهـــا الحـسـناء وانصـــرفت

إن العـنايـة لا يحـظى بنـائلـهـــــا

حريصها بل على التخصيص قد وقفت

انتهى.

وأشـار بهـذا البـيت الأخـيـر إلى قـول الأول: إن السـعـادة أصلهـا التخـصيص؟ وقـال الوزير ابن الخطيب، فى كتـاب الإحاطة فى ترجـمة ابن مرزوق ما نصه: ومن خط الإمام ابن مرزوق لبعضهم:

كـتـــاب الشـفـــاء شـفـــاء القلوب

وحـسـبك قـولـى كـتـاب الشـفـا

تضـــمـن أوصـــاف خـــيـــر الورى

وهـادى البـــــــرية والمصـطفـى

ولما أنشدنى الفقـيه الكاتب، الأديب الناظم، الناثر أبو عبد الله مـحمد ابن على الوجدى - حفظه الله - قوله:

للنفـس منى طمـوح لـيس يثنيـهـا
عـمـا تؤمل من أقـصى تمنيـهـا
يا من يسـائل عن ذاتى وعن عـرضى
فى حـالى الحب قـاصيـهـا ودانيهـا
جـسـمى بفـاس رهين فى مـعـالمهـا
وليس ينـفك عن بلوى يعـانيـهـا
ولى بمـكناسـة روح مـودعـة
من دون جـسم يكاد الشـوق يفنيهـا
ولى بـتطاون دار الصـبـا طرب
لولا التـقـيـة أغـوانى غـوانـيـهـا
ولى اتيـاح إلى القصـر الكبيـر فقـد
قضت بـه النفس بعضـا من أمانيـها
ولى بثـغـر سـلالب فلو يئـست
منه النفـوس لكان اليـأس يضنيـهـا
ولى بمـراكش شـوق أكـابده
لو أسـعد الدهر فى مـرأى مغـانيهـا

obeikandl.com

قلت مذيلا عليه:

مثوى عياض أبى الفضل الذى بسقت
أفنانه فـــحلت طمـعـــا لجـانيـــهـا

فكم مـن تآليف قـــد اشـــتـهـــرت
ألفـاظهـا رائقـــات مع مـعـانيـهـا

حازت مـشارقه خـصل السباق كـما
شـفى النفـوس شـفـاه من تعنيـهـا

كنوز عـرفـانه والـفـضل شـيـمـتـه
تولى نفـوس الورى علمـا فتـغنيهـا

ولى بأرض تلـمـســـان مـعـــالم إن
نأت مـعـاهدها فـالـشـوق يدنيـهـا

مأوى الشـيوخ الهـداة المستـضاء بهم
و«بأبى مـدين» ازدادت مـــبـانيـهـا

بجـاهــه النفس ترجـو نيـل كل منى
إذ لم يزل روح لطـف الله يعنيـــهـا

أقول وقد تذكـرت هنا - والشىء يذكر بالشىء - قصيـدة الشيخ حسن ابن على بن عمر القسمطينى، المعـروف بابن الفكون، أحد أشياخ العبدرى، وهى من در النظام، وحـر الكلام، وقـد ضمنهـا رحلتـه من قسـمطينة إلى مراكش المحروسة، ومطلعها:

obeikandi.com

ألا قل لـلســـــرى ابن الســـــرى

أبى الـبــدر الجـــواد الأَرْيَـحِىّ[1]

ومنها:

وكـنـــت أظـن أن الـــنـاس طـــرا

سـوى زيد وعـمـــرو غـيـر شَىّ[2]

فلمـــا جـــئـت مـــيلة خـــيـــر دار

أمـــــــالتـنى بـكل رشـــــا أبـى

وكـم أورت ظبـــــــــاء بنـى ورار

أوار الشـــــوق بالريـق الشـــــهى

وجـــئـت بجـــايـة فـــجلـت بدورا

يضـيـق بوصـفـهـــا حـرف الروى

وفى أرض الجـــــــزائـر هام قـلبـى

بمعـــســـــول المراشـف كـــوثرى

وفى ملـيـــانة قـــد ذبـت شـــوقـــا

بلـين العـطف والقـلب القـــــسى

وفى تنس نسـيت جـمـيل صـبـرى

وهمـت بكـل ذى وجـــــه وضى

(١) نفح الطيب ج٢ ص ٤٨٣.

(٢) نفح الطيب ج٢ ص ٤٨٣.

obeikandi.com

وفى مـــازونة مـــا زلت صـــبـــا

بوسـنان المحـــــاجـــــر لـوذعى

وفى وهران قـــد أُمـــسـيـت رهنا

بظـامى الخـــصـــر ذى ردف روى

وأبدت لـى تلـمـــــســـــان بدورا

جلـبن الشـــــوق لـلقـلب الخـلى

ولما جـــئت وَجْـــدَةَ همت وجـــدا

بمنـخنث المعـــاطـف مـــعـنوى

وحل رشـــا الربـاط رشـــا ربـاطى

وتـيـــــــــمـنى بـطـرف بـابلـى

وأطلع قطر فـــاس لى شـمـوسـهـا

مـــغـــاربهن فـى قلب الشـــجى

ومـــــا مـكنـاسـة إلا كنـاس

لأحْـــوى الطرف ذى حـــسـن سنى

وإن تسـأل عن أرض سـلا فـفيـهـا

ظبـــاء كـــأسـراب للكـمى

وفـى مـــــراكـش يـا ويح قـلبـى

أتى الـوادى فطـم على الـقـــرى

obeikandl.com

بدور بل شـــمـــوس بل صـــبـــاح

بـهـــى فـى بـــهـى فـــى بـهـــى

أبحن مـــصـــارع الـعـــشـــاق لما

ســعـــين به فـكم مـيـت وحى

بقـــامـة كل أســـمـر ســـمـهـــرى

ومـــقلة كـل أبيض مـــشـــرفى

إذا أنســـــيننى حـــسنا فـــإنى

أنســـيـــهـم غـــوى غـــيـــلان مى

فـــهـأنا قـــد تخـذت الغـــرب دارا

وأُدعَى الـيـــــوم بالمـراكـــــشى

على أن اشـــتـــيـــاقى نـحـــو زيد

كـشـوقك نحـو عـــمـرو بالسـوى

تقـســـمنى الهـوى شـرقـــا وغـربا

فـــيـــا للمـــشـــرقى المغـــربى

فلـى قلب بأرض الـشـــرق عـــان

وجـــسم حـل بالغـــرب الـقـــصى

فـــهـــذا بـالغـــدو يهـــيـم غـــربا

وذاك يهـــيـم شـــرقـــا بالـعـــشى

obeikandl.com

ولـولا الله مت هـوى ووجـــــــدا

وكـم لله من لـطـف خـــــــفـى

رجع: وأنشدنى الفقيه الأصيل، العـلامة سيدى على بن أحمد الشامى الخزرحى - حفظه الله - لنفسه يمدح كتاب الشفا:

شـفـــاء عـيـــاض لدائى شـــفـا فـــلا زال مـــورده مـــرشـــفـــا

فـــمـــن لم يؤسس بـنا حـبـــــه على أســـــه أس فـــوق شـــفـــا

وقد اعـتنى الأئمة بشرح هذا الكـتاب والتعليق عليـه، فممن شـرحه: الإمام الرئيس الخطيب: أبو عبـد الله بن مرزوق التلمسانى، شرحـا واسعا لم يكمله. وممن علق عليه عدة تعـاليق الشيخ الإمام، سيدى محـمد ابن الشيخ الربانى، الوالى الصالح، سيدى الحسن بن مـخلوف الشهير بأبركان الراشدى ثم التلمسانى، وقـد وقفت على أحد تعاليقه بخطه، وسـماه - بـ "غنية أهل الصفا فى شرح الشفا».

وممن علق عليـه: ابن اقـبـرس، والشمـنى، والشريف، وغـيـر هؤلاء كالدلجى، وابن الـفرس. وكمـا اعتنى الناس بذلك اعـتنوا أيضا بتـصحيـحه وضبطه وإتقـانه، ولقد وقفت من نسـخه الصحاح على عـدة، ومن أصح ما وقفت عليه: نسخـة بخط تلميذه، عبد الرحمن بن القصيـر الغرناطى المتقدم الذكر، وذكر أنه نقلها من نسخة عليها خط المؤلف، ورأيت بخطه (فى الطرة) تنبيهات على مواضـع، هأنا ذاكر بعضها الآن - تنميما للمقـصود فمنها عند قوله فى الشفا: تيامن منهم ستـة، وتشاءم أربعة - الحديث بطوله - ما نصه: تمام الحديث: فـأما الذين تيـامنوا: فكندة، وأنمار وهوازن، وبجيلة، وخـثعم

والأزد، وحميـر، وعد والأشعريون. وأما الذين تشـاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة - ذكره أبو نعيم الحافظ فى رياضـة المتعلمين، انتهى. فتأمله وراجع رياضة المتعلـمين. ومنها عند قوله: فإذا أنا بابـنى الخالة - إلى قوله: ودعيا لى بخـير - ما نصه: كذا كان فى المنتـسخ منه، والصواب ودعوا لأنه من دعوت. قـال الله تعالى: ﴿دعوا الله ربهـما﴾ - ولا شك أنه من الناسخ الغلظ، وأما المؤلف - رحـمه الله - فإنه كـان أرفع من أن يقع فى مثل هذا، بل كان من المستـبحرين فى فنون جمة، وكـان خطه بالقراءة عليه فى الأصل الذى انتسخت منه، والسماع يفلت منه كثـير للمستمع والمقرر عليه، ويندرج فى لفظ القـارئ بالخفى انتـهى. ومنهـا عند قوله: كـقلان هجـر ما نصـه: كالقـلال وقع فى المنتسخ منه، وفى البـخارى كمـا كتبت فـى نفس الكتاب. انتهى.

يعنى بما كتب كقلال، ومنها عند قوله: حـتى ظهرت لمستوى ما نصه: ظهرت أى علوت، قال تعالى: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ ... (٩٧)**﴾ [الكهف] - أى يعلوه، وقال تعالى: ﴿**... وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)**﴾ [الزخرف]. ومنه ما جاء فى حديث عائشة فى صلاة العصر والشمس فى حجرتها قبل أن تظهر - أى تعلو على الجدران. انتهى.

ومنها عـند قوله: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا**﴾، ما نصـه، روى عن سعـيد بن المسيب - رحمـه الله - فى قوله تعالى: ﴿**... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ... (٦٠)**﴾ [الإسراء].

قال: رأى ناسـا من بنى فلان على المنابر، فـساءه ذلك، فـقيل له: إنما هى دنيا يعطونها، فسـرى عنه. وعن الربيـع بن أنس البكرى لما أسرى بالنبى

- عليه السلام - رأى فلانا وهو بعض بنى فلان على المنبر يخطب على الناس، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ [الأنبياء].

ومن هذا الباب: روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ رأى فى المنام بنى مروان يرقون منبره ينزون عليه، فأصبح كالمريض، فقال: إنى رأيت بنى مروان ينزون منبرى نزوة القردة، فما اجتمع ضاحكا حتى مات.

وذكر ابن أبى خشيمة فى تاريخه، والماوردى فى تفسيره، قال ابن أبى خيثمة: إن رجلا قال للحسن، وسماه الماوردى فقال: إن عيسى بن مازن قال للحسن: يا مسود وجوه المؤمنين، عمدت إلى فلان فبايعته، فقال: إن رسول الله - ﷺ - رأى فى منامه بنى أمية يعلون منبره خليفة بعد خليفة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر] - و﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ [القدر] يعنى ملك بنى أمية، قال القاسم: فحسبنا ملك بنى أمية، فإذا هو ألف شهر، لم يزد ولم ينقص - انتهى.

ومنها عند قوله: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى - الحديث ما نصه: هذا الحديث رواه أبو الأشعث، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: سألنى ربى فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: فى الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قلت: المشى على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء فى السبرات، والتعقيب فى المساجد: انتظار الصلاة بعد الصلاة، قال: وما الدرجات؟ قلت: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام انتهى.

ومنها عند قوله لا سابع لهم ما نصه سمى ابن قتيبة من هؤلاء محمد ابن أحيحة بن الجلاح وقال: هو أخو عبد المطلب لأمه، ومحمد بن سفيان ابن مجاشع، وزاد فى آبائه ابن درام، وزاد: حمد بن سواءة بن جشم بن سعد. وزاد ابن أبى الزلال فى كتاب الأسجاع له - محمد بن الحارث بن خديج بن حويص. وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه - أن أول من تسمى فى الإسلام بهذا الاسم، محمد بن حاطب، وساقته جدته إلى النبى - ﷺ فقالت: يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب، وهو أول من سمى بك، قالت: فمسح على رأسه ودعا له بالبركة، وتفل فى فيه، فكمل بما قال ابن قتيبة، وابن أبى الزلال، ثمانية ممن تسموا به قبل الإسلام.

وقال القاضى أبو الفضل - رحمه الله - لا سابع للستة الذين سمى، وسبحان من أحصى كل شىء عددا، لا إله غيره. انتهى.

قلت: وقد حفظ المتأخرون فى ذلك ما لم يحفظه هذا الرجل، قال فى المواهب اللدنية ما نصه: قال ابن قتيبية: ومن أعلام نبوءته - ﷺ - أنه لم يسم قبله أحد باسمه محمد - ﷺ - صيانة من الله تعالى لهذا الاسم، كما فعل بيحيى إذ لم يجعل له من قبل سميا، وذلك أنه - تعالى - سماه فى الكتب المتقدمة، وبشر به فى الأنبياء، فلو جعل اسمه مشتركا فيه، لوقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه، سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو هو - والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

ما كل من زار الحمى سمع الندا

من أهله أهلا بذاك الزائر

﴿ ...ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ... ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة]. وقد عددهم القاضى عياض ستة، ثم قال: لا سابع لهم.

وذكر أبو عبد الله بن خالويه فى كتاب ليس، والسهيلى فى الروض، أنه لا يعرف فى العرب من تسمى محمدا قبل النبى - ﷺ إلا ثلاثة.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر - رحمه الله - وهو حصر مردود، والعجب أن السهيلى متأخر الطبقة عن عياض، ولعله لم يقف على كلامه، قال: وقد جمعت أسماء من تسمى بذلك فى جزء مفرد، فبلغوا نحو العشرين، لكن مع تكرير فى بعضهم ووهم فى بعض، فيتخلص منهم خمسة عشر نفسا، وأشهرهم محمد بن عدى بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن زيد مناة بن تميم التميمى السعدى - لم يذكره عياض. ومنهم محمد أحيحة - بضم الهمزة وفتح المهملة - بن الجلاح - بضم الجيم وتخفيف اللام، آخره مهملة - الأوسى، ذكره عياض والسهيلى، ومحمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر، ومحمد بن البراء، وقيل ابن بر بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكرى العتوارى، ومحمد بن الحارث بن خديج بن حويص، ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمرى، ومحمد بن حمران بن أبى حمران ربيعة بن مالك الجعفى، المعروف بالشويعر، ومحمد بن خزاعى بن علقمة بن حرابة السلمى، من بنى ذكوان، ومحمد بن خولى الهمذانى، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن اليحمد الأزدى، ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة، ومحمد بن الأسيدى، ومحمد الفقيمى، ولم يدركوا الإسلام إلا الأول، ففى سياق خبره ما يشعر بذلك، وإلا الرابع، فهو صحابى جزما.

وفيمن ذكره عياض: محمد بن مسلمة الأنصارى، وليس ذكره بجيد، فإنه ولد بعد النبى - ﷺ بأزيد من عشرين سنة، ولكنه ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن يحمد الماضى، فصار من عنده ستة لا سابع لهم. انتهى كلام القسطلانى، وراجع فتح البارى فإنه قال: ومنهم: محمد بن عمرو بن مغفل - بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام - وهو والد هبيب - بموحدتين مصغر، وهو على شرط المذكورين، فإن لولده صحبة، ومات هو فى الجاهلية.

انتهى المقصود منه، وإنما ذكرته لما فيه من الضبط للفظتين، أعنى مغفل وهبيب والله الموفق، وانظر كلام ابن حجر، فلا يخلو من فائدة.

ومنها عند قوله: والعمائم تيجان العرب ما نصه، هو حديث ذكره صاحب الشهاب، انتهى.

ومنها عند قوله: وفيما ذكرنا منها مقنع - ما نصه: قول القاضى - رحمه الله - مقنع، فيه بعض النقد، لأن أسماءه - ﷺ، وألقابه وسماته، تقتضى معانى الجلال، وجميع المحامد وحسن الخلال، فلا يقنع منها شىء، وكلما كثرت، ازداد المؤمن بذكرها حلاوة، ووجد فى نفسه إليها - ﷺ - اشتياقا، وطابت لذاكرها كاستطاب الجائع النافع ذواقا، جعلنا الله - عز وجل - من الدائمين على ذكره، والقائمين بما يجب من أمره - انتهى.

ومنها عند قوله: فلقد بلغنا قاموس البحر، ما نصه: قاموس البحر: وسطه، وفى حديث ابن عباس: ملك موكل بقاموس البحار، أى: وسطها، وعلى قدر ما يكون غمس قدميه فيها يكون الجزر. انتهى.

ومنها قوله: ومخمول ذكرها ما نصه، كذا وجدته، والأشهر: مخمل، لأنه يقال: أخمل فلان فلانا، وإن كان خمله أيضا منقولا، وفى الحديث: إنه مما يمن الله به على عبده يوم القيامة، أن يقول له: ألم أخمل ذكرك فى الناس - بضم الهمزة من أخمل - انتهى.

ومنها عند قوله - رحمه الله - والطبع الجهورى ما نصه: كذا فى النسخة التى انتسخت منها، وذلك غلط من الناسخ، وإنما هو الجوهرى - والله الموفق للصواب، انتهى.

ومنها عند قوله: قال أبو محمد الأصيلى: من أعجب أمرهم، أنهم لا توجد منهم جماعة، ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه - ﷺ يقدم عليه، ولا يجيب إليه ما نصه: قال كاتبه: هذا الذى قال الأصيلى قد نصه الله تعالى فى كتابه بقوله: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ... (٩٥)**﴾ [البقرة]، وقوله فى الجمعة: ﴿**وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا ... (٧)**﴾ [الجمعة] فذكر الأبدية فى الموضعين، فتمنيهم محال وقوعه، وكذلك آية المباهلة، أكدها سبحانه بقوله: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ... (٦٢)**﴾ [آل عمران] انتهى.

ومنها عند قوله: ويعادى إذا عيد ما نصه: كذا وجدت فى المنتسخ منه، والصواب أعيد، لأنه من أعاد - انتهى.

ومنها عند قوله: هو الفصل ليس بالهزل ما نصه. قال عبد الرحمن: كان بعض من أدركنا من أهل العلم والمستبحرين فى العلوم، يقول الحديث الصحيح: اطلبوا لفظه أوبعض لفظه أو معناه فى القرآن تجدوه، وهذا من ذلك القبيل: قوله فى هذا الحديث: هو الفصل ليس الهزل. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)**﴾ [الطارق]. انتهى.

وقد ذكر الإمام ابن مرزوق عن بعض شيوخه (الصلحاء) أنه كان كثيرا ما ينتزع مضمن الأحاديث من الآيات، وقال - رحمه الله - حين ذكر الصبر عند الصدمة الأولى - الحديث: أن نظيره من القرآن قوله تعالى: ﴿... وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ... (١٧٧)﴾ [البقرة]. انتهى كلام ابن مرزوق بمعناه. قلت وقد سلك هذه الطريقة صاحبنا وعصرينا، الفقيه الصالح، البركة، العلامة، العارف الصوفى، سيدى عبد الرحمن الفاسى - حفظه الله - فإنه لما قرئ - (بين) يديه - حفظه الله - حديث فاطمة - رضى الله عنها - فى طلبها الخادم من النبى ﷺ، وقول النبى ﷺ - لها ولعلى - رضى الله عنهما - فذلك خير لكما من خادم. قال - حفظ الله - مصداق قوله تعالى: ﴿... وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ... (٤٦)﴾ [الكهف] وقال حفظه الله - بين حديث "أرأيت إن كان أسلم... الخ مصداقه قوله تعالى: ﴿... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... (٥٥)﴾ [آل عمران]. وله - حفظه الله - فى المعنى وغيره الباع المديد.

وقد أجاب أبقاه الله - من سأله عن بيان الملازمة فى قول البوصيرى: لو ناسبت قدره - البيت بأن النبى - ﷺ - روح الوجود، فلو ناسبت آياته قدره، لأحيا اسمه - لأنه الروح. انتهى بمعناه، وله من مثل هذا ما لا يحصى - أعانه الله، ونفع به المسلمين، فلقد أحيا من العلوم والرسوم الدارسة، وخصوصا علم التصوف، فإنه لا يسبق فيه، بل انفرد به عن أهل عصره مع المشاركة التامة فى البيان - والأصلين والمنطق والعربية، وأما التفسير والحديث فهو صاحب العلم المستطيل فيهما - إلى ما هو عليه من الزهد والتقلل من الدنيا والانقباض عن أهلها بكلية، كثر الله فى الأعلام أمثاله بجاه النبى - ﷺ.

ومنها عند قوله: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه - رحمه الله - بقراءتى عليه، حدثنا القاضى عيسى بن سهل - ما نصه: هو - يعنى ابن سهل - من شيوخ أبى - رحمه الله، وهو أسدى النسب، وكان من الراسخين فى المسائل، وصنعة الوثائق، والخط البارع، والكرام المنيف، والإيثار على نفسه، والجزالة النافذة فى أحكامه، وفصل القضاء، وكثرة الرواية، رحمه الله وتغمدنا وإياه برحمته. انتهى. وقد قدمنا ذكره فراجعه فى شيوخ عياض.

ومنها عند قوله: ولم يكن فى ثمرها سنين كفاف - ما نصه: معنى سنين: أن لو صرمت سنين ما اجتمع فيما يغتل منها كفاف دينهم - انتهى.

ومنها عند قوله: واقبض منه ولا تكبه ما نصه: يقال: كببت الإناء، وأكببته فعلى هذا نقول هنا: تكبه وتكبه - انتهى.

قلت: انظر مع ما اشتهر من أن أكب لازم، وكب متعد وهو مذكور فى صحيح البخارى وغيره، وفيه وقع اللغز المذكور فى محله، إلا أن يقال هذا الذى هنا فى الشفا فى كب الإناء، وذلك فى أكب فلان، وفيه للنظر مجال - والله أعلم.

ومنها عند قوله: وادع لى فلانا وفلانا، ومن لقيت ما نصه: انظر قوله: ادع فلانا وفلانا، ثم قال بعد ذلك: ومن لقيت، وكذلك قال فى حديث أنس أيضا الذى فى مقلوب هذا الصفح إذ ابتنى النبى - ﷺ بزينب، وراوى الحديث واحد، لكنه لم يسم هنا أن الزوجة كانت زينب، فيخرج من تسميته أولا فلانا وفلانا دعاء الخاصة أولا، لأن لهم ولكل أحد منزلة، وفى الحديث أن جبريل - عليه السلام - قال له: أنزل الناس منازلهم - انتهى.

ومنها عند قوله: وأكـون فى مكان لا أبلى فيه - ما نصـه: لا أبلى فيه من الابتـلاء، ولا أبلى من البلى، ويحـتمل الوجـهين، ويحـصل الله له فى الجنة المعنيين - لا يبتلى ولا يبلى - انتهى.

ومنها عند قوله: فقال أبو بكر: نحن أحق لك بالسجود منها - الحديث ما نصـه: يعنى ما جـاء فى باب كلام الشـجر وشهـادتها بالنبـوة إذ قال: لو أمرت أحـدا بالسجـود لأحد، لأمرت المرأة أن تسـجد لزوجـها فتـأمله هناك بتمامه. انتهى.

ومنها عند قـوله: حدثنا أبو مـحمد العـتابى - ما نصـه: يعنى الفقـيه الراوية بقرطبـة، عبد الله بن محمـد بن عتاب - رحمـه الله، وهو من جملة شيوخ أبى - رحمه الله - وكتب له خطه بما قرأ عليه وسمع أجازة فى جميع ما يرويه من جميع الوجوه - انتهى.

ومنها عند قوله: إثر الكلام السابق، حدثنا أبو القاسم، حاتم بن محمد - ما نصـه: حاتم هذا بينى وبينه الشيخ المحـدث الراوية، أبو الحسن، فقـيه قرطبة وأحد عظمائها بل عظماء جزيرة الأندلس: يونس بن مغيث عرف بابن الصفار - رحمه الله، فاستوى مع أبى فيما يخرج عنه فيه. انتهى.

ومنها عند قوله: إلا واحدة غرسهـا غيره ما نصه هو عمر - رضى الله عنه، وربما صـحف الناسخ فى الأصل الذى نسخت منه عـمر فكتب غـيره، وذلك قريب فى الالتباس، انتهى.

ومنها عند قوله: فـمات وهو ابن ثمانين سنة فما شـاب... ما نصه، تأمل وانظر أن البركـة فى رفع الشيب، وكذلك فى الحـديث الذى بعد هذا، فى خبر قيس بن زيد لم يشب مـا مرت عليه يد النبى - ﷺ من رأسه، وفى

حديث إبراهيم - عليه السلام إذا سأل عن الشيب أول ما رآه فقال الله تعالى: «وقار» فقال: «يارب زدنى وقارا» - فتأمل كيف يجمع بينهما، - انتهى.

قلت: والجواب سهل لمن تأمل

ومنها عند قوله: حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى - ما نصه - هو الطرطوشى، وكان سكن الإسكندرية، وكان من العلماء المستبحرين الزاهدين القوالين بالحق، رأيت له رسالة كتب بها إلى يوسف بن تاشفين، خوفه فيها من عاقبة الجور، وحضه على نصر جزيرة الأندلس، وجمل من الخير، وجلب فيها آيات وأحاديث ورقائق جمة، وحملها مع عبد الله بن العربى، وابنه الفقيه القاضى أبى بكر - رحم الله الجميع. انتهى.

وقد قدمنا ذكر الطرطوشى هذا، فراجعه.

ومنها عند قوله: وينذرون ولا يوفون ما نصه: وهو من النذر، يقال: نذر - ينذر - بضم الذال، وكسرها فى المستقبل والماضى مفتوح، قال الله تعالى: ﴿ ... إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ... (٢٦) ﴾ [مريم]، ونذر بكسر الذال فى الماضى، معناه: علم تقول: نذرت بالقوم إذا علمت بهم، فاستعددت لهم، وأنذر رباعيا إذا قدم لوقوع أمر، ومنه قوله تعالى فى الأمر منه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ [الشعراء] - أى قدم لهم ما يخاف من أمر الله - عز وجل - انتهى.

ومنها عند قوله: وأخبر بالموتان ما نصه، يقال: وقع فى الناس موتان، وموات إذا كثر فيهم الموت - بضم الميم فيهما، وأرض موات بالفتح - خاصة إذا كانت غامرة غير معمورة - انتهى.

ومنها عند قوله: وإن الحسنة بعشر، فتلك مائة وخمسون على اللسان، وألف وخمسمائة فى الميزان ما نصه: هذا الحديث لا يفهم إلا بأوله، وأوله عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله - ﷺ: خصلتان - أو قال: خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، يسبح أحدكم فى دبر كل صلاة عشرا، ويحمد عشرا ويكبر عشرا، قال: فأنا رأيت رسول الله - ﷺ، يعقدهن بيده، قال: فهى خمسون ومائة - الحديث، ثم قا بعد قوله فى الميزان: وإذا آوى أحدكم إلى فراشه من الليل أو مضجعه، يسبح الله ثلاثا وثلاثين، ويحمد ثلاثا وثلاثين، ويكبر أربعا وأربعين، فهى مائة على اللسان، وألف فى الميزان، فقال رسول الله - ﷺ: فأيكم يعمل فى ليلة بألفين وخمسمائة سيئة. انتهى.

ومنها عند قوله: وقوله بموضع نعم موضع الحمام - هذا - ما نصه: هو داخل فى معرفته - ﷺ بالهندسة والبناء، ذكره أبو نعيم فى رياضة المتعلمين، ورواه عن أبى رافع قال: مر رسول الله - ﷺ على موضع، فقال: نعم - الحديث، ثم قال: فبنى فيه حمام - انتهى.

ومنها عند قوله - حاكيا عن مالك: وكنت أرى جعفر بن محمد ما نصه: هو كعفر بن محمد الصادق - رضى الله عنه، وكان مالك - رضى الله عنه - وسط سفيان أن يكون من جملة من يسمع منه، فكلمه سفيان وابن أبى ليلى، فقال لهما جعفر - إنكما لتعلمان أنى لا أخبره - والأمويون بالمدينة كثير، ونكره القول علينا، فأخبراه بسلامته وحسن مذهبه، فأذن له، وكان مالك وسيما، أبيض أحمر، وكان له فى صدره نهدان كنهدى البكر، فجلس مالك فى مجلسه حيث انتهى به المجلس وأقام ركبته اليمنى، وترك عليها خده

الأيمن، وجعل يطرق وجعفر يحدث، حتى أربعين حديثا، وليس مع مالك محبرة ولا قرطاس، فلما فرغ المجلس، قال جعفر لسفيان، ذكرتما أنه يطلب العلم، والحديث، وليس معه شيء يكتب به، ولا كاتب يكتب له، فقال له سفيان: سله أنت عن خبره، فقال له: يا بنى، ما كتبت ولا كتب لك، فما أفدت؟ فقرأ عليه مالك المجلس من حفظه، فأعجب به جعفر، ثم سأل عنه سؤالا شافيا، حتى ذكر له خبر أمه وعقلها ودينها وجمالها، فسفر سفيان وابن أبى ليلى فى خطبتها عليه، فمشيا إليها، وأخذا معها فى ذلك، فقالت: لوكان جعفر بن محمد ما أجبت، فقالا: هو ذاك، فأطرقت ساعة ثم قالت: اكفونى وحلمى وقد قبلت، فأعلماه بذلك، فأدخل يده فى كيس الأثمان، وقبض منه قبضة، فأرسل إليها مهرها، فكلما مالكا فى العقد عليها فأبى، فقالا له: فما الحيلة؟ فقال لهما مالك: توكل أحدكما على العقد وأكون أنا مع الشاهد الآخر، فقالا لها: متى يكون الدخول، فقالت: لا تصلح المرأة شأنها فى أقل من شهر، فأخبرا جعفرا فقال: وحق أبى وجدى لا صبرت أكثر من يوم، فإما أن تجيبنى، وإما أن لا، قالا: فدعا بالكيس، وقبض قبضتين وقال: تنفق فيما تريد، وتتهيأ الليلة، فأعلماها بذلك، فأصلحت شأنها، ودخل عليها من ليلتها، وحظيت عنده حظوة كبيرة، ومات وورثت ثلث ثمنه، وكان له زوجتان غيرها وعنه يكنى مالك إذا قال: حدثنى الثقة، ومن لا أتهم - فإنما يعنى إياه - انتهى.

ومنها عند قوله: وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق النبى ما نصه التلاوة فوق صوت وأسقط صوت فى الكتاب، ولا أدرى هل هو من الناسخ، أو كذا قرأ ابن مهدى. انتهى.

ومنها عند قوله: فآثرت حب رسول الله - ﷺ على حبى - ما نصه: ولا يبعد أن يروى: فآثرت حب رسول الله - ﷺ على حبى - بالكسر فيهما، لأن أسامة كان حب رسول الله - ﷺ - أى حبيبه، وابن عمر حب أبيه، وابن أسامة حب أبيه فكما آثر حب رسول الله - ﷺ - على نفسه، كذلك أراد أن يؤثر ابنه حبه على حبه هو، وفى ذلك كله إيثار حب رسول الله - ﷺ - على حبه، فتأمله. انتهى.

ومنها عند قوله: ثم قصد إلى الروضة - وهى ما بين القبر المنبر - فاركع فيهما - ما نصه: فيها هو الصواب - يعنى الروضة، لأن فيها هو الركوع، وقد بينه بعد هذا، فتأمله - انتهى.

ومنها عند قوله: وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة.. إلى آخره ما نصه: قال ابن حبيب فى الواضحة: روى أن النبى ﷺ قال: صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فى غيره من المساجد، وإن صلاة فى مسجد النبى - ﷺ - أفضل من ألف صلاة فى غيره من المساجد، وإن صلاة فى بيت المقدس أفضل من خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد، وإن صلاة فى المسجد الجامع حيث المنبر والخطبة أفضل من خمسة وسبعين صلاة فى غيره من المساجد، وإن صلاة فى مسجد غيره، أو فى جماعة فى غيره مسجد أفضل من صلاة الفذ بخمسة وعشرين صلاة، وهذا إن كان عدد الجماعة أقل من خمسة وعشرين رجلا، وإن كانوا أكثر من ذلك، فالثواب فى تضعيف الحسنات على عدد الرجال، وكذلك إن كان العدد فى جامع أكثر من خمسة وسبعين، فالثواب على عدد الرجال، وكذلك فى الثلاث مساجد عندئذ والذى ذكر ابن حبيب أن الثواب على عدد الرجال، رأيت لأبى هريرة

وقال له رجل: إن كانوا عشرة آلاف، فقال له: وإن كانوا أربعين ألفا، وكذلك ذكر أبو إبراهيم فى معالم الطهارة، وأسند التفسير لابن عباس - انتهى.

ومنها عند قوله: ﴿... إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ... (٥٢)﴾ [الحج] - ما نصه: تمنى هنا معناه: تملى، والأمنية كذلك التلاوة، وكذلك فى قوله عز وجل، فى سورة البقرة: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ ... (٧٨)﴾ [البقرة] - فأمانى: جمع أمنية وهى التلاوة، والأمانى أيضا: الأكاذيب، ومنه قول عثمان - رضى الله عنه - ما تمنيت منذ أسلمت - أى ما كذبت.

وقول بعض العرب لابن دؤاب وهو يحدث: أهذا شىء رويته أم شىء تمنيته - أى افتعلته. والأمانى أيضا: ما يتمناه الإنسان ويشتهيه، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ ... (٩٥)﴾ [البقرة]، ﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ ... (٧)﴾ [الجمعة] أى لا يشتهونه - انتهى. على أن فى متن الشفا قريبا من هذه الحاشية، فلا أدرى لم كتبها ابن القصير مع أن أكثر معناها فى أصل الشفا؟ والله أعلم.

ومنها عند قوله: وأما الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام فيتفاضلون فى المعارف.. إلى قوله: لأنه ما علمنا أنه كان فى زمان موسى نبى غيره، إلا أخاه هارون - ما نصه: قال كاتب النسخة: تذكر أن شعيبا - عليه السلام كان فى زمن موسى وقد ذكر الله تعالى - اجتماعهما، إذ مر موسى - عليه السلام، ووجد بناته.. إلى آخر ما ذكر من الخطبة التى كانت بينهما، ومخاطبة شعيب له لنفسه، إذ قال له: ﴿... لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)﴾ [القصص] - وقد ذكر الله تعالى إرسال شعيب فقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... (٨٥)﴾ [الأعراف] - وقال تعالى عن الذين لم يؤمنوا برسالته: ﴿... لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ ... (٨٨)﴾ [الأعراف]. وقال عمن قال منهم: ﴿... لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ

شُعَيْبًا ... ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأعراف]. وقال: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأعراف] فهذه الآى صريحة فى نبوته وإرساله، فتذكر ذلك - انتهى ما انتقيته من حواشى المذكور على النسخة التى بخطه من الشفا، وذكرت ذلك وهو لا يخلو من فائدة - تتميما للمقصود - والله الموفق.

وإذ جرى ذكر آية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ... ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج] - فلنذكر كلام القسطلانى عليها فى كتابه المسمى بـ «المواهب اللدنية» فهو شاف كاف ونصه: وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرأ - عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ [النجم] - حتى بلغ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم]، ألقى الشيطان فى أمنيته أى فى قراءته: تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى. فلما ختم السورة، سجد - ﷺ، وسجد معه المشركون - لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير، وفشا ذلك فى الناس، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين: عثمان بن مظعون وأصحابه، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله - ﷺ، وقد أمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعا من الحبشة. والغرانيق - فى الأصل - الذكور من طير الماء، واحدها غرنوق، وغرنيق سمى به لبياضه، وقيل هو الكركى، والغرنوق أيضا: الشاب الأبيض الناعم، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله تعالى وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع، ولما تبين عدم ذلك للمشركين، رجعوا إلى أشد ما كانوا عليه.

وقد تكلم القاضى عياض فى الشفا على هذه القصة، وتوهين أصلها بما يشفى ويكفى، لكن تعقب فى بعضه كما سيأتى - إن شاء الله تعالى.

وقال الإمام فخر الدين الرازى مما لخصته من تفسيره: هذه القصة باطلة موضوعة، لا يجوز القول بها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]. وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ۝٦﴾ [الأعلى] وقال البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة طعونون[1]، أيضا فقد روى البخارى فى صحيحه، أنه - عليه السلام قرأ سورة والنجم، وسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق، ولاشك أن من جوز على الرسل تعظيم الأوثان، فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة، أن أعظم سعيه كان فى نفى الأوثان، ولو جوزنا ذلك، ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع، أن يكون (ذلك) ويبطل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ... ۝٦٧﴾ [المائدة]، فإنه لا فرق - فى العقل - بين النقصان فى الوحى، وبين الزيادة فيه. فبهذه الوجوه، عرفنا - على سبيل الإجمال - أن هذه القصة موضوعة، وقد قيل إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها - انتهى.

وليس كذلك، بل لها أصل، فقد خرجها ابن أبى حاتم، والطبرى، وابن المنذر، من طرق، وكذا ابن مردويه، والبزار، وابن إسحاق فى السيرة، وموسى بن عقبة فى المغازى، وأبو معشر فى السيرة، كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره، ولكن قال إن طرقها كلها مرسلة، وأنه لم يرها مسندة من وجه صحيح، وهذا متعقب بما سيأتى، وكذا نبه على ثبوت أصلها

(١) أى مطعون فيهم.

شيخ الإسلام الحافظ، أبو الفضل العسقلانى فقال: أخرج ابن أبى حاتم، والطبرى، وابن المنذر، من طرق عن شعبة عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قرأ رسول الله - ﷺ بمكة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فلما بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠)﴾ - ألقى الشيطان على لسانه - تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ ... (٥٢)﴾ [الحج] - الآية، وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال فى إسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فيما أحسب، ثم ساق الحديث.

قال البزار: لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد، وتفرد بوصله أمية بن خالد - وهو ثقة مشهور، وقال: إنما يروى هذا من طريق الكلبى، عن أبى صالح عن ابن عباس - انتهى. والكلبى متروك لا يعتمد عليه.

وكذا أخرجه النحاس آخر، فيه الواقدى، وكذا ابن إسحاق فى السيرة - مطولة وأسندها عن محمد بن كعب القرظى، وكذلك موسى بن عقبة فى المغازى عن ابن شهاب الزهرى، وكذا أبو معشر فى السيرة له عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس، وأورده عن طريقه الطبرى، وأورده، ابن أبى حاتم من طريق أسباط عن السدى، ورواه ابن مردويه من طريق (عباد) بن صهيب، عن يحيى بن كثير، عن الكلبى، عن أبى صالح عن أبى بكر الهذلى، وأيوب عن عكرمة، وسليمان التميمى، عمن حدثه، ثلاثتهم، عن ابن عباس، وأوردها الطرى أيضا من طريق العوفى، عن ابن عباس - رضى الله عنهما، ومعناهم فى ذلك كله واحد، وكلها سوى من طريق سعيد بن

جبـير، إمـا ضعيف وإمـا منقطع، لكن كـثرة الطرق تدل على (أن) للقـصة أصلا، مع أن لهـا طريقين آخرين مـرسلين رجالهـما على شرط الصـحيح: أحدهما ما أخرجه الطـبرى من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب. حدثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فـذكر نحوه، والثانى ما أخرجه أيضا من طريـق المعتمـر بن سليمـان، وحماد بن سلمـة، عن داوود بن أبى هند، عن أبى العالية

قال الحافظ ابن حجر وقد تجرأ ابن العـربى كعادته فقال ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيرة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول القاضى عـياض هذا الحـديث لم يخـرجـه أهل الصحـيح, ولا رواه ثقـة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، واضطـراب رواياته، وانقطاع أسانيده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القـصة من التابعين والمفسـرين، لم يسندها أحد منهم، ولا رفعـها إلى صاحب، وأكثـر الطرق عنهم ضعيـفة واهية. قـال: وقد بين البزار أنه لا يعرف مـن طريق يجوزه ذكره، إلا طريق أبى بشر عن سـعيد بن جبـير - مع الشك الذى وقع فى أصله، وأما الكلبى فـلا تجوز الرواية عنه - لقوة ضـعفـه، ثم رده من طريق النظر، فإن ذلـك لو وقع، لارتد كثـير ممن أسلم، قال: ولم يرو ذلك - انتهى.

وجميع ذلك لا يتـمشى على القواعد، فإن الطريق إذا كـثرت وتباينت مخارجها، دل ذلك على أن لها أصـلا، وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحـيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها مـن يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك، تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر - وهو قـوله: ألقى الشيطان على لسانـه - تلك الغرانيق العلى، وإن

شفاعتهن لترتجى، فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه ﷺ - أن يزيد فى القرآن عمدا ما ليس فيه، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء فى ذلك مسالك، فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبرى عن قتادة، ورده القاضى عياض بأنه لا يصح، لكونه لا يجوز على النبى - ﷺ ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه فى النوم، وقيه، أن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بعد اختياره، ورده ابن العربى بقوله تعالى - حكاية عن الشيطان: ﴿ ... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ... (٢٢) ﴾ [إبراهيم] قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك، لما بقى لأحد قوة على طاعة. وقيل إن المشركين كانوا إذا ذكر آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه - ﷺ، فجرى على لسانه لما ذكرهم - سهوا. وقد رد ذلك القاضى عياض فأجاد وقيل: لعله قال ذلك توبيخا للكفار. قال القاضى عياض: وهذا جائز إذا كانت قرينة هناك تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام فى ذلك الوقت فى الصلاة جائزا، وإلى هذا نحا الباقلانى. وقيل أنه لما وصل إلى قوله - ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) ﴾ [النجم]، خشى المشركون أن يأتى بعدها بشىء يذم آلهتهم فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه بتلاوة النبى - ﷺ - على عادتهم فى قولهم: ﴿ ... لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ... (٢٦) ﴾ [فصلت]، ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان: شيطان الإنس. وقيل المراد بالغرانيق العلى: الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها فيسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) ﴾ [النجم]. فلما سمعه المشركون، حملوه على الجميع، وقالوا: عظم آلهتنا ورضوا بذلك، فنسخ الله تينك الكلمتين، وأحكم آياته، وقيل:

كان النبى ﷺ يرتل القـرآن، فلما ترصده الشيـطان فى سكتة من السكنات، ونطق بتلك الكلمات - محاكيه نغمة النبى - ﷺ، بحيث يسمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعهـا، قال: وهذا أحسن الوجوه. ويؤيده ما ورد عن ابن عبـاس من تفسير تمنـى بتلا، وكذا استـحسن ابن العربى هذا التـأويل وقال: معنى قوله فى أمـنيته - فى تلاوته، فأخبـر الله تعالى فى هذه الآية، أن سنة الله فى رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيـه من قبل نفسه، فهذا نص فى أن الشيطان زاد فى قول النبى - ﷺ، قال وقد سبق إلى ذلك الطبرى مع جلالة قدره وسعة علمه، وشدة ساعده فى النظر، فصوب على هذا المعنى - انتهى.

هذا مـا أمكن نقله من كـلام صـاحب المواهب اللدنـية - رحـمـه الله تعالى، وقد وقفـت بتلمسان على تأليف عجيب فى المسألة - للـشيخ العلامة سيدى محمد بن العباس التلمـسانى، ورأيته عند أحفاده بخطه، وقد سماه بـ "العـروة الوثقى، فى تنزيه الأنبـياء - عليـهم الصـلاة والسلام - عن فـرية الإلقا»، وسماه باسم آخر على سبيل التخيير، نسيته الآن لطول العهد.

رجع: وأنا أروى كتاب الشفا عن شيخنا الإمام، المؤلف الكبير الحافظ، سيدى أحمـد، الشهير ببابا التنبكتى - حفظه الله بحـق سماعه له: عن والده من لفظه، وأجاز فيه بحق روايته له عن أمـين الدين الميمونى بمكة، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصـارى بسنده العالى جدا إلى عياض - رحـمه الله تعالى، وأرويه بأعلى من هذا - عن مولانا العم، الإمام شيخ الإسلام، مفتى الأنام، سيدى سعيد بن أحمد المقرى التلمسانى - رحمه الله تعالى، عن شيخه الإمام الحافظ العلامة، أبى زيد سـيدى عبد الرحن سقين العاصـمى، عن الشيخين

القلقشندى، وشيخ الإسلام: زكريا، عن ابن الفرات، عن الدلاصى، عن ابن تامتيت، عن ابن الصائغ، عن عياض.

قلت: ابن تامتيت: هو أبو العباس: أحمد بن محمد بن الحسين بن على بن تامتيت اللواتى الفاسى، عده ابن عبد الحق التلمسانى، فيمن روى عن أبى الحسين يحيى بن محمد بن على بن يوسف بن خلف بن يحيى الأنصارى السبتى، وذكر معه الشارمى وابن قطرال وأبا الخطاب بن خليل وأبا زيده بن أبى عمران التليدى، وأبا العباس العزفى، والقفال، وابن عبد المؤمن، وأما ابن الصائغ، فكان مختصا بشيخ الشيوخ ولى الله: سيدى أبى يعزى يلنور أفاض الله علينا من أنواره، وقضى لنا بجاهه ما يؤمله العقل من أطهاره، وقد أسند عنه العزفى، وأبو يعقوب التادلى - جملة من كرامات سيدى أبى يعزى - رضى الله عنهم - أجمعين ونفعنا ببركاتهم.

وأما الدلاصى: فهو شيخ الحديث والقراءات، عفيف الدين، أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الأحد بن على القرشى المخزومى الشافعى الدلاصى أصلا المكى دارا ووفاة - سنة واحد وعشرين وسبعمائة، ومولده فى أول رجب سنة ثلاثين وستمائة.

وأروى أيضا كتاب الشفاء، عن مولانا العم المذكور، عن شيخه الإمام سيدى أبى عبد الله، التنسى، عن والده شيخ الإسلام الحافظ سيدى محمد ابن عبد الله بن عبد الجليل التنسى الأموى عن شيخه الإمام الشهير الكبير، علم الأعلام، وشيخ الإسلام، سيدى أبى عبد الله بن مرزوق عن جده خطيب الخطباء، الرئيس الشهير أبى عبد الله محمد بن مرزوق قال: رأيت

عياضا فى المنام، فناولنى كتابه الشـفاء، قال: وإن لم يعتد على مثل هذا فى التحديث، فإن كثيرا من العلماء بالحديث يذكرونه للتبرك - والله أعلم.

وقال الشيخ العـلامة: سيدى مـحمد بن سيدى الحـسن ابن مخلوف لما ذكر مثل هذا عن الخطيب بن مرزوق، وأسنده إليه - أن هذا استملاح.

وبنو مرزوق هؤلاء لهم رئاسـة فى العلم بتلمسـان، توارثوها سلفا عن خلف، ولولا الخروج إلى الطول المـفرط، لذكرت بعض مـآثرهم، على أنها أشهر من نار على علـم، ولهم على جدنا أحمد ولادة، فإن أم جـدى أحمد المذكور، بنت الفقيه العلامة، سيـدى محمد بن مرزوق، المعروف بالكفيف، وهو أحـد شيـوخ ابن غـازى بالإجـازة، وولد الكفيف المـذكور، هو شـيخ الإسلام أبو عبـد الله بن مرزوق، شارح البردة والمختصـر، وصاحب التآليف الشهيرة، وأشـهر أسلافنا القاضى بفاس: سيدى أبو عبـد الله المقرى - رحمه الله - هو خال أبيـه - حسبمـا ذكر هو ذلك فى بعض أجوبته، وهو مـذكور أوائل نوازل الفكاك فى المعيار، وقد أخبرنى بهذا كله مولانا العم سيدى سعيد ابن أحمد المقرى - رحمه الله.

وحدثنى أيضا بكتاب الشفا، عن شـيخه المفتى سيدى على بن هارون، عن شيخه الإمام سيدى محمد بن غازى، بسنده المذكور فى فهرسته، ولنا فيه أسانيد أخرى، وفيما ذكرناه كفاية - والله ولى التوفيق.

وقد قرأ كتاب الشفاء على مؤلفه من لا يحصى كثرة من الأعلام، وهو ستـة أجزاء. ومن تآليف عـياض - رحمـه الله: كتاب مـشارق الأنوار على صحيح الآثار - ستة أجزاء. ضخمة، وهو من أجل الدواوين وأنفعها.

ويقال إن القاضى أبا الفضل توفى - ولم يخرجها من مبيضاتها، فخرجها بعده الحافظ المحدث، أبو عبد الله، محمد بن سعيد الطراز، وفى المشارق، يقول الإمام، أبو عمرو بن الصلاح الشهرزورى، صاحب كتاب علوم الحديث، وكان يعجب بالمشارق وكلما طالعها أنشد:

مشارق أنوار تجلت بسبتة وذا عجب كون المشارق بالغرب

وقد ذيل هذا البيت جماعة منهم: القاضى المؤرخ أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك الكراكشى رحمه الله إذ يقول:

تنادى بأنوار المشارق نخوة بمطلعها فى الغرب يا شرق غربى

ومنهم الخطيب أبو عبد الله بن رشيد الفهرى، إذ يقول:

ومرعى خصيب فى جديب ربوعها

ألا فاعجبوا للخصب فى منزل جدب

ومنهم الشريف نور الدين أبو الحسن على بن جابر الحسينى الهاشمى، شيخ دار الحديث المنصورية، قال ابن جابر: وأنشدنيها:

مشارق أنوار طلعن بمغرب

أنرن جميع الشرق بالطالع الغرب

بدا نوره فى الكون قد لاح هاديا

رياض عياض نزهة العين والقلب

ونظم عقد الدين فيه فأصبحت

محاسنه تجلى على العالم الندب

فلله مـا أبـدى عـيـاض فـأشـرقت

مـــشـــارقـه فـى كل قطر بلا غـــرب

فـــقل لذوى علـم الحـديـث تنوروا

مـشـارق أنوار تـروا مـا ورا الحـجب

قلت: وأخبرنى مولانا العم الإمام - رضى الله عنه، إن بعضهم أجاب ابن الصلاح بقوله:

فـمـا فضل الأرجـاء إلا رجـالهـا وإلا فـلا فـضل لتـرب على ترب

انتهى.

وأنشدنى بمحروسـة فاس لنفسه، الفقـيه الأصيل الأديب الناظم،الناثر، سيدى على بن أحمد الشامى - حفظه الله وجوده.

لقـد شهـدت حقـا جـميع المهـارق

بما حـاز من فـضـل كـتـاب المشـارق

وإن هو منها فى العـلا وشى معصم

وحلـيـــــة أنـوار وتاج المـفـــــارق

ونخـــبـــة أبـرار وتحـــفـــة قـــادم

ونزهـة أبصـــــار وأنـس المفـــــارق

وأنشدنى لنفسه أيضا - حرس الله علاءه:

جـــزى الله عـنا كل خـــيـــــر ومنة

عـيـــاضـا بما أبدى لنا من مـــشـارق

obeikandl.com

به أشـرقت شـمس الغـريب بغـربنا

فـدانت لـه تعنو شـمـوس المشـارق

وله أيضا - حفظه الله:

عيـاض لك الخيـرات أطلعت للورى

مـشـارق أنوار الهـدى بالمغـارب

فـجـد لى بنور من سـناك يحـوطنى

فأغدو وحـبلى فى الدجى فوق غاربى

ومن تآليف القاضـى عياض - رحـمه الله - «إكمـال المعلم، فى شرح مسلم» - تسعة وعـشرون جزءا. قال ابن جابر: وفيه يـقول شيخنا أبو الحكم مالك بن المرحل، وأجازنيه رحمه الله تبارك وتعالى:

من قـرأ الإكـمـال كـان كـاملا فى علـمـه فـزين المحـافـلا

وكـتب العـلم كـنوز إنهـا تفـيـد قلـبـا عـاجـلا وآجـلا

وليس من كـتب عـيـاض عـوض فـإنه كـان إمـامـا فـاضـلا

ومن تواليـفـه - رحمـه الله - «كـتاب المسـتنبطة، فى شـرح كلمـات مشكلة، وألفاظ مغلظة، مما وقع فى كتاب المدونة والمختلطة» - عشرة أجزاء، ولم يؤلف فى فنه مـثله، وقد غلـب على تسمـيتـه ببلاد إفـريقيـة وغيـرها «التنبيهات».

قال أبو عبد الله بن أحمد بن حيـان، أنشدنى شيخنا الأعدل، أبو عبد الله محمـد بن على التوزرى ابن المصرى لنفسـه مما كتبه - رحـمة الله تعالى عليه.

كـأنى مـذ وافى كـتـاب عـيـاض أنزه طـرفى فى مـــــريـع رياض
فـــأجنى به الأزهار يـانعـــة الجنا وأكـرع مـنه فى لذيذ (حـــيـاض

ومن تآليفه - رحمه الله: كتاب «الإلماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع» - سفر. وفيه يقـول الشيخ، أبو عبد الله محمد بن حـيان - رحمه الله. قال ابن جابر: ونقلته من خطه:

يا طالبـــا علم الحـديث وحـــمله لجـــمـــيع مـا يـروى من الأنواع
تبـين ذلك كله لـعـــيـــاض فى تألـيـــفـــه الموصـــوف بـالإلماع
الله يرحـــمـــه ويجـــزل أجـــره فلـقـــد أتى فـى غـــايـة الإبداع
جـــمع الرواية والدراية مـــتـــقنا بالضـبط بالأبصـار والأســـمـاع
أنسى وأسـتـاذى وغـايـة بغـيـتى ومـذكـرى فى الخلف والإجـمـاع

ومن تآليفه رحمه الله: كتاب «الغنيـة» فى أسماء شيوخه، ووقفت عليه بتلمسان، وهنالك تركت نسخـتى منه، ولم أقف عليه الآن بفاس، بعد طول البحث عنه، وفى مدحه أقول:

غنيـة القـاضى عـيـاض غنيـــة عـــمـــا ســـواها
حلة مـــوشـــيـــة بل روضـــــة طاب جنـاها
جـــمـعت أعـــلام علم قـدرهم مـا إن يضـاهى
وحكت أخـــبـار قـــوم عنـهم الـعـــــدل رواها
وكـــفـــاها بابن رشـــد شـــرفـــا زاد سنـاها
كم بهـــا مـن مـــعلوات مـبـــهـجـــات من رآها
فـــعليـــه وعليـــهم رحـــمـــة لا تتنـاهى

ومن تآليفه - رحمه الله: «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك» - خمسة أسفار. ولم يسمعه مؤلفه، وهو غريب لم يسبق إليه.

ومن تآليفه رحمه الله: «الإعلام بحدود قواعد الإسلام». ومنها كتاب «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد» سفر. وكتاب خطبه - سفر، وقال ابن خاتمة: إنه اشتمل على خمسين خطبة من خطب الجمعات: وكتاب المعجم فى شيوخ الصدفى - رحمه الله، ومنها كتاب «المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان». قال ابن خاتمة: أنه فى سفرين، وقال ابن جابر الوادى آشى، وابن الخطيب: إنه لم يكمله. ورأيت فى نسخة من الشفا - بخط العلامة عبد الرحمن بن القصير الغرناطى المذكور آنفا - ما نصه: قال كاتبه: نسخت هذا السفر من كتاب على ظهره مكتوب بخط مؤلفه القاضى عياض - رحمه الله - ما نصه: يقول عياض بن موسى بن عياض اليحصبى: حضر قراءة جميعه على - الفقيه النبيه، أبو محمد عبد المنعم ابن الفقيه الأجل، الأستاذ الخير أبى بكر يحيى بن خلف بن النفيس الحميرى وأجزته له، وأذنت له فى الحديث به عنى، وبجميع رواياتى ومسموعاتى ومجموعاتى، وكذلك أجزت جميع ذلك لأخيه عبد المولى - كلا الله جميعهم، وأنبتهم نباتا حسنا، وكذلك أذنت لأبيهما الفقيه الأجل المذكور فيما رغب فيه من حمل مجموعاتى، وأجزت له جميعها، من ذلك كتابى هذا، وكتاب ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعيان مالك، وكتاب «بغية الرائد، لما تضمن حديث أم زرع من الفوائد». وكتاب «مشارق الأنوار، على مبهم صحائح الآثار» و«كتاب المقاصد الحسان، فيما يلزم الإنسان»، وكتاب

«الإعلام، بحدود قواعد الإسلام»، وغـير ذلك، وكتب فى تاريخ سبع محرم سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة - انتهى.

قال عـبد الرحمن المذكـور: وكتبت نسـختى هذه فى العـشر الوسط، والعشـر الغوابر من شهر رمـضان المعظم، سنة تسع وخمـسين وخمسـمائة، وكتبه لنفـسه بخطه عبد الرحمن بن أحمـد الأزدى - نفعه الله بطلب العلم، وختم له بخير بمنه - انتهى.

ومن تآليف القاضى أبى الفضل التى تـركها فى المبيضة، كـتاب «مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور» - جزء. كـتاب «نظم البرهان» على صحة جزم الآذان - جزء

***

انتهى الجزء الرابع

openkandil.com

obeikandl.com

أهم مراجع التحقيق

- الإحاطة فـى أخبار غـرناطة لابن الخطيب، طبـعة الخانجى، الـقاهرة ٢٠٠١م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض، بيروت، ٢٠٠٠م.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لابن خاقان، طبعة الأردن ١٩٨٩م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقّرى، بيروت ١٩٦٨م.

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
بين عياض والفتح بن خاقان	٥
عياض يتبارى فى موضوع الترسل	٨
رسالة كتب بها إلى الروضة الشريفة	١١
رسالة من ابن أبى الخصال إلى المقام النبوى	١٥
رسالة كتب بها عن رجل من أهل قرطبة إلى القبر الشريف	١٩
قصيدة لأبى زيد الفازارى، كتب بها إلى الحجرة الشريفة	٢٠
قصيدة لابن الغماد، يتشوق فيها إلى الجناب النبوى	٢١
رسالة كتبها ابن الخطيب عن السلطان أبى الحجاج، إلى الروضة النبوية	٢٣
رسالة كتبها ابن الخطيب عن السلطان الغنى بالله إلى المقام النبوى	٣١
رجع إلى نثر عياض	٥١
خطبة له ضمنها سور القرآن	٥١
خطبة على نهج خطبة عياض للطنجالى	٥٤
صلاة على الرسول لعياض، ضمنها أوصافه ﷺ ومعجزاته	٥٦
صلاة على الرسول لمحمد بن عمر الملالى	٦٣
صلاة لبعضهم تعدل عشرة آلاف صلاة	٦٤
الصلاة المشيشية	٦٤
صلوات أخرى	٦٦
صلاة لأبى إسحاق البلفيقى	١٠١

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
أدعية له	٦٨
من كلامه	٦٨
من أذكاره	٦٨
ترجمة أبى إسحاق البلفيقى	٦٩
من نظم أبى إسحاق	٨٣
صلاة للشيخ عبد القادر الجيلانى	٨٥
صلوات أخرى	٨٩
صلاة للشيخ عبد العزيز المهدوى	٨٩
صلوات للشيخ نور الدين الشونى	٩٤
صلوات خمس لبعض الأكابر	٩٦
صلوات لبعض العارفين	١١٣
صيغ فى الصلاة على الرسول لأبى عبد الله البكرى	١١٩
تعليق المؤلف على ذلك	١٢٢
قصيدة للبكرى - وهى مما يتوسل به لقضاء الحوائج	١٢٢
ما كتب به البكرى إلى قاضى مكة	١٢٤
من نظم البكرى يخاطب سلطان المغرب (الغالب بالله)	١٢٦
بين البكرى والسلطان أبى العباس السعدى	١٢٦
ديوان شعر للبكرى وتنويه المؤلف به	١٢٧
صلاة الشيخ على بن وفا	١٢٧
رجع إلى نثر عياض	١٢٩
بعض خطب عياض	١٢٩

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة

من نثره الفصيح فى كتاب الشفا:
إعجاز القرآن ١٣٢
أوجه إعجاز القرآن ١٣٣
تعليق ابن القصير على ذلك ١٣٦
قصيدة لعياض، يتحرق فيها شوقا إلى الروضة الشريفة ١٣٧
تأليف لبعض الفاسيين يتعلق بالقصيدة ١٣٧
تأليف أبى حفص الجزنائى فى الموضوع ١٣٩
رجع إلى كلام صاحب التأليف ١٤٤
تعليق الونشريسى على ذلك ١٥٤
رجع إلى كلام الجزنائى ١٥٤
نقد الفاسى له ١٥٥
تعليق الونشريسى على ذلك ١٥٨
رجع إلى كلام المؤلف (الفاسى) ١٥٨
خاتمة الجزنائى وتعليق الفاسى عليها ١٦٠
استدراكات الفاسى ١٦١
تعليق الونشريسى على ذلك ١٦٥
رجع إلى كلام الفاسى ١٦٥
حواشى الونشريسى وتعقيب الفاسى عليها ١٦٧
الحاشية الأولى ١٧٧
الحاشية الثانية ١٧٨
الحاشية الثالثة ١٨١
الحاشية الرابعة ١٨٣

obeikandi.com

الموضوع	الصفحة
الحاشية الخامسة	١٨٥
الحاشية السادسة	١٨٩
رجع إلى نظم عياض:	
من نظمه	١٩٠
ما قاله فى خامات الزرع	١٩١
من شعر عياض	١٩١
ما قاله عياض عند وداع قرطبة	١٩٢
من نظمه	١٩٣
ما قاله يخاطب الفتح بن خاقان	١٩٦
مقطعات من نظمه	١٩٦
أبيات نسبها له الشقورى، وتعقيب المؤلف على ذلك	١٩٧
معنى «أريجا» فى لغة أهل خراسان	١٩٨
عياض يخاطب أبا طاهر السلفى	٢٠٠
أبو طاهر يجيبه	٢٠٠
ما قاله عياض على طريق التورية	٢٠٢
ما قاله على طريق الغزل والنسيب	٢٠٣
ما كتب به ابن حجر العسقلانى إلى بدر الدين الدمامينى	٢٠٤
قصيدة نسبت لعياض فى التورية بسور القرآن	٢٠٤
قصيدة القلقشندى فى نفس الموضوع	٢١١
قصيدة لعياض يشكو فيها غربته بوادى داى	٢٢٢
نصيحته لطلاب العلم	٢٢٣
توبته النصوح	٢٢٣

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
استعاذته بالله	٢٢٤
روضة النسرين فى تآليفه:	
كتاب الشفا	٢٢٥
ابن الغماز يمدح الشفا	٢٢٦
أبو محمد بن هارون يمدح عياضا	٢٢٦
أبو الحسين النردى يمدح كتاب الشفا	٢٢٨
ابن مرزوق يمدح الشفا، ويستمطر قرائح الشعراء	٢٣٦
ابن الفكون ينظم رحلته فى قسمطينة إلى مراكش	٢٥٩
أبو الحسن الشامى يمدح الشفا	٢٦٣
الذين شرحوا الشفا	٢٦٣
عناية الناس بنسخه وتصحيحه	٢٦٣
تعليق ابن القصير على مواضع من الشفا	٢٦٣
حديث: تيامن ستة، وتشاءم أربعة	٢٦٣
حديث ابن الخالة فى الإسراء	٢٦٤
رؤيا الرسول لأناس من بنى فلان ينزون على المنابر	٢٦٤
حديث: فيم يجتمع الملأ الأعلى	٢٦٥
من تسموا باسم محمد قبل الإسلام	٢٦٦
حديث العمائم تيجان العرب	٢٦٨
قاموس البحر	٢٦٨
الطبع الجهورى	٢٦٩
هو الفصل ليس بالهزل	٢٦٩
الحديث الصحيح يوجد لفظه ومعناه فى القرآن	٢٧٠

obeikandl.com

الموضوع	الصفحة
أكب متعديا ولازما	٢٧١
حديث: ادع فلانا وفلانا ومن لقيت	٢٧١
قول أبى بكر: نحن أحق لك بالسجود	٢٧٢
حديث: إلا واحدة غرسها عمر	٢٧٢
الطرطوشى من الزاهدين القوالين بالحق	٢٧٣
خبر الموتان	٢٧٣
حديث الحسنة بعشر أمثالها	٢٧٤
حديث نعم موضع الحمام	٢٧٤
بين جعفر الصادق ومالك بن أنس	٢٧٤
حديث: فآثرت حب رسول الله	٢٧٦
القصد إلى الروضة الشريفة والركوع فيها	٢٧٦
الأنبياء متفاضلون فى المعارف	٢٧٧
حديث الغرانيق	٢٧٨
سند المقرى إلى الشفا	٢٨٣
مشارق الأنوار وما قيل فيها	٢٨٦
إكمال المعلم وما قيل فيه	٢٨٨
الإلماع وما قيل فيه	٢٨٩
الغنية وما قيل فيها	٢٨٩
بقية مؤلفات عياض	٢٩٠

obeikandl.com